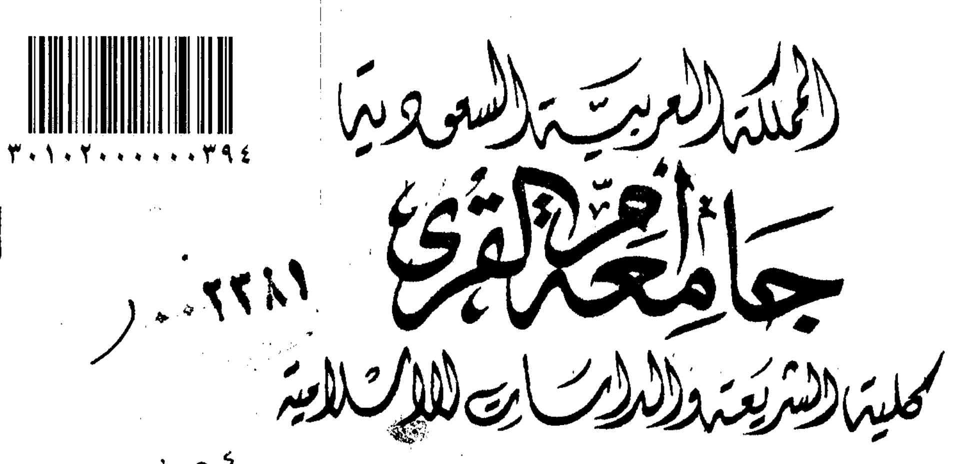
بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الدولة العامرية في الأندلس

دراسة سياسية وحضارية

(٣٦٨ - ٣٩٩هـ / ٩٧٨ - ١٠٠٩م)

لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

- إعداد الطالب : علي أحمد عبدالله القحطاني
- إشراف الأستاذ الدكتور :
أحمد السيد دراج

سنة ١٤٠١هـ   سنة ١٩٨١م

بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة)

الحمد لله الذى تتم بنعمته الصالحات . والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد /

لقد أسترعى أنتباهى أن الدراسات الأندلسية بشقيها التاريخى والأدبى لم تنشط الا على يد المستشرقين فى منتصف القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى ، أما الكتاب والمؤرخون العرب ، المشارقه والمغاربه على السواء فأنهم لم يولوا هذه الدراسات أهميتها الا فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى / العشرين الميلادى .

فمن المستشرقين الذين أسهموا فى إذكاء هذه الدراسات ، راينهارت دوزى ، وفراسيسكو كوديرا ، وليفى بروفنسال ، ومجموعة أخرى من المستشرقين الأسبان مثل أنجل جنثالث ، وماسديه ، ولافونتى .

أما عن الكتاب والمؤرخين العرب المحدثين ، فقد كان عبد الحميد العبادى من أوائل المؤرخين العرب الذين أهتموا بالدراسات الأندلسيه ، ثم شكيب أرسلان ، ثم جاءت مجموعات أخرى مثل حسين مؤنس ، وأحمد مختار العبادى ، والسيد عبد العزيز سالم ، ولطفى عبد البديع ، ومحمود على مكى ، وعبد الرحمن الحجى ، أما محمد عبد الله عنان فقد أوقف حياته وجهده كله للدراسات الأندلسيه ، ومازال يعكف منذ ربع قرن على تتبع الدراسات الأندلسيه والكشف عن ذخائرها القيمه .

ولتعلقى بالدراسات الأندلسيه تراءى لى أن هناك حقبة زمنيه لم تحظ بنصيب وافر من الدراسه سواء على المستوى التاريخى أو الحضارى ، هذه الحقبه الزمنيه هى الدوله العامريه التى أسسها المنصور بن أبى عامر فى قلب الخلافه الأمويه (٣٦٨ - ٣٩٩ هـ / ٩٧٨ - ١٠٠٩ م) . وقد دفعنى ذلك الى أن أجعل دراسة الدوله العامريه من الناحيتين السياسيه والحضاريه ، موضوعا لرسالتى لنيل درجة الماجستير فى التاريخ الأسلامى .

فقد بدا لى ان هذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة ، ذلك ان الدولة العامرية لم تنل نصيبا وافرا من الدراسة والتحقيق رغم اهميتها فى التاريخ الأندلسى عموما ، كما لم تكن — فيما اعتقد — موضوعا مستهدفا للدراسات العليا . ومما اعطى هذا الموضوع اهميته التاريخية البالغة ما تمخض عن قيام هذه الدولة من استقرار سياسى شامل فى الاندلس ، ومن توطيد أركان السلطة المركزية للدولة العامرية التى كانت تحكم الأندلس باسم الخلافة الأموية ، ومن اذكاء حركة الجهاد ضد الممالك الأسبانية النصرانية على يد المنصور بن ابى عامر وابنه عبد الملك اللذين كانت غزواتهما العديده ضد هذه الممالك هى شغلهما الشاغل .

وقد واجهتنى أثناء كتابتى لهذا البحث بعض الصعاب المتمثلة فى جمع الماده التاريخية لهذه الدولة . فمعظم ما كتب فى أكثر المصادر الأندلسية عن الدولة العامرية لا يعد كونه تكرارا ونقلا عن بعضها البعض ، الا اننا نستدرك هنا فنقول : انه كتبت حقيقة عدة مصنفات عن هذه الدولة تناولت بالشرح والاسهاب ظروف قيامها وتطورها ، بيد انها فقدت - ويوءسف لفقدها - مثل كتاب المآثر العامرية الذى الفه حسين بن عاصم والكتاب الذى الفه عبد الرحمن بن محمد بن معمر فى تاريخ الدولة العامرية .

على ان ما يشعر المرء بالغبطة انه تهيأ لبعض المؤرخين الأندلسيين ، أمثال ابن الأبار صاحب كتاب الحلة السيراء ، وابن الخطيب صاحب كتاب اعمال الأعلام ، وابن سعيد صاحب كتاب المغرب فى حلى المغرب ، وابن عذارى صاحب كتاب البيان المغرب ، والمقرى صاحب كتاب نفح الطيب ، وغيرهم الاطلاع على بعض من صفحات هذه المصنفات والنقل منها .

ومن الصعاب التى واجهتها ايضا هى انه كان من الصعب ، بل من غير المقبول منهجيا ، دراسة تاريخ الدولة العامرية دون التطرق لدراسة أوضاع الممالك والامارات النصرانية المجاورة لها ، وذلك للعلاقات التاريخية المتشابكة بينهما وبين هذه الممالك والامارات والتى تمثلت فى غزوات المنصور وابنه عبد الملك لها ، وفى عهود السلم التى عقدت بين المنصور وابنه من جهة وملوك وأمراء هذه الممالك والامارات النصرانية من جهة أخرى .

لذا قمت بدراسة أوضاع هذه الممالك النصرانية الأسبانية الأمر الذى حقق للبحث وحدته الموضوعية . وقد عانيت جهدا كبيرا فى ابراز تلك العلاقات واهميتها فى تاريخ الدولة العامرية ، ذلك ان معظم المصادر الاندلسية قد أفردت للجانب العلمى والحضارى للدولة العامرية الجزء الأكبر من اهتماماتها ، فى حين انها ضنّت علينا الاسهاب والتفصيل عن الجانب السياسى والعسكرى لهذه الدولة . الامر الذى أجهدنى غاية الجهد فى ابراز الجانبين السياسى والعسكرى لهذه الدولة وبخاصة ما يتعلق بالممالك والامارات الأسبانية النصرانية .

بقى على ان أشير - الى ان هذه الدراسة المتخصصة عن الدولة العامرية تكاد تكون موضوعا جديدا فى الدراسات الأكاديميه . والواقع انه فيما عدا بن حيان الذى أرخ للدولة العامرية فى كتابه " أخبار الدولة العامرية " السالف الذكر، لم يصدر حتى الآن أى مصنف تاريخى عن هذه الدولة اذ ان مجمل ما كتب عنها عبارة عن نقولات للمؤرخين الأندلسيين بصورة أساسية عن بعضهم البعض .

اما بالنسبة للكتاب والمؤرخين المحدثين ، فلم يتصدّ للحديث عن هذه الدولة الا نفر قليل منهم ، ومع ذلك فلم يفردوا مؤلفات خاصة لدراستها ككل ، وانما اهتموا بدراسة شخصية المنصور بن ابى عامر فحسب . ومن هؤلاء على ادهم الذى ألف كتيبا أسماه ((منصور الأندلس)) وهو عبارة عن دراسة أدبية لشخصية المنصور بن ابى عامر . ومن المحدثين ايضا محمد عبد الله عنان الذى أفرد جانبا يسيرا لهذه الدولة فى موسوعته التاريخية ((دولة الاسلام فى الاندلس/ العصر الأول - القسم الثانى)) .

بيد انه يتضح من خلال هذا ان ما كتب عن الدولة العامرية حتى الآن لا ينهض بحقها بأى حال من الأحوال ، وذلك رغم اهميتها فى تاريخ الأندلس عموما . ومما يبعث على الاستغراب ان لا تنال هذه الدولة حقها من البحث والدراسة رغم الدور الذى مارسته سياسيا وعسكريا فى تاريخ أسبانيا المسلمة والمسيحية على السواء .

ومن هنا أحسب أنى قد وفقت فى أختيار هذا الموضوع وتقديمه للباحثين المهتمين بالدراسات الأندلسيه كى يتاح لهم التعرف على فترة مضيئة فى التاريخ الأندلسى .

وفيما يتعلق بخطة البحث فقد رتبته على النحو التالى : تمهيد ، وأربعة أبواب ، وخاتمه . فقد رأيت أنه من الأصوب من الناحيه المنهجيه أن يسبق حديثى عن الدولة العامريه تمهيد تاريخى يوضح الوضع السياسى فى الدولة الأمويه فى أعقاب وفاة الحكم المستنصر . ولذا فقد قسمته الى نقطتين ، الأولى تحت عنوان : تولى هشام المؤيد بالله الخلافه الأمويه ، وأثر ذلك على الوضع السياسى فى الدولة . والثانية : عن الوضع السياسى فى الدولة الأموية بعد تولى هشام المؤيد بالله الخلافة وهو طفل صغير لا يستطيع القيام بمهام الخلافة . وقد ركزت حديثى فى هذا التمهيد عن النتائج التى تمخضت عن تولى هشام المؤيد بالله الخلافه ، والتى تمثلت فى ظهور مراكز قوى فى الدولة الأمويه تريد الأستئثار بالسلطه لنفسها .

أما الباب الأول فقد عنونته بالعنوان التالى : ظهور محمد بن أبى عامر وأستبداده بالسلطه دون الخليفه هشام المؤيد بالله وقسمته الى ثلاث نقاط : الأولى وعنوانها : محمد بن أبى عامر ووصوله الى منصب الحاجب وتلقبه بالمنصور وبالملك الكريم . وفى هذه النقطه تحدثت عن نسبه ونشأته وعلاقته بالسيده صبح أم الخليفة هشام ، وكذلك تدرجه فى مناصب الدولة وتلقبه بالمنصور وبالملك الكريم ، وأستبداده بالسلطه . أما النقطة الثانيه وموضوعها : جهود المنصور بن أبى عامر للأحتفاظ بالسلطه ، فقد بسطت الحديث فيها عن طرد الصقالبه من قصر الخليفه هشام وتصفيتهم من مراتب الدولة ، ثم أعفاء الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى من منصبه وسجنه حتى وفاته ، والحجر على الخليفه هشام المؤيد بالله ، وأحباط جهود السيده صبح فى أستعادة السلطة لأبنها

هشام المؤيد بالله ، وأخيرا قضاؤه على بقية مراكز القوى التى كانت تنافسه فى الزعامة ، وذلك بقتل غالب قائد الثغر الأعلى الأندلسى وقتل القائد جعفر بن على بن حمدون وأبى الأحوص معن بن عبد العزيز ، والقضاء على مؤامرة أبنه عبد الله وشريكه عبد الرحمن أبن مطرف التجيبى حاكم سرقسطه والتى أنتهت بمقتلهما . وأما النقطه الثالثه فقد خصصتها للحديث عن / أستقرار أحوال الدولة العامرية فى عهد المنصور وركزت الحديث فيها على وصيته لأبنه عبد الملك قبل مماته على ضرورة الأبقاء على الخلافة الأموية ، وأيضاح العوامل التى دعت المنصور الى الحجر على الخليفة هشام المؤيد بالله وأستبداده بالسلطة دونه .

أما الباب الثانى فقد عالجت فيه الأحوال الداخلية للأندلس فى عهد عبد الملك وعبد الرحمن ولدى المنصور بن أبى عامر . وفى هذا الباب تحدثت عن نقطتين : الأولى / عن الأحوال الداخلية فى عهد عبد الملك بن المنصور ، وفيها تكلمت عن تولية عبد الملك الحجابة بعد وفاة أبيه المنصور ، وأستقرار أحوال الأندلس فى عهده ، وأحباطه للمؤامرة التى دبرها ضده وزيره عيسى بن سعيد القطاع . والنقطة الثانية / عن الأحوال الداخلية للأندلس فى عهد عبد الرحمن بن المنصور (الملقب بشنجول) الذى خلف أخاه عبد الملك فى الحجابة ، وفيها تناولت الأحداث التى تمخضت عن أرغامه للخليفة هشام المؤيد بالله بتوليته العهد من بعده ، ثم أسناده الحجابة لأبنه عبد العزيز ، وما ترتب على هذا من أستنكار العامه والخاصة فى الأندلس وعلى رأسهم بنو أميه ، الأمر الذى أدى الى قيام محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر بالأستيلاء على قرطبه وتوليته الخلافة ، وقيامه بتدمير وخراب مدينة الزاهرة عاصمة الدوله العامريه ، ومقتل عبد الرحمن بن المنصور ، وبذلك تكون الدولة العامريه قد زالت .

وجعلت العلاقات الخارجية للدولة العامرية في عهد المنصور وفي عهد ولديه عبد الملك وعبد الرحمن موضوعا للباب الثالث . ويتفرع هذا الباب الى نقطتين أولهما : العلاقات بين الاندلس والمغرب الاقصى ، وفيها اعطيت نظرة عامة عن علاقة المغرب بالاندلس قبل عهد المنصور ثم في عهد المنصور ، وعن المعارك الحربية التي خاضها جيش المنصور ضد خصومه السياسيين في المغرب ، أمثال بلكين الصنهاجي ، والحسن بن كنون الادريسي ، وابي البهار الصنهاجي ، وزيري بن عطية وأخيرا علاقات ابني المنصور عبد الملك وعبد الرحمن مع زعماء المغرب .

اما النقطة الثانية لهذا الباب فهي التي ركزت فيها على العلاقات بين الدولة العامرية وبين الممالك والامارات الاسبانية النصرانية . وقد اقتضى الامر ان أبسط الحديث عن أحوال هذه الممالك والامارات وعلاقاتها بالاندلس قبل وأثناء قيام الدولة العامرية ، وعن الغزوات التي شنها المنصور بن ابي عامر وابنه عبد الملك على هذه الممالك والامارات ، وهي مملكة ليون ، ومملكة نبره وأمارة قشتاله ، وامارة برشلونة ، وما تمخض عنها من نتائج حربية في عهد المنصور وفي عهد ابنه عبد الملك ، واخيرا تحدثت عن العلاقات الدبلوماسية والسفارات النصرانية التي وفدت على بلاط الدولة العامرية في عهدي المنصور وابنه عبد الملك .

اما الباب الرابع فقد خصصته برمته للجانب الحضاري في الدولة العامرية واخترت له عنوانا هو : أهم مظاهر التطور السياسي والحضاري في الدولة العامرية . وقد تضمن هذا الباب سبع نقاط . الاولى تحدثت فيها عن العامريين والخلافة الاموية وأشرت خلالها الى المدى الذي وصلت اليه الخلافة الاموية في عهد عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر من نفوذ وقوة ، ثم عرجت بعد ذلك على ما أصابها من وهن وضعف بعد ان تولى هشام المؤيد بالله الخلافة وما تبع ذلك من استئثار المنصور بالسلطة وتفكيره في نقل الخلافة لنفسه وعدوله عن ذلك .

أما النقطة الثانية فقد أفردتها للحديث عن الحجابة والجيش والأسطول فعن الحجابه تحدثت عن تطورها والمدى الذى وصلت اليه فى عهد الحاجب المنصور بن أبى عامر ، وعن الجيش تحدثت عن التنظيمات العسكريه التى أدخلها المنصور على الجيش الأندلسى وأعتماده على البربر خاصة كما تحدثت عن أهتمامه بتقوية الأسطول .

وكانت النقطة الثالثة عن الوزارة فى عهد الدولة العامرية والتنظيمات التى أدخلت عليها فى عهد المنصور بن أبى عامر ، كما خصصت النقطة الرابعة للحديث عن القضاء والخطط المتصله به ، كالحسبة ، والمدينة ، والسوق ، والشرطه . وذكرت فى النقطة الخامسه أهم أوجه الرخاء الأقتصادى والأزدهار الأجتماعى التى نعمت بها الأندلس فى عهد المنصور بن أبى عامر وفى عهد أبنه عبد الملك المظفر .

وأما النقطة السادسة فقد أستأثرت فيها بالحديث عن الحياة العلمية والأدبية فى الدولة العامريه وفيها وضحت مدى ما تحقق للحياة العلمية والأدبية من أزدهار فى عهد عبد الرحمن الناصر وأبنه الحكم المستنصر ، وهو الأزدهار الذى تابعته فى عهد المنصور بن أبى عامر وفى عهد أبنه عبد الملك . ومن خلال هذا العرض تناولت الترجمة لمجموعة من الفقهاء والأدباء والشعراء والعلماء الذين زخرت بهم هذه الفتره الخصبه من التاريخ الأندلسى ، كما لم يفتنى الحديث عن المناظرات الشعرية التى كانت تعقد فى مجالس المنصور .

وفى النقطة السابعة ، وهى الأخيرة تناولت بالدراسة أعمال المنصور العمرانية كبناء مدينة الزاهرة التى أصبحت عاصمة لدولته ، وكذلك الأصلاحات التى تمت فى عهده كتوسعة المسجد الجامع بقرطبه ، وبناء قنطره على نهر الوادى الكبير فى قرطبه وأخرى على نهر شنيل فى مدينة أستجة وغير ذلك من الأعمال العمرانية كأصلاح الطرق وأقامة المنازل على الطرق المؤدية الى الجزيرة الخضراء والمؤديه الى الثغور الأندلسيه .

وأخيرا أوضحت فى الخاتمه أهم النتائج التى توصلت اليها من خلال هذه الدراسة .

بحث فى أهم مصادر ومراجع الرسالة

أن أول ما يجب على الباحث عمله هو أن يحصر المصادر والمراجع التي تساعده فى كتابة بحثه أيا كان التخصص . وقد قدر لى أن أطلع على معظم المصادر والمراجع التي تحدثت عن الدولة العامريه سواء كانت أندلسيه ومغربيه أم مشرقيه أم معربه .

وفى الحقيقة أنى قد أعتمدت أعتمادا كبيرا على جملة من المصادر الأندلسيه بدرجة أساسيه . ويأتى فى مقدمة هذه المصادر : كتاب : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، لأبن عذارى المراكشى (ت ٦٩٥ هـ) . وهذا الكتاب من ثلاثة أجزاء ، حقق الجزئين الأول والثانى منهما ونشرهما كلا من / ج . س كولان وليفى بروفنسال . ثم قام بروفنسال بتحقيق الجزء الثالث ، وقام أحسان عباس أخيرا فى عام ١٩٦٠م بتحقيق قطعة أخرى من كتاب البيان المغرب وهى تختص بعهد المرابطين . والكتاب مهم جدا لبحثى بما توفرت فيه من مادة تاريخيه غزيرة أضاءت لى طريق البحث . غير أنه مما يعيب أسلوب أبن عذارى هو أنه كان ناقلا أكثر منه ناقدا ، وقد أنتهج فى كتابه طريقة الحوليات .

أما المصدر الثانى بحسب الأهمية لبحثى فهو كتاب : أعمال الأعلام (تاريخ أسبانيا الأسلاميه) للسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤ م) . وهذا الكتاب حققه وعلق عليه ونشره ليفى بروفنسال تحت عنوان (تاريخ أسبانيا الأسلاميه) ، وقد طبع طبعه ثانيه عام ١٩٥٦ م . ولسان الدين أبن الخطيب مؤرخ وأديب أندلسى عاش فى عصر الدولة النصريه ، وكان من أبرز وزرائها وقد أستفدت من هذا المصدر كثيرا لاسيما الأطلاع على بعض تفاصيل قيام الدولة العامريه وزوالها . وكان لهذا المصدر الفضل فى الأطلاع على الوصية السياسية التى تركها المنصور بن أبى عامر لأبنه عبد الملك بشأن الخلافة والخليفة هشام المؤيد بالله .

أما المصدر الثالث من حيث الأهميه للبحث أيضا فهو كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) . وينقسم هذا الكتاب الى أربعة أقسام على حسب الأقاليم الجغرافيه والأندلسيه ، وكل قسم يتناول أقليما من الأقاليم من الناحية التاريخيه والسياسيه والاجتماعيه والأدبيه . وكتاب ابن بسام هذا يعد من ضمن كتب الأدب ، أذ أنه يعتبر كتابا أدبيا في معظمه ، غير أنه يميل أحيانا الى سرد وقائع تاريخيه مهمه ضمن حديثه عن الحياة الأدبيه التي يؤرخ لها ، كما يتضح ذلك في القسم الرابع من كتابه المتعلق بالطارئين الى الأندلس ومن هاجر اليها من شعراء الشام والعراق . وكان هذا الكتاب ملائما لبحثي وخاصة فيما يتعلق بالناحية الأدبية التاريخيه . ويعيب أسلوبه أنه كان يميل الى أستخدام السجع الكثير والمحسنات البديعيه ، أما بالنسبه لمادته التاريخيه فأنه كان يتبع الترتيب الزمني للأحداث .

أما المصدر الرابع فهو كتاب : الحلة السيراء . لابن الابار القضاعي (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) ، وهو كتاب يتناول أخبار المغرب والأندلس في صورة تراجم منذ الفتح الاسلامي الى منتصف القرن السابع الهجري ، وما يتضمن ذلك من أدب وشعر وتاريخ على أمتداد هذه الفترة . وقد قام بنشره وتحقيقه أولا المستشرق الهولندي رانيهارت دوزي ، ثم حققه وعلق على حواشيه ونشره في طبعة عربية من جزئين حسين مؤنس في عام ١٩٦٣ م عن مخطوط وجده في مكتبة الأسكوريال بمدريد تحت رقم ١٦٥٤ ، وهي مكتوبه بخط مغربي . والكتاب ذو أهمية كبيرة لبحثي ، فقد أستخرجت منه العديد من تراجم الرجال في عصر الدولة العامرية من وزراء وقواد وعلماء وشعراء وأدباء . ويتضح من ثنايا الكتاب أن المؤرخ كان واسع الأطلاع بتاريخ المسلمين الأدبي والعلمي في الأندلس . ولابن الأبار مجموعة من المصنفات ، مثل كتاب أعتاب الكتاب ، والتكملة لكتاب الصله ، اللذين أستفدت منهما في بعض المواطن .

أما خامس المصادر الأندلسيه أهمية لبحثي فهو كتاب / نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب .

لأبى العباس أحمد التلمساني المعروف بالمقرى (ت ١٠٤١ هـ) . وهذا الكتاب عبارة عن موسوعة كبيرة للمجتمع الأندلسى تحدث فيها عن الحياة التاريخيه والأدبية والاجتماعية فى الاندلس منذ الفتح حتى نهاية الوجود الاسلامى فى الاندلس ، مع الاشارة الى حياة وسيرة الوزير الغرناطى لسان الدين بن الخطيب الذى الف موسوعته هذه من أجله لاعجابه الشديد به . والكتاب يعتبر مصدرا تاريخيا متأخرا ، فقد ألف فى القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى ، وقد حقق أكثر من مره ، الا أننى أعتمدت على تحقيق أحسان عباس لهذا الكتاب فى طبعته عام ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م والتى جاءت فى أثنى عشر جزءا . وقد أستفدت كثيرا من هذا الكتاب وبالخصوص فى جزءيه الأول والثالث اللذين ركز فيهما المؤلف على أخبار المنصور بن أبى عامر وأبنه عبد الملك ومسألة تخلص المنصور من مناوئيه السياسيين كأبى جعفر بن عثمان المصحفى والقائد غالب الناصرى .ومما يؤخذ على أسلوب المقرى ، هو أنه يكثر من الأستطراد وتجزئة الأحداث التاريخيه .

وسادس هذه المصادر من حيث الأهميه هو كتاب العذرى (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) وعنوانه " نصوص عن الأندلس" مأخوذ من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الاثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك . وقد عنى بتحقيقه الدكتور عبد العزيز الأهوانى ، وطبع بعناية معهد الدراسات الأسلاميه بمدريد عام ١٩٦٥ م .

هذه هى أهم المصادر الرئيسيه التى صحبتها أثناء أعداد الرسالة . وهناك مصادر تاريخيه أخرى تعتبر فى المرتبة الثانيه فى الأهمية لتلك المصادر الرئيسيه السالفة الذكر . فمن هذه المصادر كتاب المغرب فى حلى المغرب لأبن سعيد المغربى (ت ٦٨٥هـ / ١٢٧٤ م) ، وهذا الكتاب يتضمن تراجم لشخصيات بارزة فى كل من الأندلس والمغرب ومصر . وقد تتابع على تأليفه ستة أشخاص بالوراثه فى مائة وخمس عشرة سنه من العصر الأموى حتى نهاية عصر الموحدين . وقد حقق شوقى ضيف القسم الخاص بالاندلس تحت عنوان : وشى الطرس فى حلى جزيرة الأندلس . من جزئين . وأهميته محدودة فى بحث الرسالة .

ومنها كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء لابن الكردبوس (المتوفى في أواخر القرن السادس الهجري) وهو كتاب أستعرض فيه المؤلف الأحداث السياسيه في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر الموحدين . وقد حققه أحمد مختار العبادي ونشره في مجلة معهد الدراسات الاسلاميه المصريه بمدريد .

ومن المصادر التاريخيه الرديفه لبحثي كتاب مشرقي وهو الكامل في التاريخ . لعز الدين بن الاثير (ت ٦٣٠هـ) ويقع في تسعة أجزاء طابعة بيروت سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦ م . وقد أستفدت من الجزئين الثامن والتاسع بصفة خاصه وذلك لعلاقتهما بموضوع رسالتي .

وفيما يتعلق بكتب التراجم والطبقات فقد رجعت لكتاب جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي (ت ٤٨٨ هـ) الذي تناول في أيجاز الحديث عن ولاة الأندلس ورواة الحديث والأدباء . وكتاب الصلة لابن بشكوال ، وقد نهج فيه نهج الحميدي في الترجمة لتاريخ أئمة الأندلس وعلمائها وفقائها وأدبائها ثم كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي (ت ٥٩٩ هـ) ويترجم لرجال الأدب والفقهاء والولاة الأندلسيين .

أما كتب الجغرافيا الأندلسيه فقد أعتمدت في تحقيق أسماء بعض المدن المغربيه على كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب . لأبي عبد الله البكري (ت ٤٨٧هـ) ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك . وقد حققه عبد الرحمن على الحجي . وعلى كتاب صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (توفي في أواخر القرن الثامن الهجري) ، وقد نشره وعلق عليه ليفي بروفنسال . كما أستفدت من كتاب صبح الأعشى في صناعة الأنشاء . للقلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨ م) ولا سيما الجزء الخامس الذي يتحدث فيه عن الأندلس وعن أهم مدنه .

أما المراجع العربيه التى أقتبست منها معلومات مهمه عن الدوله العامرية فمتعددة . وتأتى موسوعة محمد عبد الله عنان (دولة الأسلام فى الأندلس / الخلافة الأموية والدولة العامرية) فى المرتبة الأولى من تلك المراجع التى أعتمدت عليها كثيرا . وقد يسرت كتب محمد عبد الله عنان مهمة البحث لكل باحث فى التاريخ الأندلسى منذ الفتح العربى لأسبانيا وحتى زوال الوجود الأسلامى عنها وقد كان كتاب دولة الأسلام فى الأندلس (الخلافة الأموية والدولة العامرية) الذى يعتبر جزءا من تلك الموسوعه سندا لى فى معظم أبواب الرسالة ، وقد عولت عليه فيما صعب وأشكل على من أمر . كما أستفدت كذلك من بعض كتبه الأخرى مثل كتاب تراجم أسلاميه شرقيه وأندلسيه .

والمرجع الثانى بحسب الأهمية لبحثى هو كتاب فى تاريخ المغرب والأندلس لأحمد مختار العبادى . وهذا الكتاب عبارة عن محاضرات القاها أحمد العبادى لطلبته فى جامعات ، الأسكندريه ، وعين شمس ، والرباط ، وبيروت العربيه . وأفادنى هذا الكتاب كثيرا وخاصة فيما يتعلق بالدولة العامرية وقد رجعت اليه كثيرا وبخاصة فى جهاد المنصور ضد الممالك النصرانيه فى شمال أسبانيا وعلاقته الدبلوماسيه مع هذه الممالك ، أضافة الى ما قام به المنصور من أعداد الجيوش لدخول المغرب ، وكذلك أشارته لأعمال المنصور الأداريه والعمرانيه .

والمرجع الرئيسى الثالث لبحثى هو كتاب تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبه للسيد عبد العزيز سالم . وقد أستفدت منه فيما يخص تاريخ الدولة العامريه . ومن المهم هنا أن أشير الى أنى قد أعتمدت كثيرا على كتابة الآخر (قرطبه حاضرة الخلافة الأموية) ولا سيما حديثه عن المنشآت العمرانيه فى عصر الدولة العامريه .

أما عن المراجع التى تأتى فى المرتبه التاليه من حيث الأهميه للبحث فأهمها كتاب تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والأجتماعى لعلى محمد حموده والذى يتحدث المؤلف من خلاله عن أهم التطورات السياسيه والعمرانيه والأجتماعيه التى شهدتها أسبانيا المسلمه . وكتاب منصور الأندلس لعلى أدهم

وهو كتاب صغير الحجم صدر ضمن سلسلة أعلام الاسلام ، يتحدث فيه عن شخصية المنصور بن أبي عامر .

وفيما يتعلق بالمراجع التي أهتمت بالتاريخ للأدب الأندلسي وللحياة العلمية عموما ، يأتي كتاب الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه لمصطفى الشكعه . وكتاب الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة لأحمد هيكل ، وكتاب تاريخ الأدب الأندلسي لأحسان عباس ، وكتاب الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي ، وكذلك كتاب في الأدب الأندلسي لجودت الركابي وكتاب الأدب العربي في الأندلس لعبد العزيز عتيق . فجميع هذه المراجع أرخت في شيء من التوسع للأدب الأندلسي ، وقد أستفدت منها جميعا فائدة كبرى في التعرف على الحياة العلميه والأدبيه في عهد المنصور بن أبي عامر وأبنه عبد الملك المظفر .

أما عن المراجع الجغرافيه فقد أستعنت بكتاب الحلل السندسيه في الأخبار والآثار الأندلسيه لشكيب أرسلان . ويقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء . وقد أستعنت بالجزئين الأول والثاني من هذا الكتاب في تحقيقات أسماء بعض المدن الأندلسيه وكذلك في التعريف بالمباني والمساجد في الأندلس . ومهما تجدر الأشارة اليه أن هذا الكتاب مزود بصور فوتغرافيه لبعض القصور والمباني في بعض المدن الأندلسيه ، وكذلك بعض الخرائط التاريخيه للمدن الأندلسيه كمدينة قرطبه .

وعلى رأس الكتب المعربه التي أستفدت منها في هذا البحث كتاب المستشرق لين بول الذي ترجمه المرحوم علي الجارم بعنوان قصة العرب في أسبانيا ، وكذلك كتاب المستشرق ليفي بروفنسال عن الحضارة العربية في أسبانيا ، الذي ترجمه الى اللغة العربيه ذوقان قرقوط .

ومن الرسائل الجامعيه التي أعانتني كثيرا في معالجة غزوات المنصور بن أبي عامر وولده عبد الملك ضد الممالك والأمارات الأسبانيه النصرانيه رسالة رجب محمد عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس والممالك الأسبانيه النصرانية منذ عصر الأمارة حتى القرن الخامس الهجري ، والتي تقدم بها الى كلية الآداب - جامعة القاهرة - للحصول على درجة الدكتوراه في الآداب عام ١٩٨١م .

كما أستفدت من بعض البحوث التي نشرت في بعض الدوريات . مثل البحث الذي نشره أحمد مختار العبادي في مجلة معهد الدراسات الاسلاميه المصريه بمدريد ، المجلد الخامس ، العدد ١ - ٢ عام ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م بعنوان سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس .

والبحث الذي نشر في مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلاميه بمدريد ، العدد الاول ، السنة الاولى ، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م بعنوان : الابنية الاسبانيه الاسلاميه . لليوبولدو توريس بلباس ، وهو بحث يتضمن الحديث عن المساجد والحمامات والخانات والمنازل الاندلسيه .

وكذلك أتيح لي الاطلاع على المقال الذي نشره شوقي ضيف في مجلة كلية الاداب بجامعة فؤاد الاول (جامعة القاهرة) المجلد الثالث عشر الجزء الثاني ، ديسمبر عام ١٩٥٤م ، بعنوان نقط العروس في تواريخ الخلفاء لابن حزم .

ومن المقالات التي كتبت عن المنصور بن أبي عامر ، ما نشر في مجلة تطوان التي تصدر في المغرب الاقصى ، العدد الثالث سنة ١٩٥٥م بعنوان المنصور بن أبي عامر ، بقلم محمود يوسف .

وأما بالنسبه للمراجع الاجنبيه فقد أستفدت من الكتب الاتيه :

* DOZY: A HISTORY OF THE MOSLEMS IN SPAIN, LONDON 1972.

* JAN READ: THE MOORS IN SPAIN AND PORTUGAL, LONDON 1974.

* ENCYCLOPEDIE DE I'ISLAM.

* MILES, G.G.: THE COINAGE OF THE UMAYYADS OF SPAIN, NEW YORK, 1950.

*LAVOIX, H: CATALOGUE DES MONNAIES MUSULMANES DE LA BIBLIOTHEQUE - NATIONALE, ESPAGNE ET AFRIQUE, PARIS 1891.

* ANWAR G. CHEJNE: MUSLIM SPAIN. ITS HISTORY AND CULTURE, MINNESOTA 1974.

* LEVI-PROVENCAL: L'ESPAGNE MUSULMANE, T.111, PARIS..

وأخيرا لا يسعني ألا أن أقدم خالص الشكر وجزيل الأمتنان لأستاذى الدكتور أحمد السيد دراج الذى لم يضن على بالنصح والأرشاد والتوجيه ، أضافة الى ما بذله من جهد كبير معى أثناء أشرافه على هذه الرسالة ، فله خاصة ولكل من أسهم فى مساعدتى الشكر والأمتنان .

والله أسأل أن يوفقنا الى سواء السبيل .

تمهيـــــــــــــــــــــد

- تولـــى هشام المؤيد بالله الخلافة وأثر ذلك على الوضع السياسى فى الدوله .
- الوضـــع السياسى فى الدولة الأمويـــه بعد تولى هشام المؤيد بالله الخلافه .

تمهيـــــــد :

ظلت الدولة الأموية فى الاندلس متماسكة حتى خلافة الحكم المستنصر وظــل الامراء والخلفاء الأمويون يديرون هـم أنفسهـم شئون الدولة الأموية فى الاندلس وذلك علـى الصعيد السياسى والادارى والحربى الى ان جاءت خلافة الحكم المستنصر الذى اعطى معظـم وقته لكسب العلم والمعرفه ، وقد بلغت الثقافة فى عهده ذروة ازدهارها .

فاشتغال الحكم المستنصر بالعلم والمعرفه جعله لا يعطـى الجانب الأكبر مـن اهتمامه لشئون الخلافة الأندلسية ، الأمر الذى أتاح الفرصة لبعض رجال الدولة للترقى الى المناصب الهامة وادارة شئون البلاد . وقد برز من هؤلاء الرجال الحاجب جعفر بن عثمـان المصحفى ، ومحمد بن ابى عامر ، والقائد غالب قائد الثغر الأعلى فى الاندلس ، والسيدة صبح زوجة الحكم المستنصر والتى كانت لها مكانة عالية لديه ، وهى المكانة التى ظهر أثرهـا فى تولية ابنها هشام ولاية العهد والخلافة من بعد ابيه الذى تخطى بذلك أخوتـه الثلاثة : عبد العزيز والاصبغ ، والمغيرة ، وكانوا كلهم قد بلغوا سن الرشد وصاروا قادرين علـى القيام بمهمة الخلافة بعكس هشام ابن اخيهم الحكم المستنصر الذى كان لا يزال طفلا لا يتجاوز الثانية عشر من عمره وقت أن تولى الخلافة بعد موت ابيه .

وبتولى هشام المؤيد الخلافة لم يعد للأمويين فى الخلافة سوى الاسم فقط ، كما فقدت الخلافة رسمها وهيبتها . فقد اصبحت امه السيدة صبح وصية عليه كما أدى ذلك الى استئثار كبار رجال الدولة الذين سبق ان أشرت اليهم بالسلطة وبخاصة بعد مقتل المغيرة عم هشام الذى كان الصقالبة بقصر الخلافة قد رشحوه لتولى الخلافة بعد موت الحكم المستنصر .

وقد ظهرت فى الأفق الخلافات الشخصية بين هؤلاء الرجال الثلاثة وأخذ كل منهم يتربص بالآخر . وانتهى أمر ذلك الصراع بفوز محمد بن ابى عامر بادارة شئون الدولة وذلك بموالاة السيدة صبح أم الخليفة هشام والوصية عليه ، والتى كانت ترى انه هو الشخص القادر على حماية عرش الخلافة لابنها ، فضلا

عن أعجاب السيده صبح بـه وأعجاب أهـل الاندلس أيضـا بمقدرته السياسيه والحربية غير أن محمد بن أبـي عامـر مالبث أن أستأثـر بالسلطـه بعد أن جمعها في يـده ثـم حجـر علـى الخليفـة هشـام وأصبح الآمـر والناهـي في الدولة الأمويه ، كمـا سنفصـل ذلك فيمـا بعـد .

لقـد تولـى الحكـم المستنصـر الخلافـة الأمويـه وهـو في الثامنهوالأربعين مـن عمـره ،ولـم يكـن قـد رزق بولـد ،وكان ذلك يثـير قلقـه ،فكـان يتشوق أن يرزقه اللـه ولـدا فـي كبره ليتولـى من بعـده الخلافـة . وقـد مـنّ اللـه عليه بأبن فـي سنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢م من السيده صبح البشكنسيـة التي كان الحكـم يسميهـا " جعفـر" وسمـاه عبد الرحمـن . وقـد عهـد الحكـم الـى محمـد بن أبـي عامـر بتربية أبنـه هـذا ، كمـا أمـر بصـرف مرتب شهـرى لـه مقداره خمسة عشـر دينارا . الا أن هذا الولـد لـم يعش طويلا فقد توفـاه اللـه طفـلا (١) وبعـد ثلاث سنوات من مولـد عبد الرحمـن ،ولدت السيده صبح ولدا آخـر سمي بهشـام ،وقد أستبشـر الحكـم المستنصـر بهذا المولود وهـو بمجلسـه والحاجب جعفـر المصحفـي عنده . وقد قـال الحاجب جعفـر بهـذه المناسبه أبياتا من الشعـر يهنىء فيهـا الحكـم بولده هشـام ، الذي كني بأبـي الوليـد ،ولقب بالموءيـد باللـه (٢) .

وتولـى الاشراف علـى تربيته أيضـا محمد بن أبـي عامـر ،وذلك من يـوم الأربعـاء الرابـع مـن شهـر رمضـان سنـة ٣٥٩هـ . ومنـذ هـذه اللحظـه بـدأ محمـد بن أبـي عامـر يتدرج فـي مناصب الدولـة الـى أن أستبد بالسلطـه فـي خلافـة هشـام الموءيد باللـه (٣) ،كمـا كـان من موءدبـي هشـام بن الحكـم عنـد بلوغـه الثامنة من عمـره الفقيـه أحمـد بن محمد بن يوسف القسطلـي ،والعلامـة النحـوي أبو بكـر الزبيـدي الأشبيلـي ، والفقيـه يحيي بن عبد الله بن يحيي ،وأبـو علـي القالـي (٤) ، الـذي وصف هشـام بـن الحكم بقولـه " كان هشام في صبـاه

---

(١) : محمد عبد الله عنان : دولة الأسلام في الاندلس / الخلافة الأموية والدولة العامرية ع ١ ،ق ٢ ،ص ٥٠٢ - ٥٠٣

(٢) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ - ٢٥٣
— عنان : المرجع السابق ع١ ق ٢ ، ص ٥٠٢ - ٥٠٣

(٣) : أبن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٣٩ ، ٣٥١
— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ،ص ٣٢٥ .
— عنان : تراجم أسلاميه ،ص ١٠٢

(٤) : أبوعلي القالي ،هو صاحب كتاب الأمالي الذي وفد من بغداد على الخليفه الناصر والد الحكـم المستنصر ،وهو من أهل العلم ،وقد أستفاد الحكم المستنصر من علمه .

فى غاية الحذق والذكاء " الا أن الحكم بسبب أنشغاله بجمع الكتب وتجليدها أعطى الفرصه لكبار رجال الدولة لزيادة نفوذهم ، كما أخذت زوجات الحكم يفرضن نفوذهن عليه وعلى رجال دولته ، كما أصبح للسيدة صبح أم هشام بعد وفاة الحكم المستنصر أكبر نفوذ فى الدولة . وقد ترتب على ذلك أن أهمل هشام وأصبح مثلا فى الضعة والهوان نتيجة لانشغال أبيه الحكم بالعلم والمعرفة ، فترك أبنه والخليفة من بعده بدون عناية توءهله لمناصب هامة فى الخلافة (١) .

والسيدة صبح بشكنسية مسيحية الأصل من بلاد نبرة (نافار) وأسمها صبح هو المقابل العربى لأسمها الأسبانى " أورورا " والذى أصبحت تعرف به بعد زواجها من الحكم المستنصر فى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٧٦م . هذا ولا تعرف الرواية الأسلامية شيئا عن حياتها الأولى قبل زواجها من الحكم المستنصر ، وأنما تكتفى بوصفها بالجارية والحظية . ومنذ ولادتها عبد الرحمن ثم هشام ولدى الحكم المستنصر أصبحت تستأثر بنفوذ كبير لديه ، وقد كانت تملى عليه أسماء الأشخاص الذين يديرون أعمالها ، والذين يتولون المناصب الكبيرة فى الدولة . ورغم أن الرواية الأسلامية تطلق عليها أسم السيده صبح أم هشام الموءيد ، الا أن التواريخ الأفرنجية تطلق عليها أسم " السلطانه صبح " نظرا لما كانت تتمتع به من مركز يشبه مركز الملكه فى بلاطات الأفرنج (٢) وقد كان الحكم يستأنس برأيها فى معظم أمور الدولة ، كما كان لها الأثر الأكبر فى أخذ البيعة لأبنها هشام بولاية العهد وتولى الخلافة بعد موت أبيه الحكم المستنصر (٣) .

وكان الحكم يعانى من مرض الفالج الذى أقعده فى مجلسه بقصر الخلافة . وعند شعوره بقرب موته رغب أن يأخذ لأبنه هشام وكان لا يزال طفلا ولاية العهد أذ أنه

---

(١) : على محمد حموده : تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والأجتماعى ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦

- عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٠٢ - ٥٠٣

(٢) : عبد الرحمن الحجى : أندلسيات ، ص ٧٨ - ٧٩

- أبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ص ٣٣٠

(٣) : على محمد حموده ، ص ٢٢٣ ـ عنان : المرجع السابق ، ص ٥٢١

المرجع السابق

كان يخشى أن يتولى الخلافة من بعده أخوه المغيرة . وكانت السيدة صبح أم هشام تشاطر زوجها الحكم هذه الأمنية ،بل كانت الدافع القوى فى قرار الخليفة الحكم بأخذ بيعة العهد لابنه هشام فى أثناء حياته . فدعى الحكم كبار أعيان الدولة وأطلعهم على قراره فى تنصيب ابنه هشام لولاية العهد (١) . فما كان من رجال الدولة الا أن أرضوا الحكم ووافقوه على تحقيق تلك الرغبه . فعقدت البيعة لهشام بولاية العهد وتقليده الخلافة بعد أبيه الحكم المستنصر (٢) وذلك فى مجلس قصر الخلافة بقرطبة فى بداية شهر جمادى الثانية سنة ٣٦٥هـ / ٥ فبراير سنة ٩٧٦م ونفذت كتب البيعة الى سائر أقاليم الاندلس ،وقد تولى ذلك محمد بن أبى عامر وكان آنذاك صاحب الشرطة وناظر المواريث ، وميسور الكاتب مولى السيده صبح . ودعى لهشام فى الخطبة بالمساجد ، كما نقش أسمه فى السكه ،وبذلك أطمأن الحكم المستنصر على مسقبل ابنه هشام ومصير الخلافة من بعده (٣) .

ويأخذ المؤرخون على الحكم المستنصر أختياره لولده الطفل هشام لولاية العهد . ويعبر عن ذلك أبن حيان بقوله أن الحكم على ما وصف به من رجاحة : كان ممن

(١) : علي محمد حموده المرجع السابق ،ص ٢٢٣

(٢) : يقول أبن بسام فى الذخيرة (القسم الرابع / المجلد الأول ،ص ٤١) أن السببفى ذلك أن رجلا يتكلم في الحدثان قال : لا يزال ملك بني أميه في الاندلس فى أقبال ودوام ما توارثه الأبناء عن الاباء ،فأذا نقل الى الأخوة وتوارثوه بينهم فقد أدبر وأنصرف . وقد طبق الحكم ذلك بالبيعة لابنه هشام من بعده .

** DOZY:A HISTORY OF THE MOSLEMS IN SPAIN.PP.467-468.

(٣) : أبن عذارى البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٤٩

ـ أنيس النصولى : الدولة الأموية فى قرطبة جـ ١ ،ص ١٢٧

أستهواهم حب الولد ، وأفرط فيه ، وخالف الحزم فى توريثه الملك بعده فى سن الصبا ، دون مشيخة الأخوة ، وفتيان العشيرة ، ومن يكمل للأمامة ، بلا محابلة ، وفرط بهوى ، ووهلة أنتقدها الناس على الحكم ، وعدوها الحانية على دولته ، وقد كان يعيبها على ولد العباس قبله ، فأتاها وهو مختار ولا مرد لأمر الله (١) .

وبعد ملازمة الحكم سريره فى قصره مريضا عديم الحركة ، كان يقوم بتدبير شئون الخلافة حاجبه جعفر بن عثمان المصحفى ويساعده فى ذلك محمد بن أبى عامر . فلما أشتد المرض على الحكم وأصبح موته متوقعا بين الحين والآخر ، أشار محمد بن أبى عامر على الحاجب جعفر بأستركاب ولى العهد هشام فى الجيش أرهابا لأهل قرطبه ، فعمل الحاجب جعفر بمشورة محمد بن أبى عامر ، وركب هشام فى أستعراض مع الجيش فى موكب عظيم يطوف شوارع العاصمه قرطبه بمعية بعض أعيان الدولة وفى مقدمتهم محمد بن أبى عامر ، وكان ذلك فى بداية شهر صفر سنة ٣٦٦ هـ . وقد أمر هشام ولى العهد فى ذلك اليوم بأسقاط ضريبة الزيتون والمأخوذه فى الزيت بقرطبه والتى كان الناس بقرطبه يشكون منها ، وقد نسبت هذه المأثورة الى محمد ابن أبى عامر (٢) .

ولما أشتد المرض على الخليفة الحكم المستنصر وأنتقل من قصره فى الزاهرة بناءا على نصيحة أطبائه وذلك لشدة برد الجبل عليه ، وأستقر فى قصره بقرطبه ، أخذ المرض يشتد عليه يوما بعد يوم ، ولا يكاد يستفيق منه ، مما الزمه الفراش . ثم مالبث أن توفى فى اليوم الثالث من شهر صفر سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦م (٣) .

---

(١) : أبن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٤٠ (نقلا عن أبن حيان)

(٢) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٢
— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٣٢٦

(٣) : أبن بسام : نفس المصدر ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٤١
— أبن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ١٨٦ - ١٨٧
— أبن دحيه : المطرب من أشعار أهل المغرب ، ص ١٢
— أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٣٨

تولى هشام المؤيد بالله الخلافة وأثر ذلك على الوضع السياسى فى الدولة

وبعد تدنى صحة الحكم المستنصر على هذا النحو السابق ذكره، أصبح الذين يترددون عليه فى الدخول هما خادماه الصقلبيان، فائق، وجوذر اللذان كانا أول من علما بموته، وقررا كتمان خبر موته، كما قاما بضبط القصر بالحراسة حتى لا يتمكن أحد من الدخول على الحكم المستنصر وهو على فراش موته. وجلسا للتشاور بينهما، ثم عزما على تولية الخلافة للمغيرة بن عبد الرحمن الناصر – أخ الحكم المستنصر – وذلك لتوفر الشروط المطلوبه فيه، وأيضا خشية من أن يتولى هشام بن الحكم الخلافة وهو صغير فى السن فيكون غير قادر على تحمل أعباء مسئولية الخلافة بعد أبيه [1]. كما أتفقا على أن يقر المغيرة بولاية العهد لهشام من بعده، والذى سيكون قد كبر فى السن وأصبح على كفاية عالية بأدارة شئون الدولة فيما بعد. وبذلك يضمن فائق وجوذر السلطة فى أيديهما بتولى مرشحهما المغيرة الخلافة بعد الحكم. وقد قال جوذر لفائق: (ينبغى أن نحضر جعفر بن عثمان الحاجب فنضرب عنقه، فبذلك يتم أمرنا، فقال له فائق: سبحان الله يأخى تشير بقتل كاتب مولانا وشيخ من مشيختنا دون ذنب، ولعله لا يخالفنا فيما نريده، مع أفتتاح الأمر بسفك الدم). فبعثا فى طلب جعفر، فحضر اليهما ونعيا اليه موت الحكم المستنصر، وأخبراه بما قرراه فى جعل الخلافة للمغيرة، فلم يكن لدى الحاجب جعفر فى هذا الوقت سوى أجابتهما بالموافقة على قرارهما، فقال لهما: " هذا والله أسد رأى وأوفق عمل، والأمر أمركما، وأنا وغيرى فيه تبع لكما، فأعزما على ما أردتما، وأستعينا بمشورة المشيخة فهى للخلافة، وأنا أسير الى الباب فاضبطه بنفسى وأنفذ أمركما الى بما شئتما ". فخرج جعفر من القصر وضبط بابه وفى قرارة نفسه أحباط مخطط الصقلبيين فائق وجوذر [2].

---

(١) : على أدهم : منصور الأندلس، ص ٤٦ – ٤٨

* DOZY: Op.CIT.,PP.469-471.

(٢) : أبن بسام : الذخيرة، ق ٤، م ١، ص ٤٠ – ٤١
– أبن عذارى : البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٥٩ – ٢٦٠
– عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية، ص ٥١٧ – ٥١٨

ثم دعى الحاجب جعفر كبار رجال الدولة وأصحابه ، مثل زياد بن أفلح مولى الحكم ، ومحمد بن أبى عامر ، وبطانته من الجند من بنى برزال ، مما شد أزره لكثرة هذا الجمع ، فنعى اليهم موت الخليفه الحكم المستنصر ، وأطلعهم على مؤامرة الصقالبة وعلى رأسهم جوذر وفائق فى نكث البيعة لهشام ، وأسناد الخلافة الى المغيرة ، وأخذ جعفر يحث أصحابه لفشل قرار الصقلبيين فائق وجوذر ، ويقول لأصحابه : " أن حبسنا الدولة على هشام أمنّا على أنفسنا ، وصارت الدنيا فى أيدينا ، وأن أنقلبت الى المغيرة أستبدل بنا وطلب شفاء أحقاده "(١) .

وبعد أن أنتهى الحاجب جعفر من كلمته ، ظهرت الخلافات فى وجهات النظر عمن يخلف الحكم المستنصر ، فقد برز فريقان فى المنافشه فيمن يستحق الخلافة . الفريق الأول ويتزعمه الصقالبة بقيادة فائق وجوذر وعدد من العسكريين وبعض الأعيان فى الدولة الذين يرون أن المغيرة أحق بالخلافة لما له من رجاحة وقدرة على تدبير شئون الخلافة ، على عكس هشام الذى يرون فيه أنه غير مؤهل لمثل هذه المسئولية لصغر سنه . والفريق الثانى بقيادة معظم رجال الدولة ، ومنهم الحاجب جعفر المصحفى ، ومحمد بن أبى عامر ، والسيدة صبح أم هشام الذين كانوا يديرون السلطة خلال فترة مرض الحكم ، والذين رأوا أن يتولى هشام بن الحكم الخلافة ، وذلك تنفيذا لوصية البيعة فى حياة الحكم المستنصر والتى أقرها الجميع ، وهم من المشاركين فى وضعها . وهذا الفريق الثانى أيد خلافة هشام ليضمن بذلك بقاءه فى السلطة والتوسع فيها لصغر سن هشام ، وبالفعل فقد ثبتوا فى مناصبهم بعد تولى هشام الخلافة . وقد أجمع الحاجب جعفر المصحفى ومحمد بن أبى عامر ومؤيدوهم على قتل المغيرة ومبايعة هشام على الخلافة (٢) .

---

(١) : أبن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٠
— عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤
(٢) : أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠
— أبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠

وبعد أتفاق القوم على قتل المغيرة ،أخذ كل منهم يأمل من الآخر أن يقوم بهذه المهمه ،فبادرهم محمد بن أبي عامر فقال : ياقوم أخاف فساد أمركم ،ونحن نتبع هذا الرئيس ـ وأشار الى الحاجب جعفر ـ فينبغي ألا تختلفوا عليه ،وأنا أتحمل ذلك عنكم أن أنفذني ،فخففوا عليكم . فأعجب منه الحاجب جعفر والحاضرون ،وقالوا له أنت أحق بذلك لخاصتك بالخليفة هشام ومحلك من الدولة (١)

وقام الحاجب جعفر بتجهيز ممن يثق به من الجند لهذه المهمه مع محمد ابن أبي عامر ،فجهز معه بدر القائد مولى عبد الرحمن الناصر في مائة غلام من جند الخليفه . وقد أحاط الجند دار المغيرة بن عبد الرحمن الناصر من جميع جهاته ،ثم أقتحم محمد بن أبي عامر الدار ،فوجد المغيرة جالسا مطمئنا على غير أستعداد لتلك الأحداث ،فنعى اليه محمد بن أبي عامر موت أخيه الحكم المستنصر وقرار رجال الدولة بجلوس أبنه هشام للخلافة بعد أبيه . فحزن المغيرة على موت أخيه الحكم ، وبارك خلافة أبن أخيه هشام ،ثم قال لمحمد بن أبي عامر : أعلمهم أني سامع ومطيع وواف ببيعتي ، وتواثقوا مني كيف شئتم . وأخذ يناشده ويطلب منه مراجعة رجال الدولة في حقن دمه ، فرق له محمد بن أبي عامر ،وكتب الى جعفر المصحفي يصف حال المغيرة وصدقه . فأجاب جعفر يلوم محمد بن أبي عامر في التأخير في قتله ،فقال له : أذا لم تنفذ الأمر فسنبعث بشخص آخر يقوم بهذه المهمه . فغضب محمد بن أبي عامر لجواب المصحفي ،وأطلع المغيرة على ذلك الجواب ،وأدخل عليه الجند فقتلوه خنقا في مجلسه بداره ،وعلقوا جسده في مخدع يتصل بمجلسه كهيئة المختنق من تلقاء نفسه ،وذلك على مشهد من أهل بيته ، وأشاعوا أن المغيرة خنق نفسه لما أكره بالركوب الى أبن أخيه هشام لمبايعته بالخلافة ،وأمر محمد بن أبي عامر بدفنه في مجلسه بداره . وكان سنه يوم قتل سبعة وعشرين سنه (٢) .

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ،ج ٢ ،ص ٢٦١

* DOZY:Op.CIT., PP. 469-471.

(٢) :أبن بسام المصدر السابق ،ق ٤ ،م ١ ،ص ٤١

ـ السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ص ٣٢٤

ووصل نبأ مقتل المغيرة الى خادمي القصر فائق وجوذر ،فأصابتهما دهشة وغضب ،وعاتب جوذر فائق وقال : قد نصحتك فلم تسمع مني . ويقصد جوذر بذلك ما أشار به عليه بقتل الحاجب جعفر المصحفي . ثم ذهب فائق وجوذر الى جعفر لتهنئته بقراره البيعة لهشام ،وأعتذرا لما بدر منهما في جعل الخلافة للمغيرة ، وقالا له : أن الجزع أذهلنا عما أرشدك الله اليه ،فجزاك الله عن أبن مولانا خيرا ، وعن دولتنا وعن المسلمين . فأظهر لهما جعفر الأستحسان بهذه التهنئة ،ولكن في قرارة نفسه كان يخفي لهما ولكافة الصقالبة كرها شديدا لما أتفقوا عليه من عزم في تولية المغيرة الخلافة ،ولأستبدادهم في الدولة . وقد تركهم جعفر الى حين آخر وذلك ليتفرغ لأمر البيعة لهشام (١) .

وبعد مقتل المغيرة بن عبد الرحمن الناصر منافس هشام في الخلافة ، تحققت أمنية الحكم المستنصر في بقاء الخلافة لأبنه هشام . فقد قام الحاجب جعفر المصحفي ،ومحمد بن أبي عامر ،والقائد غالب ،وكبار رجال الدولة ،وأجلسوا هشاما على كرسي الخلافة ،وهو في سن الصغر . ودعي لحضور حفل بيعة الخلافة لهشام كبار أعيان الدولة من وزراء وعلماء وفقهاء ورجال القصر في قرطبه . وكان مما حضر من العلماء والقضاة من كان لهم القول المسموع ،أمثال قاضي الجماعة أبي بكر بن يحيى بن محمد بن زرب ،والقاضي أبي المطرف عبد الرحمن بن عيسى بن فطيس قاضي القضاة بقرطبه . وقد أجلس هشام للخلافة صبيحة يوم الاثنين الرابع من شهر صفر سنة ٣٦٦ هـ - / أكتوبر سنة

---

(١) : أبن عذارى : المصدر السابق ،جـ ٢ ،ص ٢٦٢

(٢) : لقد شغل أسماء الذين بايعوا لهشام بالخلافة عشر صفحات في كتاب أبن الخطيب (أعمال الاعلام ،قـ ٢ ،ص ٤٨ - ٥٣) وهي مئات الاسماء للوزراء والعلماء والقضاة والأكابر من مختلف الطبقات ،ومنهم أيضا من كان قد بايع له بولاية العهد في حياة أبيه الحكم المستنصر .

٩٧٦م ، ولقب بالمؤيد بالله (١) .

ويصف لنا أبن الخطيب حالة الخلافة الأندلسية ، وأحوال الأندلس عند تولى هشام الخلافة بقوله : " بويع ولى عهده (أى الحكم) هشام الملقب بالمؤيد بالله والخلافة قد بلغت المنتهى ، وأدركت الجنى ، وبلغ طورها ، وأنتهى دورها ، فكانت كمامة ثم زهرة بسامة ، ثم ثمرة بهية ، ثم فاكهة شهية . وكان بكرسى العامرية مجلاها ، ثم تلاها ما تلاها ، وأرخص الحطوط من أعلاها ، فكان المال قد ضاقت عنه خزائنه ، والمصر قد عظمت مزاياه ومزاينه ، والملك تعود بالله أن لا يصيبه عائنة الذى يعانيه ، والمبانى قد بلغت السماء سموا ، وزاحمت الكواكب علوا ، والبلاد قد بلغ فيها الى أقاصى الاهتمام ، وفرغت بناتها من لبنات التمام ، والآثار الصالحة قد تخلدت ، والمآثر الواضحة قد تعددت ، والأذهان فى بسطة الاسلام قد تبلدت ، ورسم الخلافة قد أمحى ، والدولة المروانية قد بركت وسط المرعى ، والدعوة قد أنتشرت فى المغرب الاقصى " (٢) .

وقد أختلف المؤرخون فى تحديد سن هشام وقت بيعته بالخلافة ، فأبن حزم يقول : ولى المؤيد بالله ولم يستكمل عمره أحدى عشر سنه (٣) . وأبن عذارى يقول ولى الخلافة وهو أبن أحدى عشر سنه وثمانية أشهر (٤) . وأبن الاثير يقول ولى هشام المؤيد بالله الخلافة وله عشر سنين (٥) . ويقول فيليب حتى ولى هشام الخلافة وله من العمر أثنتا عشرة سنة (٦) . غير أن هذه الروايات وأن أختلفت فى تحديد سنه على وجه اليقين وقت توليه

(١) : أبراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص ٣٢٩
* JAN READ: THE MOORS IN SPAIN AND PORTUGAL. P.87.
(٢) : أبن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٤٣ - ٤٤
(٣) : أبن حزم : نقط العروس فى تاريخ الخلفاء ، ص ٦٣
(٤) : أبن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤
(٥) : أبن الاثير : الكامل فى التاريخ المجلد الثامن ، ص ٦٧٧
(٦) : فيليب حتى : تاريخ العرب ج ٢ ، ص ٦٣٣

الخلافة الا انها تجمع على عدم تجاوزه سن الثانية عشرة وقتذاك . وكان ممن شهد البيعة في المجلس من أبناء الاعمام الاموين وأبنائهم وكبار رجال قريش . و هذا وقد منحت السيدة صبح أم هشام حق الوصاية على ابنها . ونقش على خاتمه " هشام بن الحكم يعتصم" . وبذلك اصبح للسيدة صبح حق الاشراف على شئون الدولة من خلال اصدار الأوامر الى الحاجب والوزراء . (١)

الوضع السياسي في الدولة الأموية بعد تولي هشام المؤيد بالله الخلافة :

وبعد تولي هشام الخلافة في الاندلس على هذا النحو ، ظهر على المسرح السياسي للدولة ثلاث شخصيات لها قوتها ومكانتها في الدولة وهي الحاجب جعفر المصحفي ، ومحمد بن ابي عامر ، والسيدة صبح اضافة الى القائد غالب الذي كان بعيدا عن حاضرة قرطبة ، الا انه كانت له قوته ومكانته في عاصمة الخلافة وذلك لما كان يتمتع به من مهارة في القيادة العسكرية ولنجاحه في صد هجوم نصارى الاسبان على حدود الدولة الأموية . وقد بدأ كل واحد من هؤلاء الثلاثة يكشف أوراقه ، فالحاجب جعفر يريد التخلص من الصقالبة خدم القصر الخلافي وعلى رأسهم فائق وجوذر وذلك لسبب قرارهم تنصيب المغيرة للخلافة ، مما كان سينتج عنه فقدان الحاجب لمنصبه في الدولة الأموية . ومحمد بن ابي عامر يرغب في تحسين مركزه وتقوية نفوذه في الدولة ليسهل عليه طموحاته البعيدة . وأما السيدة صبح الوصية فكانت تعمل من خلال وصيتها على ابنها هشام على الاستمرار في فرض سلطانها في الدولة . وقد تم لهؤلاء الثلاثة الاستئثار بالسلطة وتدعيم نفوذهم في الدولة . وأما القائد غالب فقد كان يراقب الأحداث عن بعد ، وهو في مكانه بالثغر الأعلى مرابطا على حدود الدولة الأموية . ولكن هذه السياسة التي أملتها الظروف المؤقته التي

---

(١) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٢٠

- DOZY: OP.cit., PP. 469-476.

صاحبت تولى هشام الخلافة لم تستمر ، لا سيما ان الحاجب جعفر المصحفى شعر بمنافشة محمد بن ابى عامر له فى الدولة ، نظرا لما كان يتمتع به من تأييد السيدة صبح أم هشام التى كانت ترى فيه الشخص الذى يمكن الاعتماد عليه فى حماية عرش ابنها ،، وكان محمد بن ابى عامر بدوره يرى فيها اداة سهلة يستطيع ان يخضعها لارادته ، فأكد محمد بن ابى عامر للسيدة صبح استعداده لحماية عرش الخليفة هشام المؤيد بالله ، والعمل على استتباب الأمن فى البلاد فى ظل خلافة هشام المؤيد بالله .(١)

---

(١) : الضبى : بغية الملتمس ، ص ١١٥ - ١١٦
- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، المجلد الثامن ، ص ٦٧٨
- عنان : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

الباب الأول

ظهور محمد بن أبى عامر وأستبداده بالسلطه دون الخليفة هشام المؤيد بالله

- محمد بن أبى عامر ووصوله الى منصب الحاجب وتلقبه بالمنصور وبالملك الكريم .
- جهود المنصور بن أبى عامر فى الأحتفاظ بالسلطه .
- أستقرار أحوال الدولة فى عهد المنصور بن أبى عامر .
- موت المنصور بن أبى عامر.
- رأى المؤرخين فى المنصور بن أبى عامر.

محمد بن أبي عامر ووصوله الى منصب الحاجب وتلقبه بالمنصور وبالملك الكريم

نسبه ونشأته :-

هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر محمد بن الوليد يزيد بن عبد الملك أبن عامر المعافرى ،من رجال معافر اليمنية أحدى قبائل حمير[1]. وكان جده عبد الملك من أوائل الداخلين في الاندلس مع طارق بن زياد ،ونزل معه الجزيرة الخضراء في بداية الفتح العربي للاندلس ، وأظهر شجاعة وبسالة في المعارك الحربية فيها كوفىء عنها بأقطاعات في بلدة طرش (Torrox.) التي تقع على وادى آره في شمال شرق الجزيرة الخضراء ،فساد أهلها[2].

وقد عظمت في بني عامر النباهة والوجاهة ،وجاور بعضهم الخلفاء في قرطبه ، وكان أحدهم أبو عامر محمد بن الوليد الذى ساد بعده ولده عامر وتقدم عند الخلفاء ، وولى الاعمال في الدولة الى أن مات بقرطبه ، وباسمه نقش محمد بن أبي عامر السكة ورقم الاعلام . وكان عبد الملك المكنى بأبي حفص والد محمد أبن أبي عامر من أهل الدين والزهد في الدنيا والعزوف عن السلطان ،سمع الحديث ، وأدى فريضة الحج ، ومات في مدينة طرابلس الغرب بليبيا وهو عائد من الحج . وقد أصهر التميميين المعروفين ببني برطال ، فتزوج بريهة بنت يحيى أبن زكريا ،فولدت له محمد بن أبي عامر سنة ٣٢٨ هـ بقرية طرش ،وأخاه يحيى . وكانت أم عبد الله والد محمد بن أبي عامر بنت يحيى بن أسحاق وزير الخليفه الناصر لدين الله وطبيبه الخاص .[3]

---

(١) : المراكشي : المعجب ، ص ٧٢
(٢) : أبن خلدون : العبر ،المجلد الرابع ،ص ٣١٨ - ٣١٩
(٣) : أبن بسام : الذخيرة ،ق٤ ،م ١ ،ص ٣٩ - ٤٠
ـ أحمد العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ،ص ٢٤٢
-DOZY:Op.cit.,PP.458-459.

وقال فيه الشاعر أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج المعروف بالقسطلي قصيدة

فيها : تلاقت عليه من تميم ويعرب ... شموس تلألأ في العلا وبدور

من الحميريين الذين أكفهم ... سحائب تهمي بالندى وبحور (١)

ورحل محمد بن أبي عامر الى قرطبه وهو شاب في مقتبل عمره ، والتحق بجامعتها ،وكان حسن النشأة ،ظاهر النجابة ،طالبا للعلم ،وكانت له همة يحدث بها نفسه بأدراك معالي الأمور . وكان محبا لقراءة التاريخ لما فيه من سير الذين بلغوا من مراتب المجد رفعة وهم من أسر بسيطة في قومهم . وكان زملاؤه الطلاب يلقبونه بالمعتوه ويهزؤن به بما كان يصرح لهم به من أن المستقبل سيشهد أبراز مواهبه ، ولما كان يظهره من أعتداد بنفسه .

وهذان المثلان اللذان ننقلهما عن المصادر يتضح لنا مدى أعتزازه بنفسه وتطلعه الى حكم الاندلس . فأولهما ما يرويه لنا أبن الخطيب من أنه بينما كان محمد بن أبي عامر مع بعض زملائه من الطلبه منهم أبن عمه عمر بن عسقلاجه ، والكاتب أبن المارعزى ،ورجل آخر يعرف بأبن الحسن من جهة مالقه ،وموسى بن عزرون ،يتنزهون في أحدى حدائق قرطبه يتبادلون الحديث ،ويتكلمون عن المستقبل — كما هو شأن الطلبه في كل زمان — قال لهم : " لابد لي أن أملك الاندلس ،وأقود العسكر ،وينفذ حكمي فيها " . فضحكوا منه ،وقال لهم : " تمنوا علي " فقال له أبن عمه عمر عسقلاجه أن توليني المدينة ،وقال أبن الحسن توليني القضاء بجهتي وهي قضاة كورة رية وهي مالقة وأعمالها فأنه ليعجبني هذا التين الذي يجنىء منها . وقال أبن المارعزى : توليني حسبة السوق فأني أحب هذا الاسفنج الموجود في الأسواق . وقال موسى بن عزرون : أذا أفضي اليك الامر ياصاحبي فامر أن يطاف بي في قرطبه على حمار ووجهي الى الذنب وأنا مطلي بالعسل ليتجمع على الذباب

(١) : الضبي : بغية الملتمس ،ص ١١٧
— المقري : نفح الطيب ،جـ ١ ،ص ٤٠٦

والنحل . فلما تولى محمد بن أبى عامر مقاليد السلطة في الاندلس حقق لهم ذلك ما عدى موسى بن عزرون الذى قال : أغرمنى أنا مالا عظيما أجحفني وأفتقرني لقبح ما كنت جئت به (١) .

ثم أتم محمد بن أبى عامر دراسته بجامعة قرطبه ،وسلك القضاء في بداية حياته مقتديا نهج أهله ،فقرأ اللغة والادب على معلمه أبى على القالي ،وأبى بكر بن القوطية ،وقرأ الحديث عن أبى بكر بن معاوية القرشي (٢) .

ويروى لنا عبد الواحد المراكشي هذا المثل الثاني نقلا عن أبن حزم قال : أخبرني أبو عبد الله محمد بن أسحاق التميمي ،قال : كان محمد بن أبى عامر نازلا عندى في حجرة فوق بيتي ،فدخلت عليه في بعض الليالي في آخر الليل فوجدته قاعدا على الحال التي تركته عليها أول الليل حين فصلت عنه ،فقلت له : ما أراك نمت الليلة ،قال لا . قلت فما أسهرك ؟ قال : فكرة ؟ عجيبة ! قلت : في ماذا تفكر؟ قال : فكرت أذا أفضى الى الامر ومات محمد بن بشير القاضي ــ قاضي قرطبة ــ بمن أستبد له ومن الذى يقوم مقامه ،فَجُلت الاندلس كلها بخاطرى ،فلم أجد الا رجلا واحدا . قلت : لعله محمد بن السليم ؟ قال : هو والله هو ، لشد ما أتفق خاطرى وخاطرك (٣) .

هذه الروايات العجيبة التي تحكي عن محمد بن أبى عامر في بداية حياته توضح لنا مدى تتطلعه وروءيته لمستقبل حياته .

---

(١) : أبن الخطيب : أعمال الإعلام ،ق ٢ ،ص ٧٧ - ٧٨
ــ على أدهم : منصور الاندلس ،ص ١١ - ١٣
-DOZY:Op.cit.,PP.458-459.

(٢) : أبن الخطيب : نفس المصدر ،ق ٢ ،ص ٧٨٧٧
ــ أنيس النصولي : الدولة الاموية في قرطبة ،جـ ١ ،ص ١٢٣ - ١٢٤
ــ لين بول : قصة العرب في أسبانيا ،ص ١٤٢

(٣) : المراكشي : نفس المصدر ،ص ٧٢ - ٧٣ (نقلا عن الحميدى) .
ــ محمد على حمودة : تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ،ص ٢٢٨

علاقته بالسيده صبح زوجة الخليفه الحكم المستنصر :-

قام محمد بن أبي عامر بعد أن أكمل دراسته بأفتتاح دكان صغير بالقرب من مدخل قصر الخليفه ، وذلك لكتابة الرسائل لخدم القصر وأصحاب الحاجات لدى الخليفة . وكان بارعا في صياغة الرسائل لما يتمتع به من ثقافة أدبية رفيعة(١) .

وبلغ خبره السيده صبح زوجة الحكم المستنصر وذلك عن طريق خدم القصر وغلمانه . وكانت هي في حاجة الى مثل محمد بن أبي عامر ليدير أملاكها . فطلبت من الحكم المستنصر تعيينه لذلك الغرض . فعين محمد بن أبي عامر في هذه الوظيفة وأظهر كفاءة ممتازة في عمله ، مما جعل السيدة صبح تشيد بأعجابها به ، ودفعها ذلك الى مساعدته في تدرجه في المناصب العالية في الدولة . وقد أزداد أعجابها به لما كان يقدمه لها من خدمات وتحف في سبيل الفوز برضائها عنه . ويذكر أنه وقت أن كان ناظرا للخزانة العامة صنع لها قصرا مصغرا من الفضة بديع الصنع والزخرف ،أنفق عليه أموالا كثيرة ،وحمله على روءوس الرجال من داره الى قصرها وقد شهده جمع كبير من أهل قرطبه حين حمل من دار محمد بن أبي عامر الى القصر فنال منظره أعجابهم ،ولبثوا وقتا يتحدثون عنه(٢) .

وكانت هذه العناية من محمد بن أبي عامر تقع من قلب السيدة صبح أحسن موقع ويزيدها أعجابا به وموءزارة له . وكان الحكم المستنصر يشهد هذا السحر الذي ينفثه محمد بن أبي عامر الى حظيته صبح والى نساء قصره ويعجب له .ويروى أنه

(١) : أبراهيم بيضون : الدولة العربية في أسبانيا من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة ،ص ٣٣١
ــ فليب حتي : تاريخ العرب ،جـ ٢ ،ص ٦٣٣

(٢) : محمود يوسف : مقال بعنوان : المنصور بن أبي عامر . مجلة تطوان ،العدد الثالث ،ص ١٦٣ - ١٦٤ ،المغرب ،١٩٥٥م

-DOZY:Op.cit.,PP.461-462.
-JAN READ:Op.cit.,PP 86-87.

قال يوما لبعض ثقاته : مالذى استلطف به هذا الفتى حرمنا حتى يملك قلوبهن ، مع اجتماع زخرفة الدنيا عندهن ، حتى صرنّ لا يصفن الا هداياه ، ولا يرضين الا بما أتاه . وكان الحكم لشدة نظره في الحدثان يتخيل في محمد بن ابى عامر أكثر الصفات المجتمعة في النسب والبلد ، فيقول لخاصته : أما تنظرون الى صفرة كفيه . فيقولون له : أرح نفسك منه . فيقول لهم الحكم : لوكانت به شجة لكانت تكملة صفاته . وقضى الله ان تكون لمحمد بن ابى عامر شجة يوم ضربه غالب قائد الثغر الأعلى الاندلسى أثناء القتال بينهما بعد موت الحكم .(١)

وقد ارتاب الحكم فيما كان ينفقه محمد بن ابى عامر من أموال وثاب له رأى في نكبته وسعى لديه بعض خصوم محمد بن ابى عامر ،فاتهمه الحكم بتبديد أموال العامه التى عين للنظر عليها في شراء التحف والانفاق على أصدقائه . وأمره الحكم ان يقدم حساب الخزينة التى في عهدته وذلك ليتحقق من سلامتها . وكان محمد بن ابى عامر يشعر بعجز كبير فى الخزانة لما يصرفه من أموال منها لحسابه الخاص ، فما كان منه أن ذهب الى صديقه الوزير ابن حدير الذى كان وافر الجاه والثراء ، فساعده وأمده بماله ليتدارك هذا العجز . فتقدم محمد ابن ابى عامر الى الخليفة الحكم سليم العهد برىء الذمة ، فزالت شكوك الخليفة عنه ، وازدادت صلته به . واستمر محمد بن ابى عامر متمتعا بنفوذه في الدولة ، وينتدب لعظام المهام .(٢)

بل وازداد حرصه على كسب عطف السيدة صبح وعلى جمع الأصحاب والانصار بحسن معاملته وكرمه مع من يتعامل معه من الناس . وكانت السيدة صبح بدورها تعمل على وصوله الى أرفع المناصب في الدولة ، وذلك لمواهبه ولعطفها عليه .(٣)

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ،ص ٢٥٧
(٢) : احمد العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ،ص ٢٤٣
(٣) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٢٣

فكان اعجابها الشديد بمقدرته وتوفيقه في المهام التي كانت تسند اليه يضاعف من ثقتها به ، ويعميها عن ادراك الغاية التي كان يسعى الى تحقيقها ، وهي الوصول الى قمة الحكم في الاندلس . وكان هو يرى في السيدة صبح ملاذ حمايته ورعايته لدى الخليفة الحكم الذي كان وجوده يحد كثيرا من اطماعه ومشاريعه ، والتي لم تظهر الا بعد وفاته .(١)

تدرجه في مناصب الدولة :-

وكما ذكرنا فان كل منصب كان يتدرج فيه محمد بن ابي عامر انما كان بمساندة السيدة صبح . ويذكر ان اتصال محمد بن ابي عامر بخدمة الحكم كان عن طريق الحاجب جعفر المصحفي عند ما طلب منه الحكم تعيين وكيل لولده الصغير عبد الرحمن ، فقد ذكر له الحاجب جعفر محمد بن ابي عامر ووصفه للسيدة صبح وذلك ضمن جماعة مرشحين لذلك المنصب ، فاختارت محمد بن ابي عامر ، فعينه الحكم لخدمتها وخدمة ابنها عبد الرحمن في يوم السبت التاسع من شهر ربيع الأول سنة ٣٥٦ هـ براتب شهري وقدره خمسة عشر دينارا ، وكان محمد بن ابي عامر في السابعة والعشرين من عمره اثناء تعيينه في الخدمة . وبعد موت عبد الرحمن بن الحكم خصص مرة اخرى لخدمة السيدة صبح للنظر في اموالها وضياعها ، ثم ترقى الى النظر على الخزانة العامة . وفي السابع من شهر محرم سنة ٣٥٨ هـ تولى خطة المواريث ، وبعدها قضاء كورة ريه . وفي الثاني عشر من شهر ذي الحجه سنة ٣٥٨ هـ عين قاضيا على كورة أشبيلية ولبلة وأعمالها ، ثم عين في الرابع من شهر رمضان سنة ٣٥٩ هـ وكيلا لهشام بن الحكم . وكان محمد بن ابي عامر في الواحدة والثلاثين من عمره حين عين في هذا المنصب ، فزادت مكانته لدى السيدة صبح التي كان لها اليد الطولى في تدرجه

(١) : عنان : تراجم اسلامية ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٧ - ٢٠٨

في كل هذه المناصب [١] .

وقد كون محمد بن أبي عامر من خلال تدرجه في هذه المناصب علاقات جيدة مع الناس ،فتزاحموا على بابه ،وأنساهم همومهم ومتاعبهم من أصحاب السلطان ، وذلك بقضاء حاجاتهم وكرم لقائه لهم ،وسهولة مقابلته وحسن أخلاقه ،فكبر جاهه في أعينهم . كما أبتني له دارا بالرصافة ،وأتخذ له كبار الكتاب ،وكانت مائدته موضوعة لمن يدخل داره وكانت همته ترنو على الدوام الى طلب المعالي ،كما كان لا يفارق الحاجب جعفر المصحفي الرجل الأول في دولة الحكم المستنصر ،والذى كان يصانعه .

وعن طريق صحبته وملازمته للحاجب جعفر ظل يواصل أرتقاء المناصب ، وظل نجمه في سطوع . ففي يوم السبت الرابع عشر من شهر شوال سنة ٣٥٩هـ عين للنظر في أمانة دار السكة [٢] أضافة الى وكالة هشام .

1-DOZY:P,cit.,PP .461-462.

(٢) : أبن عذارى : المصدر السابق ،جـ ٢ ص٢٤٣ - ٢٤٤، ٢٥١
- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ،ص ٣٢٥
- علي أدهم : منصور الاندلس ،ص ٢٩
-GEORGE C.MILES:THE COINAGE OF THE UMAYYADS OF SPAIN,NEW YORK,1950., PP.68-69,P.323, 329,332.

(منذ سنة ٣٥٦ هـ وحتى سنة ٣٦٧ هـ كان يسك أسمه " عامر " على وجه الدينار مع أسم الحاجب جعفر ،حاجب الخليفة الحكم المستنصر . وبعد أن تولى الحجابة أبتداء من ١٣ شعبان سنة ٣٦٧ هـ سك أسمه على وجه الدينار بصفته حاجبا . أنظر الدنانير التي تحمل أسمه " عامر" بحكم توليه أمانة دار السكة والتى ترجع الى سنوات ٣٥٧ و ٣٥٩ و ٣٦٠هـ)
- وأنظر أيضا في هذا الصدد :
-HENRI LAVOIX:CATALOGUE DES MONNAIES MUSULMANES DE LA BIBLIOTHEQUE, NATIONALE.PARIS 1891,P.58,64-65.

وفي الثالث عشر من شهر ذي القعده سنة ٣٦٠ هـ أنتدبه الحكم لأستقبال كبار بني خزر وأمراء زناته وعلى رأسهم علي بن حمدون ، والقادمين من العدوة المغربية . وفي سنة ٣٦١ هـ عينه الحكم المستنصر للأشراف على الشرطة الوسطى (١) .

وفي أوائل شهر شوال سنة ٣٦٢ هـ بعثه الحكم المستنصر الى العدوة المغربية ضمن الجيش المرسل اليها وزوده بأحمال الأموال والحلي وذلك لتوزيعها على كبار أعيان قبائل البربر والموالين للخلافة الأموية في الأندلس ، فقام بهذه المهمه على أحسن ما يرام ، وأستمال أهلها ، وعين قاضي القضاة فيها ، فأصلح العدوة وطوعها في ظل الخلافة الأموية . وفي بداية شهر جمادى الثانية سنة ٣٦٥هـ عين لتنظيم بيعة العهد لهشام بن الحكم ، وقبل موت الحكم عين للنظر في الحشم " الخاص" (٢) . وبعد موت الحكم أسندت اليه مهمة قتل أخيه المغيرة بن عبد الرحمن والذي كان مرشحا للخلافة من بعده ،

(١) : يرجع الفضل للأمير عبد الرحمن الأوسط في أدخاله خطة الشرطة في نطاق النظام القضائي كخطة مستقله ذات سلطات خاصة ، وكذلك بفصلها عن ولاية السوق . وقد جعل الشرطة قسمين ، شرطة كبرى وشرطة صغرى : أما الشرطة الكبرى فقد كانت ولايتها على الخاصة . والشرطة الصغرى كانت ولايتها على العامة (أنظر أبن حيان : المقتبس ، تحقيق د / محمود مكي ، ص ٢٨٦ — أبن خلدون : المقدمه ، ص ١٨٥ — ١٨٦ ، ٢١٠) .
وفي عهد عبد الرحمن الناصر وعلى وجه التحديد سنة ٣١٧هـ ظهرت شرطة ثالثه أطلق عليها أسم الشرطة الوسطى . وبذلك أصبح في عصر الخلافة ثلاثة أنواع من الشرطة ، ويرى ليفي بروفنسال أن الشرطة الوسطى كانت مختصة بأفراد الطبقة المتوسطة من التجار وصغار الموظفين الذين كانوا يعملون في الدواوين . (أنظر أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٠٢

-LEVI-PROVENCAL: L'ESPAGNE MUSULMANE, T. 111, PP. 156-157.)

(٢) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ص ٤٩٦ — ٤٩٧ ، ٥٢٢

ثم قام بمهام أخذ البيعة لهشام بالخلافة في الأندلس . وبعد موت الحكم دخلت نصارى الأسبان الأراضي الأسلاميه للأندلس مستغلة موت الخليفة ،فبعثه الحاجب جعفر المصحفي على رأس الجيس الأسلامى لصدهم ،فتمكن من الأنتصار عليهم وهزيمتهم ،وعاد الى قرطبه بعد هذه المعركه وأصبح فى أعداد الوزراء في دولة هشام بن الحكم (١) .

وقد أنتقل الى منصب الوزارة في اليوم السادس من خلافة هشام في شهر صفر سنة ٣٦٦ هـ ، ثم خصصه الخليفة هشام ليكون رسولا بينه وبين الحاجب جعفر المصحفي في تدبير شئون الدولة . وبعد عودته منتصرا من غزوته الثالثة سنة ٣٦٧ هـ ،رفعه الخليفة هشام المؤيد بالله الى خطة الوزارتين أسوة بغالب قائد الثغر الأعلى ،ورفع راتبه الى ثمانين دينارا في الشهر ، وهو راتب الحجابة في ذلك العصر . ثم أصدر الخليفة هشام المؤيد بالله بعد ذلك قرارا بمشاركته الحجابة مع الحاجب جعفر المصحفي .
وفي شهر شعبان سنة ٣٦٩ هـ عين محمد بن أبى عامر حاجبا للخليفة هشام المؤيد بالله بدلا من الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي الذى أودعه محمد بن أبي عامر في السجن حيث مات فيه (٢) .

تلقبه بالمنصور وبالملك الكريم وأستبداده بالسلطة :-

وكان لمساندة السيدة صبح لمحمد بن أبى عامر أثرها في تقوية نفوذه في الدولة . فقد قام بطرد الصقالبة من قصر الخليفة ،وتمكن من القضاء على أقوى منافسيه السياسيين في الدولة ،وكان بدهائه يقتل بعضهم بسلاح بعض . ونتيجة لهذه السياسه قضى على أقوى منافسيه ومعارضيه ،أمثال الحاجب جعفر المصحفي وغالب قائد الثغر الأعلى الأندلسي ويعلى بن حمدون ،وأبنه عبد الله ،وعبد الرحمن بن مطرف التجيبى صاحب سرقسطه ،ثم حجر على الخليفة هشام المؤيد بالله في قصره ،وتنكر في النهاية الى السيدة صبح التي

(١) : المقرى : نفح الطيب ،جـ ١ ،ص ٣٩٩
(٢) : أبن الخطيب : أعمال الأعلام ،قـ ٢ ،ص ٥٩ — ٦٠
— عنان : المرجع السابق ،ص ٥٢٩
— محمد لبيب البتنوني : رحلة الأندلس ،ص ٦٩

ساعدته في وضع يده على الدولة الأموية .

وبالاضافة الى ذلك فقد أدت الانتصارات التي أحرزها على التحالف المسيحي في معركة وادي دويرة الأوسط الى رفعة شأنه وتمكينه من جعل الدولة في قبضة يده ، فانفرد بالسلطة في الأندلس ، وتسمى في عام ٣٧١ هـ / ٩٨١ م بالحاجب المنصور ، ودعي له على منابر المساجد . وأستيفاء لرسوم الملوك ، كانت الكتب تنفذ عنه : " من الحاجب المنصور بن أبي عامر محمد بن أبي عامر الى فلان " ، وجرى في ذلك مجرى المتغلبين على سلطان بني العباس في المشرق من أمراء الديلم (١) .

وأخذ الوزراء وكبار أعيان الدولة بتقبيل يده ، ثم تبعهم على ذلك وجوه بني أمية ، فكان من يدخل عليه من الوزراء وغيرهم من رجال الدولة يقبلون يده ، ويتكلمون أحسن الكلام عند مخاطبته ، وأذا دخل على مجلسهم أبن من أبناء المنصور ، قاموا اليه وقبلوا يده .

وبذلك تساوى المنصور بن أبي عامر مع الخليفة هشام في هذه المراتب ، ولم يجعل فرقا بينه وبين الخليفة هشام الا في الاسم فقط وفي تصدير الكتب عنه . وبلغ في الجلالة وغاية المجد ما بلغه الخلفاء في الدولة (٢) . وأصبح الرجل القوى والحاكم المطلق في دولة الخلافة الأموية في الأندلس التي أخذت تتخلى عن ثوبها الأموي بأستثناء لقب الخلافة الذي لم يعد يسمع الا في الخطبة كل يوم جمعه في المسجد الجامع بقرطبه . وقد أرتبطت الدولة بكامل أجهزتها بالمنصور الذي أضفى على نفسه الألقاب الملكية ، ونقش أسمه على الطرز ، ودعي له على منابر مساجد الأندلس . وأستيفاء لاستقلاليته بالدولة قام ببناء مدينة الزاهرة سنة ٣٦٨ هـ وجعلها عاصمة ملكه ، وأنتقل اليها في سنة ٣٧٠ هـ ، ونقل اليها أيضا خزائن الأموال والأسلحة وأدارات الحكومة وحاشيته ووزراءه ، متخذا سمة الملك فيها (٣) .

1- JAN READ:Op.cit.,P.88.

(٢) : أبن عذاري : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩- ٢٨٠ ، ٢٩٤

(٣) : السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة في الأندلس ، جـ ١ ، ص ٢٥٩ — ٢٦٠

فجلس على كرسي الملك ، وأمر أن يحيى تحية الملوك ، وجعل له حرسا خاصا من البربر و الصقالبة . وتلقب بالمنصور ، ثم قلد الحجابة لابنه عبد الملك سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١م ، وكان عبد الملك في الثانية عشر من عمرة ، ونفذت الكتب عنه باسم " المنصور بن أبي عامر وفقه الله " كما تسمى أيضا في سنة ٣٨٦ هـ " بالملك الكريم " (١) .

وكانت هذه دلائل واضحة على حقيقة الغاية التي يسعى اليها المنصور بن أبي عامر ، وهي أن ينسخ الخلافة الأموية حكما كما نسخها سلطانا ، وأن ينشئ دولة عامرية تتمتع بمراسيم الملك والخلافة ، فقد حجب الخليفة هشام في قصره ومنعه من الظهور على الناس وأمر بالا ينفذ له أمر ، وجمع السلطة كلها في قبضة يده .

وقد تمتعت البلاد في عهده بالأمن والاستقرار ، ولم يضطرب عليه شيء طوال فترة حياته في الحكم ، وذلك لقوة شخصيته وحسن سياسته في أدارة الدوله . كما قام بأسقاط منافسيه من رجال الحكم من سائر الطبقات ، وقام بأبدالهم رجالا من أصطناعه سدوا مكانهم وأعانوه على أمره في تقوية سلطانه (٢) .

وموجز القول فقد أصبح المنصور بن أبي عامر الحاكم الفعلي في الأندلس بفضل مهارته السياسيه والعسكرية ، ونجاحه في أصلاح أحوال البلاد الداخلية وكثرة غزواته في بلاد النصارى ، وأنتصاراته فيها ، مما قوى مركزه وسلطانه في الأندلس . أضافة الى أن المنصور قد سيطر على الخليفة هشام وأمه السيدة صبح ، فتاريخ الأندلس في هذه الفتره (٣٦٨ — ٣٩٩ هـ / ٩٧٨ — ١٠٠٩ م) هو تاريخ أسرة ليست من بيت ملك ، ولكنها أستطاعت أن تستبد بالحكم وتتصرف في شئون الدولة تصرفا كاملا ، فتلك هي الأسرة العامرية ، والتي يطلق عليها الدولة العامرية ، الممثلة في الحاجب المنصور بن أبي عامر وولديه عبد الملك المظفر ،

---

(١) : أبراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣
(٢) : أبن بسام : الذخيرة ق ٤ ، م ١ ، ص ٤٣ - ٤٤
— محمد علي حموده : تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ، ص ٢٢٨
— عنان : تراجم أسلاميه ، ص ٢٠٩

وعبد الرحمن الملقب بشنجول (١) .

وكان المنصور بن أبى عامر يعتزم أن يتخذ سمة الخلافة ،ولذلك جمع للمشورة فى ذلك الأمر قوما من خواصه ،منهم أبن حزم ،وأبن عياش ،وأبن فطيس من الوزراء ،ومن الفقهاء محمد بن يبقى بن زرب ،وأبو عمر بن المكوى والأصيلى . فأما أبن عياش وأبن فطيس فقد وافقاه على قراره ،وأما أبن حزم فقد قال للمنصور معارضا لهذه الفكرة بقوله : أنى أخاف من هذا تحريك ساكن ،والأمور كلها بيدك ومثلك لا ينافس فى هذا المعنى . أما الفقهاء فقد تردد رأيهم بين الأعتراض والموافقة ،فقال الأصيلى : يامولاى عربى ضابط خير من قريشى مضيع . وقال أبو عمر بن المكوى : يامولاى ومثلك يفكر فى هذا وأنت الكل وكل شئ بيدك وأنما يرغب فى الأسماء من لا يحقق ،والمدار على الحقيقة وهى بيدك . فسكت المنصور (٢) .

ويبدو أن المنصور قرر عدم أتخاذ سمة الخلافة ،لأن الظروف لا تساعد على ذلك وخوفا من عدم قبول الناس لهذا القرار ،فهم يرون أن الخلافة لا تصح الا فى قريش . وحفاظا على سمعته الطيبة ومحبة الناس له لم يفكر طول حياته فى الحكم فى أنتزاع سمة الخلافة ، كما أوصى قبل موته أبنه عبد الملك بعدم المساس برسوم الخلافة . ولكن فى عهد أبنه عبد الرحمن ظهرت النكسة على الدولة العامرية عند ما أراد أن تؤول اليه الخلافة بأجباره الخليفة هشام بولاية العهد له ،فكان من نتيجة ذلك مقتله وزوال الدولة العامرية على يد محمد بن هشام أبن عبد الجبار (٣) .

---

(١) : أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ،ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٢) : شوقى ضيف : مقال بعنوان : نقط العروس فى تاريخ الخلفاء لأبن حزم . مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهره) المجلد الثالث عشر ،الجزء الثانى ،ص ٧٧

(٣) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٥٥٤

جهود المنصور بن ابى عامر فى الاحتفاظ بالسلطة

طرد الصقالبه من قصر الخليفة وتصفيتهم من مراتبهم فى الدولة :-

بعد موت الحكم المستنصر ، وتولى هشام ابنه الخلافة من بعده وهو فى سن الصغر اخذ المنصور بن ابى عامر يشرع فى تصفية منافسيه فى السلطة ، وذلك تحقيقا لرغباته التى رسمها فى عهد الحكم المستنصر ، وهى الانفراد بالسلطة فى الاندلس مستغلا صغر الخليفة هشام المؤيد بالله ومؤازرة السيدة صبح له . وقد وجد الطريق امامه شاقا وطويلا ومليئا بالخصوم والأعداء داخل البلاد وخارجها ، ولكنه استطاع بعزيمته ان يوقع بين خصومه ،ويضرب بعضهم ببعض ، ثم يصرعهم واحدا بعد الآخر . وكان مبدأه فى تحقيق ذلك ان الغاية تبرر الوسيلة . وكان أول عمل قام به المنصور ان انتهز فرصة العداء الذى بين الحاجب جعفر المصحفى والصقالبه ، فحث الحاجب جعفر على تصفية الصقالبه الموجودين فى قصر الخلافة وعلى رأسهم الفتيان فائق وجوذر ، وذلك لما بدر منهما من معارضة فى البيعة لهشام بالخلافة ، ورغبتهما فى اسنادها الى المغيرة بن عبد الرحمن ، عم هشام المؤيد بالله .

والصقالبه يتكونون من الأسرى النصارى المسيحيين ، وبعضهم كانوا يأتون اطفالا يباعون فى أسواق الرق ثم اعتنقوا الاسلام وحسن اسلامهم (١) واجادوا للغة العربية ، ونبغ منهم الكثير فى الادب والنثر والنظم . اما الصقالبة القائمين بخدمة بلاط الخليفة فى الاندلس ، فيقول عنهم ابن حوقل الذى زار الاندلس فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى : انهم من اصل الماني وفرنسي وجليقي ،وان عددهم بلغ فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ما يقرب عن ١٣٧٥٠ رجلا . وكان لهم نفوذ كبير فى الدولة الأموية ،

---

(١) : احمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥
- على ادهم : منصور الاندلس ، ص ٥٤ - ٥٥

وايضا كانت لهم املاك شاسعة فيها ، كما عهد اليهم بالوظائف العليا فى الجيش والحكومة .(١)

وفى عهد الخليفة الحكم المستنصر كان عدد الصقالبه القائمين على خدمته فى القصر ما يزيد عن الالف صقلبى . ولما مات الحكم المستنصر كان الصقالبة فى قصر الخلافة وعلى رأسهم فائق وجوذر يعتقدون ان لا غالب لهم ، وان الخلافة مسيرة فى أيديهم . وكان قد ظهرت منهم فى خلافة الحكم المستنصر أمور مستهجنة ، ومع ذلك كان الحكم المستنصر يقول عنهم : " هم أمناؤنا وثقاتنا على الحرم ، فينبغى للرعية ان تلين لهم وترفق فى معاملتهم " .(٢)

وبعد موت الحكم المستنصر شعر كل من الحاجب جعفر المصحفي والمنصور بن ابى عامر ان الصقالبة أصبحوا يكونون قوة لها كيان فى قصر الخليفة ، وانه أصبح يخشى غدرهم ودسائسهم خاصة بعد مقتل المغيرة مرشحهم للخلافة . فاحتاط منهم الحاجب جعفر بصفته حاجب الخليفة هشام والقائم بأمر دولته ، ووضعهم تحت رقابته فأغلق الباب الحديدى المخصص لدخولهم الى القصر ، وأمرهم بأن يدخلوا القصر مع بقية الناس من باب السّدة ، وذلك لكى يتمكن من احكام الرقابة عليهم . كما قام بفصل الغلامين الصقلبيين فائق وجوذر من قصر الخليفة مع بقية الصقالبه القائمين على خدمة القصر ، وكانوا قرابة خمسمائة صقلبى ، وطلب من المنصور بن ابى عامر الحاقهم فى حاشيته ، فدخل جميع هؤلاء الصقالبة فى خدمة المنصور بن ابى عامر .

وقد احس الصقالبة بسوء مصيرهم ، فاستقال كبيرهم جوذر من الخدمة . وشعر بقيتهم ان نجمهم بدأ يأفل ، فاجتمعوا ونصبوا الفتى الصقلبى درى خلفا لزعيمهم جوذر . فشعر الحاجب جعفر المصحفى ان الصقالبه لا يزالون يخططون لاطاحته ، فطلب من المنصور ابن ابى عامر القضاء على زعيمهم درى وذلك ليكسر قوتهم ويحد من تجمعهم .

---

(١) : عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ١٣٣ - ١٣٤
-JAN READ, OP. cit., P 73

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٩
— ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٢٥٩

فدعى المنصور بن أبي عامر زعيمهم درى الى بيت الوزارة للتحقيق معه فى أمور نسبت اليه والى أصحابه الصقالبة ،وبينما كان درى قادما الى مجلس الوزراء شاهد كثرة الجند يحيطون به فشعر بالخوف ،وحاول أن يعود قبل دخوله الى المجلس ،ولكن المنصور منعه من العودة وأمر الجند بالقبض عليه ،وأنهال الجند عليه ضربا فلحقته ضربة بصفح السيف ،وحمل الى داره وقتل من ليلته (١)

وبعد تلك الحادثة شعر المنصور بن أبي عامر أن الفرصة سانحة لسحق الصقالبة ،فأمر فائق الصقلبى وبقية زعماء الصقالبة بالمكوث فى منازلهم . ثم أخذ يفرق جمعهم ويطاردهم ويقوم بتصفية أموالهم كما أشهر القتل فيهم ،والنفى الى خارج الأندلس ، وأخيرا قام بنفى فائق الصقلبى الى جزيرة ميورقة فمات هناك (٢) ،وبذلك أنهار سلطان الصقالبة . وقد قلد الحاجب جعفر أمر خدمة قصر الخليفة الى الفتى الصقلبى سكر الذى كان يثق فيه .

وينقل لنا أبن عذارى تعبير أبن حيان عن أرتياحه فى طرد الصقالبة بقوله :
وقد كان الصقالبة في البداية زينة الدولة ،وكان ظهورهم بجموعهم المتألقة ،وأزيائهم الضخمة يسبغ على القصر وعلى موكب الخلافة طابعا من الأبهة والعظمة ،ولكنهم منذ أن أستأثروا بثقة الخليفة وبسطوا سلطانه على القصر والدولة ،أشتد طغيانهم ،وثقلت وطأتهم على أهل الدولة والشعب قاطبة . وقد فرح الناس فى قرطبة من طردهم من قصر الخلافة والسلطة ،فعبر الشاعر سعيد الشنتريني عن فرحته هذه بقصيدة أظهر فيها أعجابه لما قام به الحاجب جعفر والمنصور بن أبي عامر من عمل طيب بأخراج الصقالبة من السلطة والقصر ، ونفيهم خارج البلاد (٣) .

---

(١) : أبن عذارى : المصدر السابق ،جـ ٢ ،ص ٢٦٣ - ٢٦٤
— فليب حتى : تاريخ العرب ،جـ ٢ ،ص ٦٣٣

(٢) : أبن بسام : الذخيرة ،ق ٤ ،م ١ ،ص ٤٤
— أبن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ،جـ ١ ،ص ٢٠٠

(٣) : أبن عذارى : المصدر السابق ،جـ ٢ ،ص ٢٦٣ - ٢٦٤ ،٢٨١ (نقلا عن أبن حيان)
— لين بول : قصة العرب فى أسبانيا ،ص ١٤١ - ١٤٢

اعفاء جعفر بن عثمان المصحفى من الحجابة ووفاته فى سجنه :-

بعد ان انتهى المنصور بن ابى عامر من تصفية الصقالبة ونفى بعضهم خارج الاندلس ، ادرك انه امتدادا لمخططه فى السيطرة على الدولة ، بقى عليه التخلص من أقوى منافسيه فى الحكم لكى تصبح له السيطرة الكاملة على الدولة الأموية ، ويصبح هو الرجل الأول فيها . فأول من رسم الخطة للقضاء عليهم من منافسيه هو الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى أقواهم والرجل الأول فى دولة الخليفة هشام . وقبل ان نتكلم عن تاريخ ذلك الصراع بين الرجلين نبدأ بفكرة موجزة عن الحاجب جعفر المصحفى ، ومكانته فى دولة الخلافة الأموية امتدادا من خلافة الحكم المستنصر حتى خلافة ابنه هشام المؤيد بالله (١).

فهو ابو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة القيسى . وكان جعفر الرجل الأول فى دولة الحكم المستنصر ، والسبب فى تقربة من الخليفة الحكم هو ان والده عثمان بن نصر كان مؤدب الحكم فى صباه ، كما استخدمه والده الخليفة الناصر ، ورقاه الى خطة الشرطة الوسطى (٢) والنظر فى عدة من أعمال الكور . ولما أسندت الخلافة الى الحكم المستنصر ، قلد جعفر خطة الوزارة وذلك بعد مضى ثلاثة أيام من خلافته ، وامضاه على الكتابة الخاصة . كما ولى أبناءه مناصب كبرى فى الدولة (٣).

فلم يزل جعفر يستقل بأمور الدولة ويتنقل من رتبة الى أعلى فى ظل خلافة

---

(١) : المراكشى : المعجب ، ص ٦٢

(٢) : انظر تعريف الشرطة الوسطى فى الباب الأول من هذه الرسالة ، ص ٣٧ ، حاشية (١)

(٣) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥

الحكم المستنصر ،حتى تولى أخيرا الحجابة فيها ،وأصبح الشخص الأول في الدولة في أواخر عهد الحكم المستنصر وبداية خلافة هشام المؤيد بالله (١) الذي جدد له منصب الحجابة في اليوم السادس من توليه الخلافة الموافق العاشر من شهر صفر سنة ٣٦٦ هـ . وبعد تجديد حجابته ،ساوى جعفر المصحفي في جلوسه مع الوزراء ، ولزم التواضع للناس وأطلق لهم حسن المعاملة ،ورأى بأن هذا الأسلوب في معاملة الناس يعفيه عن بذل المال لهم عند ما يرغب أحد منهم ذلك ،فأستأثر بأعمال الدولة في يديه ،ومؤثرا جمع المال وبناء المنازل (٢) . إلاّ أن المنصور بن أبي عامر عارضه في سياسته تلك ،حيث كانا المصحفي والمنصور على طرفي نقيض ،فقد أستبدل المنصور أبن أبي عامر بالبخل جودا ،وبالأستبداد أثره وباقتناء الأموال أصطناع الرجال وقضاء حاجاتهم . وأستمر المصحفي في منصب الحجابة والأشراف على أمور الخلافة والمنصور بن أبي عامر يسايره غير راض عن سياسته في أمور الدولة ومعاملته للناس ويكن في نفسه الأطاحة به ،إلاّ أن الفرصة لم تكن قد سمحت بعد (٣) .

وبعد ذلك أنحصرت المنافسة الفعلية في الحكم بين القائمين بأدارة شئون الخلافة الحاجب جعفر المصحفي ومساعده المنصور بن أبي عامر . الا أن أبن أبي عامر كان الأسرع في أتخاذ المبادرة وأكتساب المناسبات سواء بعلم أو بغير علم الحاجب جعفر. فقد كانت الضربة الأولى التي نزلت بكبار قوات الحرس الصقلبي وغيرهم من الصقالبة الذين كانوا في قصر الخليفة تحت ستار تأديبهم لموقفهم المعارض من تنصيب هشام الخلافة ،

---

(١) : المقري : نفح الطيب ،ج ١ ،ص ٥٩٢ - ٥٩٣
— أبن عذاري : نفس المصدر ،ج ٢ ،ص ٢٥٥
— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ،ص ٣٢٨

(٢) — : أبن بسام : نفس المصدر ،ق ٤ ،م ١ ،ص ٤١ - ٤٢

(٣) : أبن سعيد : المغرب ،ج ١ ،ص ٢٠٠
— أبن بسام : نفس المصدر ،ق ٤ ،م ١ ،ص ٤٢ - ٤٣
— المقري : نفس المصدر ،ج ٢ ،ص ٤٠٢ - ٤٠٣

هى من تخطيط وتحريض المنصور بن أبى عامر للحاجب جعفر المصحفى ، حيث أستبدل الحرس الصقلبى فى القصر بعناصر جديدة موالية فى الدرجة الأولى للمنصور بن أبى عامر . وكانت هذه أول خططه الذكية فى أتخاذ ركائز له فى الدولة على شكل واضح ولا سيما فى قصر الخليفة ، أضافة الى مؤازرة السيدة صبح أم الخليفة هشام والوصية عليه .

وفى تلك الأثناء وقعت حادثة على أحدى الثغور الأندلسيه كان لها دور كبير وأيجابى فى ظهوره ، حيث شنت أمارة قشتالة النصرانية هجوما على قلعة رباح الواقعة بين طليطلة وقرطبة ، مستغلة موت الخليفة الحكم المستنصر بقرطبه والظروف السياسية فى البلاد من بعده ، فقدمت بذلك العمل الفرصة التى أغتنمها المنصور بن أبى عامر ومهدت له الطريق الى القمة بصورة غير مباشرة . فقد كان الهجوم الذى نزل على قلعة رباح على يد القشتاليين فى منتهى الشدة ، فترك صداه المؤثر فى عاصمة الخلافة - قرطبة -[1] الا أن الحاجب جعفر القائم بتدبير الدولة لم يحرك ساكنا ، وتجاهلها لانه كان يخشى مغادرة العاصمه فى تلك الأجواء . وكان هذا الموقف سلبى من شخص يدير أعمال الدولة كالمصحفى ، حيث أوقعه دون أن يدرى ، وأفقده كثيرا من قيمته كرجل دولة ، ذلك أن سياسة الجهاد فى الأندلس كانت تعكس ظلالها دائما على شخصية المسئول وعلى حجمه فى الدولة ، وهى معادلة عامة فى كل زمان ومكان لا تصيب الأندلس وحدها ، فالأنتصارات الخارجيه غالبا ما ترفع أصحابها الى القمة ، بينما الهزائم تخلخل الحكم وتطفىء شهرة الحكام .

وكان المنصور بن أبى عامر يراقب بأرتياح ذلك الموقف السلبى من الحاجب جعفر المصحفى فى صد الهجوم القشتالى ، ومع ذلك أقترح على الحاجب جعفر أثناء أجتماع كبار رجال الدولة للتداول فى هذا الأمر بأن يقوم بقيادة الجيش بنفسه لصد العدوان النصرانى الرابض على قلعة رباح ، ويرد على هجوم النصارى على

---

(١) : أبراهيم بيضون : تاريخ العرب فى أسبانيا ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣

القلعة ،فأجابه الحاجب جعفر بالموافقة وذلك بعد أن تهاون كبار رجال الدولة في القيام بهذه المهمة . وأمر الحاجب جعفر بتجهيز الجيش وأعطى المنصور مائة الف دينار للقيام بتجهيز هذه الغزوة ،فأستكثر ذلك بعض من حضر الأجتماع فقال له المنصور : خذ ضعفها وأمضي ويحسن غناؤك . فخجل المعترض ،وسلم المال والجيش للمنصور بن أبي عامر الذي كتب له النصر.(١)

ولعل الحاجب جعفر رحب بخروج منافسه المنصور بن أبي عامر من قرطبة والأبتعاد عنها في حرب القلاع البعيدة على حدود الدولة الأسلاميه ،وذلك بعد أن شعر بوطأة وجوده وتحركاته السياسيه ومشاركته معه في أدارة شئون البلاد ، الأمر الذي جعل المصحفي يخشى قوة نفوذه في قرطبة .

ولربما الباحث يسأل عن دور غالب قائد الثغر الأعلى ـ الجبهة الشمالية ـ والرجل المتمرس في جيش دولة الخلافة الأموية ،ولماذا تباطأ في التصدى لهجوم القشتاليين ،ولماذا لم تسند اليه قيادة هذه الحملة بدلا من المنصور بن أبي عامر ،وهل تم ذلك بالتنسيق مع المنصور ليقطف ثمرة نصر هذه الحملة وليوظف ذلك الأنتصار في خدمة طموحه السياسي ؟(٢). ذلك أنه رغم الود القائم بين المنصور والقائد غالب فلا يبدو أن القائد غالب كان له دور في المنافسة القائمة في ذلك الوقت بين الحاجب جعفر والمنصور بن أبي عامر والتي أتخذت من قرطبة مسرحا لها . ويقول أحد المؤرخين المحدثين أنه من المؤكد أن جبهة الثغر الأعلى عند حدود نبره (نافار) التي هي دائرة نشاط القائد غالب العسكرية ،كانت من الخطورة بحيث أعطى القائد غالب أهتمامه لها في ذلك الوقت . الأمر الذي جعله يطلب الأمداد وأرسال

---

(١) : أبن عذاري : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٦٤
ـ لين بول : قصة العرب في أسبانيا ، ١٤٣ ـ ١٤٤

(٢) : أبراهيم بيضون : نفس المرجع ،ص ٣٣٣ - ٣٣٤

تعزيزات عسكرية له من العاصمة قرطبة :

وبعد عودة المنصور بن ابى عامر منتصرا من غزوته الأولى هذه فى سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٧م حظى برضاء الخليفة هشام وامه السيدة صبح ، كما حظى بحب واعجاب الناس فى قرطبة . ثم اخذ يوسع نفوذه فى الدولة مستغلا نجاحه وانتصاره فى تلك الحملة ، فواصل مشروعه فى التخلص ممن يقف فى سبيل انفراده بشئون الدولة ، ومع هذا كان الحاجب جعفر يشركه معه فى امور الدولة السرية والعلنية ، ويرتاح لكفاءته ، بينما المنصور بن ابى عامر يعمل على اسقاطه ، ومن ثم اخذت المنافسه بين الاثنين تتسم بطابع الظهور ، حيث ان المصحفى الذى كان لا يزال قابضا بيده على مقاليد الدولة ، قد ادرك الأطماع التوسعية للمنصور فى الانفراد بالسلطة ، ومحاصرته له بحملات نفسيه عنيفة .(١)

وكان غالب قائد الثغر الاعلى قد راهن عليه المنصور بن ابى عامر واعتبره الورقة الرابحة فى صراعه مع المصحفى ، حيث كانت العلاقة بين القائد غالب والحاجب جعفر متدهورة منذ ان اتهم الحاجب جعفر غالب بالتهاون فى الدفاع عن الحدود الشمالية للأندلس وخاصة أثناء الهجوم القشتالى على قلعة رباح .(٢) فوجد المنصور فى ذلك مدخلا لاكتساب صداقة غالب ومخالفته له على اسقاط المصحفى ، ولكنه كان فى قرارة نفسه يريد التخلص من الاثنين معا ، ومن ثم تحول المنصور الى مدافع عن القائد غالب فى أوساط القصر الخلافى ، وتبرئة موقفه من حادثة قلعة رباح ، وقد قويت هذه الصداقة بينهما فى الحملة المشتركة التى قاما بها واستهدفت قشتاله . رغم ان القيادة الفعليه فى هذه المعركة كانت للقائد غالب ، الا ان المنصور بن ابى عامر قد أبدى من البسالة والشجاعة ما أثار أعجابه .(٣)

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس ، ص ٣٢٨

(٢) : عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٥٢٨

(٣) : ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا ، ص ٣٣٤ - ٣٣٥

وبعد هذا الانتصار وعودة المنصور بن أبي عامر الى قرطبة ، بدأت المؤشرات الأولى لذلك الصراع ، فبدأت المنافسة بين الحاجب جعفر والمنصور بن أبي عامر ، وخاصة من جانب المنصور ، حيث ساعده على المصحفي ميل الوزراء اليه نكاية في المصحفي لاستبداد المصحفي بالأموال وتعيينه أبنائه وأبناء عمومته في المناصب العليا في الدولة (١) .

وكانت الشخصية الثالثة على مسرح الأحداث في ذلك الوقت والتي من المحتمل أن ترجح أحدى الكفتين ، هي شخصية القائد غالب أقوى شخصية في الجيش الأندلسي، والذي كان يتمتع بشهرة عسكرية كبيرة ويحظى بتقدير رجال الدولة . غير أن القائد غالب لم يدخل في صراع التنافس الفعلي على السلطة بين الحاجب جعفر والمنصور بن أبي عامر ، رغم أنه لم يكن يرى أن الحاجب جعفر كفء بمنصبه في الحجابة ، أضافة لأهتمامه بعمله العسكري الذي أتخذ من مدينة سالم قاعدة له ، وعلى الرغم من بعده عن العاصمة فقد كان لثقله المعنوي تأثير كبير في ترجيح كفة أحد المتنافسين ، ولذلك أتجه المنصور بن أبي عامر اليه ، وتمكن بأسلوبه البارع من أكتساب مودته وصداقته ومحالفته له على أسقاط جعفر المصحفي (٢) . فبعد عودة المنصور بن أبي عامر من غزوته الأولى أستطاع أن يخرج مرسوما من الخليفة برفع القائد غالب الى خطة الوزارتين (٣) . وأن يندب القائد غالب

---

(١) : أبن عذاري : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢
ـ المقري : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٢٠ - ٤٢١
(٢) : ابراهيم بيضون : نفس المرجع ، ص ٣٣٢
(٣) : أبن عذاري : البيان المغرب ، جـ ٢ ص ٢٦٥
ـ السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠
ـ عنان : نفس المرجع ، ص ٥٢٨

لقيادة جيش الثغر ،وأن يندب المنصور بن أبي عامر لقيادة جيش الحضرة ، فأشتركا معا في غزوة المنصور بن أبي عامر الثانية سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٧م ،والتي كتب لهما النصر فيها ،فأزدادت الصلة بينهما . فبينما كان غالب يودع المنصور بن أبي عامر بعد تلك الغزوة ، قال له غالب : " سيظهر لك بهذا الفتح أسم عظيم وذكر جليل يشغلهم السرور به عن الخوض فيما تحدثه من قصة ،فأياك أن تخرج عن الدار حتى تعزل أبن جعفر عن المدينة وتقلدها دونه " (١) . وكان غالب يأمل أن يصبح يوما حاجب الدولة وذلك لما يبذله من جهود وأنتصارات عسكرية في حماية حدود بلاد الأندلس الأسلامية ،ولكن أمله خاب بتعيين المصحفي حاجبا ،فكتم هذا العداء للمصحفي الى أن كاشفه المنصور بن أبي عامر بعداوته له أيضا ،وأتفقا على القضاء عليه وطرده من السلطة (٢) .

وقد تم للمنصور بن أبي عامر ما أراد بأن أصدر الخليفة هشام أمرا بخلع محمد بن عثمان المصحفي عن حكم مدينة قرطبه ،وأن يتولى أمرها المنصور بن أبي عامر ،حيث كانت قرطبة في حكم محمد بن جعفر المصحفي غير مستقر الأمن فيها ،كما كان للسيدة صبح أم هشام دور كبير في تعيين المنصور بن أبي عامر حاكما لمدينة قرطبه .وكان هذا المنصب تجربة جديدة له برز فيه كما برز في الحملات العسكرية ،فقد شهدت قرطبة هدوءا وأستقرارا لم تعرفها خلال حكم محمد بن جعفر المصحفي لها (٣) . ثم عين المنصور على مدينة قرطبه أبن عمه عمرو بن عبد الله بن أبي عامر ،وقام بسد باب الشفاعات ،وقمع أهل الفسق وأمّن الناس ،وقلّص فساد

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٦٦
ـ أبن بسام : الذخيرة ،ق ٤ م ١ ،ص ٤٦ - ٤٧
(٢) أنيس النصولي : تاريخ الدولة الأموية في قرطبة ،جـ ١ ،ص ١٢٩ - ١٣٠
ـ علي أدهم : منصور الأندلس ،ص ٦٢ - ٦٣
(٣) : أبن عذارى : المصدر السابق ،جـ ٢ ،ص ٢٦٦

حاشية القصر[١] ، حتى لقد عثر له على أبن له فأعضره الى مجلس الشرطة وجلده جلدا مبرحا[٢] ، فأنقمع الشر فى أيامه . ولم يكن عزل محمد بن الحاجب جعفر المصحفى عن حكم قرطبه غير مقدمة لتخطيط المنصور بن أبى عامر للاطاحة بالحاجب جعفر المصحفى نفسه ، الذى شعر بالحصار السياسى والمعنوى المفروض عليه من القصر والجيش فأخذ كرسى الحجابة يهتز به .[٣]

وقد تنبه الحاجب جعفر الى خطط المنصور بن أبى عامر فأراد أن يوقف هذه الخطط ، فبادر الى مصالحة القائد غالب . وزيادة فى توثيق العلاقة به خطب أسماء أبنته لأبنه عثمان . وكادت هذه السياسة أن تأتى ثمرتها ، ولكن المنصور تنبه لذلك ، وحال دون تحقيق هذه المصاهرة حيث حرض من فى قصر الخليفة على طعن هذه الخطوبة[٤] . كما ناشد القائد غالب أن يحفظ الولاء بينهما ، وأن يزوجه أبنته أسماء . ونجح المنصور بن أبى عامر فى أقناع القائد غالب بعدم مصاهرته المصحفى ، فتم فسخ هذه المصاهرة ، فى حين وافق القائد غالب على خطبة المنصور بن أبى عامر لأبنته أسماء ، وتم عقد الزواج فى شهر محرم سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧م[٥] .

---

(١) : ابراهيم بيضون : نفس المرجع ، ص ٣٣٥ - ٣٣٦
(٢) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠
(٣) : أبن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٦١
— المقرى : نفح الطيب ج ٣ ، ص ٨٨ - ٨٩
— أنيس النصولى : نفس المرجع ، ص ١٣٠
(٤) : أبن عذارى نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٦٧
— عنان : تراجم أسلاميه ، ص ٢٠٨
(٥) : السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠
— أنيس النصولى : تاريخ الدولة الأموية فى قرطبة ، ج ١ ، ص ١٣٠ - ٣٣١

- JAN READ:Po.cit.,P.87.

وفي شهر صفر سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧م ،غزا المنصور بن أبي عامر غزوته الثالثة والتقى بصهره غالب في طليطلة وأقتحما حصن رنيق وأستوليا على سلمنقة . وعاد المنصور بن أبي عامر الى قرطبة منتصرا ،فقلده الخليفة هشام المؤيد بالله منصب الوزارتين وقلد غالب الحجابة بالاشتراك مع الحاجب جعفر المصحفي (١) . وفي هذه الاثناء أمر الخليفة بزفاف أسماء الى المنصور بن أبي عامر في قصر الخلافة في أحتفال كبير وبأشراف أمه السيدة صبح التي أغدقت على أسماء أروع الهدايا والتحف . فأحضرت أسماء بصحبة أبيها الى قرطبة في موكب ضخم ،وكانت من أجمل نساء عصرها وأوفرهن ثقافة وسحرا ،وكانت قد تزوجت من قبل الوزير أبن حديب أيام خلافة الحكم المستنصر ،ثم طلقت منه ،وزفت الى المنصور في ليلة النيروز في أحتفالات كانت مضرب الأمثال في البذخ والبهاء (٢)

بذلك أيقن الحاجب جعفر المصحفي أن المنصور بن أبي عامر يلاحقه لأسقاطه من السلطة ونكبته الأمر الذي دعاه الى عدم أعتراض المنصور . كما أنفض الناس من حوله وأقبلوا على المنصور بن أبي عامر ،وأصبح المصحفي يذهب الى قصر الخلافة ويعود وحده بدون حرس وأشخاص برفقته ، فلم يعد له من الحجابة سوى أسمها .ومع ذلك ظل المنصور بن أبي عامر يعمل في الخفاء على أسقاطه حتى أفسد بينه وبين الخليفة هشام ، فعزله الخليفة هشام عن الحجابة في يوم الاثنين الثالث عشر من شهر شعبان سنة ٣٦٧ هـ / ٢٦ مارس سنة ٩٧٨م (٣) . ثم أسند الخليفة هشام الحجابة الى المنصور بن أبي عامر وأمره بمحاسبة آل المصحفي .فقبض المنصور بن أبي عامر على جعفر المصحفي وسجنه ،كما أخذ يستصفي أموال آل المصحفي ،

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ،ص ٣٣٠ - ٣٣١
(٢) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٥٢٩
(٣) : أبن عذاري : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٦٧
— أبن الخطيب : المصدر السابق ،قـ ٢ ، ص ٦٠
— المقري : المصدر السابق ،جـ ١ ،ص ٤٢٠ - ٤٢١

ومزقهم فيباع قصر المصحفي في الرصافة وكان من اعظم قصور قرطبة [١]، وقام بقتل هشام ابن أخي جعفر المصحفي في سجن المطبق وكان هشام هذا من أشد الحاقدين على المنصور بن ابي عامر ، حيث بلغ من حقده للمنصور ان سرق من المنصور أثناء عودته من غزوته الثالثه الى قرطبة رؤوسا للنصارى كانت تساق الى قرطبة ونفسه فيها بأن أمر غلمانه بالقائها في النهر ، مما أغضب المنصور بن ابي عامر عليه وعجّل بقتله في السجن قبل عمه الحاجب جعفر المصحفي [٢].

واستمر المنصور بن ابي عامر في نكبة جعفر المصحفي سنين طويلة ، مرة يحبس ومرة يترك ، ومرات يذهب به معه في غزواته مسجونا . ولم يزل على هذه الحالة حتى لم يعد يقدر على الاحتمال في سجنه الذى عذب فيه عذابا مبرحا [٣]. وذات يوم امر المنصور باحضاره الى مجلس الوزراء بقصر الخلافه لمحاكمته امام الوزراء فيما نسب اليه من ابتزاز الاموال بنفسه ، فتردد الى هذا المجلس مرارا للمحاكمة . واحضر آخره مرة الى مجلس الوزراء وهو شديد الانزعاج ، وكبر سنه قد اضناه وقصر خطاه ، وكان الموكل باحضاره الى المجلس يأمره بالاسراع في المشي ، فيقول له جعفر : " يابني رفقا فستدرك ما تريد ، وياليت ان الموت يباع فأغلي الله سومه " [٤] ثم قال شعرا :

لا تأمنن من الزمان تقلبا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ان الزمان بأهله يتقلب

ولقد أراني والليوث تخافني ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ واخافني من بعد ذاك الثعلب

---

(١) : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٠٠ - ٢٠١

(٢) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ،ص ٢٦٨
— ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٤ ،م ١ ، ص ٤٧ - ٤٨

(٣) : انيس النصولي : الدولة الاموية في قرطبة ، جـ ١ ،ص ٣٣١

(٤) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩
— المقرى : نفح الطيب ،جـ ١ ، ص ٤٢١ - ٤٢٢

حسب الكريم مذلة ومهانة | ألا يزال الى اللئيم يطلب
اذا أتت أعجوبة فاصبر لها | فالدهر يأتي بالذى هو أعجب .(١)

ثم صار الى أن دخل المجلس والوزراء جلوس ، فجلس جعفر في آخر المجلس دون أن يسلم ، فأسرع اليه الوزير محمد بن حفص بن جابر وكان من أنصار المنصور بن أبي عامر ، فعنف جعفر وأستجهله وأنكر عليه ترك التسليم ، وجعفر ساكت ، فلما أكثر الكلام عليه ، قال له جعفر : " ياهذا جهلت المّبرة ، فأستجهلت عالمها وكفرت اليد فقصرت بمسديها " فأضطرب محمد بن حفص من كلام المصحفي ، وقال : " هذا هو البهت بعينه ، وأي أياديك الغراء التي مننت بها ؟ أيد كذا أم كذا " وعدد أشياء أنكرها عليه جعفر المصحفي أيام حجابته ، وقال جعفر : هذا مالا يعرف والحق الذى لا يرد ولا يصرف دفعي القطع عن يمينك ، وتبليغي لك الى مناك . فأصر محمد بن حفص على جحد ما ذكره المصحفي فقال جعفر : أنشد الله من له علم بما ذكرت أن يتكلم .(٢) فقال الوزير أحمد بن عباس : وقد كان بعض ما ذكرته ياأبا الحسن - المصحفي - غير هذا أولى بك وأنت فيما أنت فيه من محنتك وطلبك . فقال المصحفي : أحرجني هذا فتكلمت ، وأحوجني الى ما به أعلمت . ثم أقبل الوزير محمد بن جهور على الوزير محمد أبن جابر وقال له : أسأت الى الحاجب المصحفي وأجبت عليه غير الواجب ، أو ما علمت أنه من كان في سخط السلطان ، تحامى السلام على أوليائه لأنهم أن ردوا عليه أسخطوا السلطان لتأمينهم من أخافه ، وأن تركوا الرد أسخطوا الله وتركوا ما أمر به ، لقوله تعالى " وأذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها "(٣) فكان

---

(١) : أبن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٥١
(٢) : المقري نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٤٢٢ - ٤٢٣
(٣) : النساء : ١٦

الأمساك أولى ،ومثل هذا لا يخفى على أبى الحسن - المصحفى - فخجل محمد بن حفص بن جابر مما بدر منه من نقص ،وأسفر وجه جعفر المصحفى وأبتهج ،ثم أخذ الوزراء فى مناظرة المصحفى ومحاسبته على الأموال التى أستحوذها لنفسه ،فقال لهم : قد والله أستنفذت ما عندى من الطارف والتالد ، ولا مطمع فيّ فى درهم ولو قُطعت أربا أربا . فأعيد الى سجنه فى المطبق (١) وبلغ جعفر المصحفى وهو فى سجنه أن قوما توجعوا وغضبوا من حبسه وحاله فى السجن ،فكتب اليهم قائلا :

أحسن الى أنفاسكم فأظنها بواعث أنفاس الحياة الى نفسى
وأن زمانا صرت فيه مقيدا لأثقل من رضوى وأضيق من رمسى (٢)

وكان جعفر بن عثمان المصحفى فى سجنه من أخور الناس وأذلهم وذلك من شدة ما يلاقيه به من عذاب ،وكان يحب الحياة لدرجة أنه كتب الى المنصور أبن أبى عامر يعرض عليه نفسه لتأديب أبنيه عبد الله وعبد الملك ،ولكن المنصور رفض طلبه ،وقال : أراد أن يستجهلنى ويسقطنى عند الناس ،وقد عهدوا منى ببابه مؤملا ،ثم يرونه اليوم بدهليزي معلما (٣).

وكان جعفر بن عثمان المصحفى شاعرا جزلا ،فقد أذكت المحنة شاعريته ، وصدرعنه فى سجنه كثير من القصائد المؤثرة ،ومن بديع ما قاله فى نكبته قوله يستريح من كربته فى سجنه ،قوله :

---

(١) : أبن عذارى : نفس المصدر ،ج ٢ ،ص ٢٦٨ - ٢٦٩
- المقرى : نفس المصدر ،ج ١ ،ص ٤٢٢ - ٤٢٣
- على أدهم : منصور الأندلس ،ص ٧٢
(٢) : المقرى : نفح الطيب ،ج ١ ،ص ٤٢٣
(٣) : أبن عذارى : البيان المغرب ،ج ٢ ،ص ٢٦٨

صبرت علی الایام لما تولت ... وألزمت نفسي صبرها فأستمرت

فواعجبا للقلب كيف أعترافه ... وللنفس بعد العز كيف أستذلت

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ... فأن طمعت تاقت والا تسلت

وكانت على الايام نفسي عزيزة ... فلما رأت صبرى على الذل ذلت

فقلت لها يانفسي موتي كريمة ... فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت (١)

و يقول عنان نقلا عن أبن حيان ، معلقا على نكبة المصحفي بقوله : وكانت لله عند جعفر فى أيثاره هشاما ، وأتباع شهوة نفسه وحظ دنياه ، وتسرعه الى قتل المغيرة لأول وهله دون قصاص جريرة أستدركته دون أملاء ، فسلط عليه من كان قدر أن يتسلط على الناس بأسمه . (٢)

وكتب الى المنصور بن أبى عامر من سجنه يستعطفه بأن يعفو عنه ، فقال :

هبني أسأت فأين العفو والكرم ... أذ قادني نحوك الأذعان والندم

ياخير من مدت الأيدى اليه ... أماترى لشيخ نعاه عندك القلم

بالغت فى السخط فأصفح صفح مقتدر ... أن الملوك اذا ما أسترحموا رحموا (٣)

فلما سمع المنصور هذه الأبيات زادته حقدا على جعفر المصحفي ، فأجابه المنصور بن أبى عامر بهذه الأبيات ، وهى لوزيره وكاتبه عبد الملك الجزيرى :

الآن ياجاهلا زلت بك القدم ... تبغى التكرم لما فاتك الكرم

ندمت اذ لم تفز منا بطائلة ... وقلما ينفع الأذعان والندم

---

(١) : أبن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٤ - ٥

(٢) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٣٠ ، ٥٣١

(٣) : أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥

أغريت بي ملكا لولا تثبيتـــــه ... ما جاز لي عنده نطق ولا كلـم
فأيئس من العيش أذ قد صــــرت ... في طبق أن الملوك اذا ما أستنقموا نقموا
نفسي اذا سخطت ليست براضيــة ... ولو تشفع فيك العـرب والعجـم (١)

فلما بلـغ جعفـر المصحفـي جواب المنصـور قال :

لـي مدة لا بد أن أبلغهـــا ... فأذا أنقضت أيامها مـــت
لو قابلتني الأسـد ضاربـــة ... والموت لم يدن لما خفـــت
فأنظر الي وكـن على حـــذر ... فمثلك حالك أمس قد كنـــت (٢)

قال أبن بسـام : مما يروى لجعفـر المصحفـي عند ظهور محمد بن أبي عامر عليــه وأنتزاعـه ما كان من الحجابة في يديـه ،وأفضائـه بـه الى هـذه الحال من الهضـم والأعتقـال ،قوله :

تندمت والمغرور من قد تنــدما ... وهـل ينفـع الأنسان أن يتنـدم
غرست قضيبا خلته عــود كرمـــة ... وكنت عليــه في الحوادث قيمـــا
أكرمـه دهري فيزداد خســـة ... ولوكـان من عـود الكريم تكرما (٣)

وكان المنصور بن أبي عامر يذهب بجعفر المصحفي مسجونا معه في معظم غزواتـه ، ويحكـي أن بعض القوم المصاحبين للمنصور في أحدى غزواته لا رأى الحاجب جعفر المصحفـي في ليلة نهى المنصور فيها الناس عن أيقاد النار وذلك تعمية للعدو ،والمصحفي ينفخ فحما في كانون صغير يخفيه تحت ثيابـه ،أو كما قال : فسبحان مزيل الدول ،لا اله الا هو ،فأن هذا المصحفي بلغ من الجلالة والعظمة والتحكم في الدولة المدة المديدة أمرا لا مزيل عليــه واللـه وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وذكر بعض العلماء المغاربة أن من أعاجيب

(١) : أبن عذاري : المصدر السابق ،ج ٢ ،ص ٢٨٦
(٢) : المقري : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٦٠٣
(٣) : أبن بسام المصدر السابق ، ق ٤ ،م ١ ،ص ٥٢

أنقلاب الدنيا بأهلها قصة المنصور بن أبي عامر مع الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي (١) . ويقول محمد بن أسماعيل كاتب المنصور : وقفت للحاجب المصحفي في طريقه من داره وقت علة الحكم المستنصر ، وقد تناهي أمره في الجلالة ، أروم أن أناوله قصة فوالله ما تمكنت من الدنو اليه لكثافة موكبه ، وأخذ الناس الطريق عليه مسلمين وسائلين ، فأنثنيت حسيرا مبهوتا . فلم تتطل المدة حتى سلبه أبن أبي عامر حاله ، وقبض عليه ، وجعل يحمله في الغزوات معه ، وسرت في صحبة أبن أبي عامر ، وأتفق لي أن نزلت في بعض المنازل بجليقية الى جانب مخبأه ، وفي ليلة نهى أبن أبي عامر عن وقود النار ليخفى على العدو مكانه ، فرأيت والله عثمان بن جعفر يسقي أباه جعفر دقيقا قد خلطه بالماء يُقيم أوده ، والشيخ يحسوه ويحرص عليه ضعف حال وعدم زاد ، فلا أنسى تلك الموعظة ، ومن يغتر بالأيام الا ضعيف العقل (٢) . وسمعته يقول :

تأملت صرف الحادثات فلم أزل ... أراها توافي عند مقعدها الحرا
تجافت بها عنا الحوادث برهة ... وأبدت لنا منها الطلاقة والبشرا
فلله أيام مضت بسبيلها ... فأني لا أنسى لها أبدا ذكرى
وهذه الأيام إلاّ سحائب ... على كل أرض تمطر الخير والشر (٣)

ومما حفظ له في أستعطافه للمنصور بن أبي عامر لأخراجه من سجنه قوله :

عفا الله عنك ألا رحمة ... تجود بعفوك أن أبعد
لئن جل ذنب ولم أعتمده ... فأنت أجل وأعلى يد
ألم تر عبدا أعدا طوره ... ومولى عفا ورشيدا أهدى

---

(١) : المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٦٠٣

-DOZY: Op.cit.,PP.482-487.

(٢) : أبن بسام الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٤٩

(٣) : أبن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ، ص ٢٧١

ومفسدا أمرا تلافيته فعاد فأصلح ما أفسدى
أقلنى أقالك من لم يزل يقيك ويصرف عنك الردى (١)

ولما لم يفد أستعطاف جعفر بن عثمان المصحفى المنصور بن أبى عامر ليخرجه من سجنه فى مدينة الزهراء طلب منه أن يسمح له بوداع أهله وداع الفرقة ، وقال لستم تروني بعدها حيا فقد أتى وقت أجابة الدعوة ، وأنا أرتقبه منذ أربعين سنة . فسئل عما ذكره ، فقال المصحفى : رُفع على فلان أيام الناصر وسعى به اليه ، فأشرفت على أعماله ، فآل أمره الى ضربه ، وتغير نعمته ، وأطالة محبسه ، فبينما أنا نائم ذات ليلة اذ أتانى آت فقال لى : أطلق فلانا وقد أوجبت دعوته فيك ، ولهذا أمر أنت لابد لاقيه ، فأنتبهت مذعورا وأحضرت الرجل ، وسألته أحلالى ، فأمتنع علىّ ، فاستحلفته على أعلامى بما خصنى به من الدعاء ، فقال نعم : دعوت الله أن يميتك فى أضيق السجون كما عمرتنيه حقبة . فعلمت أنه قد وجبت دعوته ، وندمت من حيث لا ينفع الندم ، وأطلقت الرجل ، ولم أزل أرتقب ذلك السجن (٢) .

ومات جعفر بن عثمان المصحفى الذى تألق كأبرز الوزراء والحجاب فى تاريخ الدولة الأموية فى الأندلس بسجنه في الزهراء سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢م . وقد أعده الناس من قتلى المنصور بن أبي عامر ، وزعموا أنه دس له شربة سم فقضت عليه ، وقيل مات خنقا والله أعلم . وقال محمد بن أسماعيل كاتب المنصور : سرت مع محمد بن مسلمه الى الزاهرة لتسليم جثمان جعفر المصحفي الى أهله وولده ، والحضور على أنزاله الى ملحده في قبره ، فنظرت اليه ولا أثر فيه ، وليس عليه شئ يواريه غير كساء خلق لبعض البوابين سترة به ، فدعا له محمد بن مسلمة ، فغسله والله

(١) : أبن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٥ - ٦
(٢) : أبن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٧٠
— أبن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٥٠

على خرد باب أقتلع من ناحية الدار ، وأنا أعتبر من تصرف الاقدار ، وخرجنا بنعشه الى قبره ، وما معنا الآ أمام المسجد المستدعى للصلاة ، وما تجاسر أحد على النظر فيه (١) .

الحجر على الخليفة هشام المؤيد بالله ، وأحباطه جهود السيدة صبح فى أستعادة السلطة لابنها :-

أخذ المنصور بن أبي عامر يواصل مخططاته فى الاستيلا على مهام الدولة الاموية ، فبعد أن سجن الحاجب جعفر المصحفى حتى مماته ، وأنتقل الى مدينته الزاهرة التى بناها لتكون عاصمة لدولته العامرية . رغب فى أن يستكمل سلطته فى الدولة بأن ينهى هيمنة الخلافة الاموية ، وذلك بالحجر على الخليفة هشام المؤيد بالله لصغر سنه .فأشاع المنصور بن أبى عامر أن الخليفة هشام قد فوض اليه النظر فى أمر الملك ، وتخلى عنه له للاشراف على شئون الدولة ، وذلك ليتفرغ لعبادة ربه (٢) . ونشر هذه الدعوة على كافة مواطنى الاندلس الذين كانوا قد أطمئنوا اليه فى تقلده زمام أمور الدولة ، وذلك لقوة ضبطه وسرعة بطشه ولانتظام أحوال الدولة له (٣) .

وكان المنصور قد حصن قصر الخليفة هشام ، وقام بعمل سور دائرى حول القصر ، ثم حفر خندقا حوله ، ورتب للقصر جندا من أعوانه لحراسته ليلا ونهارا بدون توقف ، ومنع الخليفة هشام من الخروج من القصر ، وجعل حرسا لابوابه لمنع من يريد مقابلته ، إلاّ من كان يحمل أذنا منه (٤) .

---

(١) : أبن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٧٠
ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٣٣٠ - ٣٣١

(٢) : عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٥٣٦
ـ عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ص ٢٣١

(٣) : محمد علي حموده : تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩

(٤) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٦

وأما من كان يريد الدخول على الخليفة هشام بدون أذن من المنصور ، فأن المنصور كان يأمر بالقبض عليه والتنكيل به . وقد بلغ المنصور مبلغا لم يبلغه من قبل متغلب على خليفة ، فقد أستولى على مقاليد الخلافة بأسرها ،وأصبح الخليفة هشام في قبضة يده ،حتى أن هشاما لم يعد يستطيع أن ينفذ له أمر حتى في داخل قصره ولا على حرمه ،الا بأذن المنصور . وقد عين المنصور على القصر متوليا لشئونه ممن يثق به ،فأصبح المتولي على القصر عينا على الخليفة هشام ،ولم يعد يخفى عليه شيء من تحركات وأخبار الخليفة هشام التي كان يقوم بتبليغها للمنصور بن أبي عامر أولا بأول (١) .

وبذلك عطل المنصور الخليفة هشام من كافة صلاحياته ،وأصبح الخليفة نفسه محبوسا عن الناس ،لا يصله خبر ،ولا يرى أحدا في قصره سوى حاشيته الموجودة معه في داخل القصر ،ولم يعد له سوى ذكر أسمه في الخطبة ونقش اسمه على النقود(٢) كما أمر المنصور الناس بعدم ذكره في مخاطباتهم ،ومنع الوزراء من الوصول اليه ،الا في النادر من الأيام ،وبأذن مسبق منه يسلمون عليه ثم ينصرفون (٣) . وعلى الرغم من حجره على الخليفة هشام على هذا النحو وتغلبه على أمور الدولة الا أنه كان حريصا على أن يظهر للناس أن ما يأمر به في شئون الدولة أنما هو صادر عن الخليفة هشام ،وذلك ليتجنب غضبهم عليه وليكسب مودتهم (٤) .

كما قام المنصور بقتل من يخشى منه من أمراء البيت الأموي في الأندلس ،وذلك خوفا من تورثهم عليه ،حتى أفنى من يصلح فيهم للخلافة وفرق من تبقى منهم في أقاليم الدولة ،وأسكن بعضهم البادية ،حتى قال ممن ينقم على المنصور بن أبي عامر على

---

(١) : أبن عذاري : نفس المصدر ،ج ٢ ،ص ٢٧٨
ـ أبن الاثير : الكامل في التاريخ ،المجلد الثامن ،ص ٦٧٧
(٢) : أبن الكردبوس : الاكتفاء في تاريخ الخلفاء ،ص ٦٢
(٣) : أبن خلدون : العبر المجلد الرابع ،ص ٣١٩ - ٣٢٠
(٤) : المقري : نفح الطيب ،ج ١ ،ص ٥٨٠
ـ علي أدهم : المرجع السابق ،ص ٩٤
-DOZY:Op.cit.,PP.492-499.

فعلـه هـذا ، هذه القصيدة التي مطلعهـا :

أبني أمية أين أقمار الدجـى ... منكم وأين نجومها والكوكب

غابت أسود منكم عن غابهـا ... فلذلك حاز الملك هذا الثعلب

وقد علل المنصور بن أبي عامر قيامه بذلك العمل ، بحرصه على الخليفة هشام من الأمويين المنافسين له والناقمين على خلافته (١) .

ويروى أن المنصور بن أبي عامر لما حجب هشام على الناس ، واستبد بالأمر دونه ، ظهرت بين الناس بقرطبه أقوال مغرضه وأنشدوا فيما بينهم أبياتا لاذعة ، من ذلك ما قيل على لسان الخليفة هشام في الشكوى من الحجر عليه :

أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتُملك باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه (٢)

ومما قيل في سبب الحجر على هشام ، قول ابن الخطيب : " ولما كان هشام مندرجا في طي كافله الحاجب المنصور - رحمه الله - بحيث لا ينسب اليه تدبير ولا يرجع اليه من الأمور قليل ولا كثير ، اذ كان في نفسه وأصل تركيبه ضعفا مهينا ، مشغولا بالنزهات ولعب الصبيان والبنات ، وفي الكبر بمجالسة النساء ومحادثة الاماء ويحرص بزعمه على أكتساب البركات والالآت المنسوبات ، فكم الفي بخزانته من الواح منسوبة الى سفينة نوح ، وخفاف منسوبة الى ناقة صالح ، وقرون منسوبة الى كبش أسحاق ، ومن حوافر منسوبة الى حمار عزيز ، ولم يسترب في تعددها ، وأواني وضوء متوارثة عن زهاد ، بذل في ذلك من الأموال ما يزن أضعاف أوزانها " (٣) .

---

(١) : المقري : المصدر السابق جـ ١ ، ص ٥٩١ - ٥٩٢

(٢) : ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨٠
— عنان : تراجم أسلاميه شرقية وأندلسيه ، ص ٢٠٧

(٣) : ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٥٨ - ٥٩

ومن الاقوال الاخرى التي تبرر حجر المنصور على الخليفة هشام ما يذكره ابن سعيد في وصفه له روايات تروى عنه وتبين مدى تخلفه العقلي ، اذ يقول : نشأ جامد الحركة ، أخرس الشمائل لا يشك المتفرس فيه أنه حمار في صورة آدم ، وعشق في صباه نباح الكلاب ، فجعل الغلمان يهجونه حتى ينبح ليتلذذ بذلك . وكلما زاد سنا نقص عقلا ، ولما خلعه محمد بن هشام (١) ، وحصل في قبضته ، قال لأحد غلمانه وقد ذهبت دولته وهتك حرمه : بالله أنظر هدهدى أن كان سليم ، وتفقده لئلا يهلك بالجوع والعطش فأنه من ذرية الهدهد الذي دل سليمان على عرش بلقيس . فقال المأمور بهذا : فكنت والله أخنقه فيستريح ويستراح منه . كما يروى ابن سعيد قصة أخرى جرت بينه وبين أحد رجاله عن " بغلته " التي كان يعتز بها ، وهي توضح الى أي مدى بلغ به التخلف ونقصان العقل . ولما أخبر أحد رجال المنصور أياه بهذه الروايات التي تحكى عن الخليفة هشام سجد لله ، وجعل يكرر حمد الله ثم قال : أتعلم أن هذا الذي أنكرته صلاح المسلمين ، وذلك أن السلطان الذي تصلح معه الرعية أثنان : أما سلطان قاهر ذو رأى ، عارف بما يأتي ويذر ، مستبد بنفسه ، وأما سلطان مثل هذا ـ هشام ـ تدبر الدنيا بأسمه ولا يخشى المتفرغ لحراسة سلطانه غائلة ، والمتوسط يَهلك ويُهلك (٢) .

ويتبين من هاتين الروايتين أن هشاما كان معتوها لا يهتم الا بمثل هذه الاشياء التي لا تليق بأنسان عاقل فضلا عن كونه خليفة يرعى شئون رعيته . فهو في نظر المؤرخ بهذه الصورة شخصية لا يوءبه لها ، وأن الاهتمام أنما ينبغي أن يوجه الى الشخص الموكل اليه شئون الدولة وهو المنصور بن أبي عامر الذي أثبت جدارته في الحكم وقيادة شئون البلاد (٣) .

---

(١) : ولي محمد بن هشام بن عبد الجبار وهو من البيت الاموي ، خلافة الاندلس سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م بعد مقتل عبد الرحمن بن المنصور ، وبقي فيها ستة عشر شهرا حتى قتله العبيد مع واضح الصقلبي ، وتولى الخلافة من بعده المستعين سليمان بن الحكم .

(٢) : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ١ ، ص ١٩٤ - ١٩٦

(٣) : أحمد العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٤١

وأستمر المنصور بن أبى عامر فى توسيع مطامعه فى السلطة ،فأنفرد بزمام الدولة بدون مشاركة أو أستشارة من حليفته السيدة صبح أم الخليفة هشام والوصية عليه. وعند ما أحست السيدة صبح بنوايا المنصور بن أبى عامر وأدركت أطماعه التوسعية فى الانفراد بالسلطة دون الرجوع اليها أو الى أبنها الخليفة هشام ،وأتخاذه ألقاب السيادة والملك ومدى خطورة ذلك على مستقبل ولدها ومستقبل الخلافة الاموية، أتخذت موقفا معارضا للمنصور بن أبى عامر وذلك لتحد من زحفه فى الاستئثار بشئون الدولة ، فتحول ذلك الود الذى بينها وبينه والذى تشير اليه الرواية الاسلاميه بالتحفظ والاحتشام الى غضب صارخ عليه . فهى التى كانت له أكبر معين وسببا من أسباب ظهوره على مسرح الاحداث فى الدولة . فأخذت السيدة صبح تقاوم المنصور وتتقرب الى خصومه . ومن الطبيعى أنه كان من الصعب عليها مقاومته بعد أن سهلت له التدرج فى مناصب الدولة حتى بلغ قمتها ،فضلا عن قوة نفوذه وعزيمة بأسه فى قتل من يقف فى طريقه نحو بلوغ الهدف المنشود الذى رسمه ،وهو الانفراد بالسلطة وقيام دولة يحكمها وهو على قمتها ،والتى عرفت بالدولة العامرية ،والذى جعل عاصمتها مدينة الزاهرة التى بناها وأنتقل اليها فى سنة ٣٧٠ هـ (١) .

فما كان من السيدة صبح فى بداية مقاومتها للمنصور إلا أن لجأت الى ذلك فى صورة مستترة خفية . فأخذت تبث فى نفس أبنها هشام وتحرضه بأن يتولى مقاليد السلطة فى البلاد وأن يدير شئون الخلافة بنفسه ،لاسترداد سلطة الخلافة الاموية وأرجاع هيبتها اليه . ولكنها عجزت فى بث العزيمة فى نفس ولدها هشام . ومن ثم أخذت تشهر بالمنصور أبن أبى عامر بواسطة أعوانها من الحاقدين عليه ،فأتهمته بسجن الخليفة الشرعى ،وأنه

---

(١) : عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ،ص ٥٣٦- ٥٣٧

يحكم البلاد رغم أرادته ،كما حاولت أن تقوم بأى عمل لاسقاط المنصور بن أبى عامر وأعادة مقاليد الدولة لابنها الخليفة هشام . وربما كان لتحريضها أثر فيما وقع من معارك حربية بين المنصور بن أبى عامر وصهره غالب قائد الثغر الأعلى (١) .

ولما أحس المنصور بن أبى عامر بما يدار حوله فى قصر الخليفة هشام ، قام بتسريح خدم القصر الذين يساندون السيدة صبح ولم يدع فى قصر هشام من الخدم الا من كان من أعوانه الذين يخشون بطشه . ومع ذلك أستمرت السيدة صبح فى مناهضته فهداها تفكيرها الى الاتفاق مع زيرى بن عطية ـ حاكم المغرب الأقصى ـ والذى أنكر على المنصور حجر الخليفة هشام فى قصره وأستبداده بمقاليد الدولة . فبعثت اليه سرا أموالا مع بعض أعوانها ،وذلك ليستعد بجيشه للعبور الى الأندلس لتخليص الخليفة هشام من حجره ومساعدته على تولى شئون الخلافة . وكان زيرى بن عطية من أقوى زعماء المغرب ،ومن المخلصين للخلافة الأموية ودعوتها فى المغرب الأقصى . فأجاب دعوة السيدة صبح وأخذ يشهر بالمنصور بن أبى عامر وسياسته وحجره على الخليفة هشام (٢) .

ولكن المنصور أكتشف هذه المؤامرة قبل تنفيذها ،وعمل على أسقاط مخطط السيدة صبح وأعوانها بأن قام برفع يديها عن الأموال الموجودة فى القصر ،والتى كانت تتفنن فى تهريبها بواسطة حاشية القصر (٣) حتى لا تمتد هذه الأموال الى يد

---

(١) : أحمد العبادى : المرجع السابق ،ص ٢٥٥
ـ عنان : تراجم اسلاميه ،ص ٢٠٩ - ٢١٠

(٢) : أبن بسام : الذخيرة ق ٤ ،م١ ،ص ٥٢ - ٥٣
ـ أحمد العبادى : نفس المرجع ،ص ٢٥٥

(٣) : المقرى : نفح الطيب جـ ٣ ،ص ٩٢ - ٩٣
ـ أبن سعيد : المصدر السابق ،ص ٢٠١

خصومته . فبعث أبنه عبد الملك في يوم الثلاثاء من شهر جمادى الأولى سنة ٣٨٦ هـ في قوة كبيرة من الجيش الى قصر الخليفة هشام ، وأصطحب معه عددا من الوزراء والفقهاء ، فدخل بهم الى مجلس الخليفة هشام ، وخاطبه فيما حدث من تهريب الأموال وتحريض أهل القصر في أحداث الفتنة للقضاء على أبيه المنصور ، فأنكر ذلك هشام وتبرأ من خصومة المنصور . ونجح عبد الملك في نقل الأموال كلها من خزائن القصر الى مدينة الزاهرة عاصمة الدولة العامرية ، ولم تجد شيئا توسلات السيدة صبح في بقاء الأموال في القصر ، ولا وعيدها وتتطاولها على عبد الملك ، ويقال أن ما حمله عبد الملك من الأموال بلغ عدة ملايين من الدنانير (١) .

وكانت السيدة صبح لما أشتدت منازعاتها مع المنصور بن أبي عامر تقوم بالتحايل على تهريب الأموال من القصر مع أخليها رائق ، وذلك بأخراج مائة كوز على أعناق الخدم الصقالبه بداخلها الأموال من الذهب والفضة ، ثم تغطى هذه الكيزان بالمربى والشهد وغير ذلك من الأصباغ الرفيعة الموجودة في قصر الخلافة ، وتكتب عليها ما يفيد بأنها مملوءة بذلك . وعند مرور هذه الكيزان على صاحب المدينة حسبها كما كتبت عليها ، وقيل أنه كان في تلك الكيزان ثمانين الف دينار . ولكن المنصور وضع حدا لوقف تهريب الأموال من القصر ، بأن نقلها الى مدينة الزاهرة ، ويقال أن ما حمل الى الزاهرة من الأموال التي بقصر الخليفة أستغرق نقله ثلاثة أيام (٢) .

وكان المنصور بن أبي عامر مريضا عند ما أرسل أبنه عبد الملك لمقابلة الخليفة هشام في قصره وأحضاره أموال القصر . وعند ما شفي من مرضه سار الى قرطبه لمقابلة الخليفة هشام بصحبته أبنه عبد الملك وكبار رجال الدولة ، فقابل الخليفة هشام الذى أعترف له بالفضل في قيامه بخدمة الدولة ، كما أقره على سياسته فخرست ألسنة

---

(١) : أبن بسام : المصدر السابق ، ق ٤ ، م١ ، ص ٥٣ - ٥٤
— عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٥٥٥ - ٥٥٦

(٢) : أبن بسام : نفس المصدر ، ق ٤ ، م١ ، ص ٥٢ - ٥٣

معارضي المنصور بن أبي عامر (١).

كما علم المنصور أن الناس في قرطبة يرغبون رؤية الخليفة هشام القابع في قصره ، حيث أن معظمهم لم يره قط ، فأخرجه المنصور من القصر في موكب عظيم يجوب شوارع قرطبة . فخرج لمشاهدة موكب الخليفة هشام جموع غفيرة من الناس ، وكان المنصور بجانبه راكبا يسايره ، وعبد الملك راجلا يمشي بجانب موكب هشام ، والجيش يسير من أمام الخليفة ويحيط بموكبه ويمنع الناس من الاقتراب منه . وكانت هذه من الفرص النادرة التي سمح فيها المنصور بن أبي عامر للخليفة هشام المؤيد بالله بالخروج من القصر ، وذلك ليرى أهل قرطبة أن الخليفة غير محجور عليه (٢).

وبعد الانتهاء من مراسيم موكب الخليفة هشام تحول المنصور بن أبي عامر الى زيري بن عطيه حليف السيدة صبح ، فعزله من منصبه . وقد قامت بينهما معارك حربية ، أنتصر فيها المنصور بن أبي عامر على خصمه زيري بن عطيه الذي فر الى الصحراء الداخلية في المغرب الاقصى سنة ٣٨٨ هـ / ٩٩٧ م ومات بعد ذلك متأثرا بجراحه (٣).

وهكذا فشلت جميع محاولات السيدة صبح للاطاحة بالمنصور بن أبي عامر ،

---

(١) : أبن سعيد : المصدر السابق ، ص ٢٠١
— المقري : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٩٣

(٢) : أبن بسام : المصدر السابق ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٥٤
— عنان : المرجع السابق ، ص ٥٢٥ - ٥٢٦

(٣) : عنان : تراجم أسلاميه ، ص ٢١٠

فلم تكن أهلا لمقاومته بعد أن أستبد بالسلطة وتمكن من السيطرة على زمام الدولة الأموية . ويحكى أن السيدة صبح قالت لابنها هشام ذات مره :
" أترى ما يصنع هذا الكلب" وتعنى المنصور بن أبى عامر . فقال لها هشام : " دعيه ينبح لنا ولا ينبح علينا " (١) .

ولما أيقنت السيدة صبح بعدم الجدوى فى مقاومة المنصور بن أبى عامر ، وأنه لا منقذ لولدها هشام منه ، لجأت الى السكينة والعزلة عن المسرح السياسى فى الدولة الأموية ، فلم نعد نسمع عنها فى سير الحوادث ، كما لا نعرف تاريخ وفاتها بالتحديد . فلا نعرف أن كانت وفاتها قبل وفاة المنصور بن أبى عامر أو بعده ، فكل ما تقول الرواية الاسلامية فى هذا الصدد ، هو أن وفاتها كانت فى حياة أبنها هشام . ويبدو أنها توفيت قبل وفاة المنصور بن أبى عامر سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م ، حيث أننا لم نجد لها دور فى تاريخ الأندلس بعد وفاته (٢) .

---

(١) : أبن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ١٩٥

(٢) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٥٦ - ٥٥٧ ، وكذلك تراجم أسلامية ، ص ٢١٠ - ٢١١ (أنظر قصيدة الشاعر الأندلسى أبو عمر محمد بن دراج القسطلى فى رثاء السيدة صبح) .
- JAN READ:Op.cit.,P.88.

مقتل غالب قائد الثغر الأعلى :-

لم يبق أمام المنصور بن أبي عامر من منافس له في الدولة بعد سجن المصحفي وحجر الخليفة هشام المؤيد بالله سوى صهره القائد غالب قائد الثغر الأعلى الذي كانت مدينة سالم مقر قيادته . وكان القائد غالب قد أبدى أمتعاضه من المنصور لحجره الخليفة هشام ،وأستبداده بالسلطة في دولة الخلافة الأموية ،ولكنه كتم ذلك على مضض . وكان المنصور بن أبي عامر يخشى ثورة القائد غالب عليه لأنه كان يعرف له مقدرته ومهارته العسكرية التي كان يتمتع بها والتي كانت تفوق قدرته هو نفسه .

فما كان من المنصور بن أبي عامر أن جعل ضدا للقائد غالب ،هذا الضد هو جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي الذي برز في الصراع بين الفاطميين والأمويين على المغرب الأقصى . فقد أستدعاه المنصور من المغرب الأقصى الى الأندلس ،فدخله جعفر في جيش كبير من البربر يقدر بحوالي ستمائة جندي بعد أن أستخلف على المغرب الأقصى أخاه يحيى . ونزل جعفر قصر العقاب الذي جهزه له المنصور بن أبي عامر وجعل له فيه كل وسائل الراحة (١) ، كما أصدر مرسوما يحمل توقيع الخليفة هشام بتولية جعفر بن علي بن حمدون مرتبة الوزارة ،وبذلك أزدادت العلاقة ثقة بينهما . كما أستمر المنصور في طلب الجند

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ،جـ٢ ،ص ٢٧٩
ـــ أنيس النصولي : الدولة الأموية في قرطبة ،ص ١٣٤ - ١٣٦

من العدوة المغربية حيث أصبحوا أكثر جند الأندلس ، وأنعم عليهم في الرزق وذلك أستعدادا لمحاربة صهره القائد غالب [١].

وعندما علم القائد غالب بوصول جعفر بن علي بن حمدون مع جيشه الى الاندلس عرف هدف تخطيط المنصور للاطاحة به وأراد أن يتخلص منه قبل أن يتمكن منه . ولذلك أستدعى المنصور بن أبي عامر وهو في أحدى غزواته الى وليمة أعدها له في قلعة بانتيسه مكان أقامته . ولما قدم اليه المنصور أنفرد غالب في الاجتماع به وأخذ يعاتبه على سياسته في الدولة وحجر هشام في قصره . وأشتدت حدة النقاش بينهما فما كان من غالب الا أن أخرج سيفه وأشهره على المنصور فأصابه بجراح أبانت بعض أنامل المنصور ، وجرحت صدغه وكاد أن يقضي عليه لولا أن المنصور أستطاع أن يفر من أمامه ، وركب فرسه من أعلى القلعة ، وبذلك نجا من موت محقق [٢]. وبقي غالب في قلعة بانتيسة ، وأما المنصور فسار الى مدينة سالم حيث قصر القائد غالب وأسرته ، فأستولى عليها وعلى جميع ممتلكات القائد غالب من الاموال ووزعها على جيشه . فما كان من القائد غالب الا أن أستنجد ببعض ملوك النصارى الغاضبين على المنصور ، وذلك أستعدادا لملاقته في معركة فاصلة [٣].

وبعد عودة المنصور الى قرطبة أخذ يتأهب للأستعداد لخوض حرب عنيفة ضد صهره غالب . ولما أكتمل له ذلك سار بجيشه الى مدينة سالم لملاقته

---

(١) : أبراهيم بيضون : الدولة العربية في أسبانيا ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨
— علي أدهم منصور الاندلس ، ص ٩٠
-DOZY:Op.cit., PP.498-499.

(٢) : المقري : نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ٩٢
— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ص ٣٣٣
— لين بول : قصة العرب في أسبانيا ، ص ١٤٨ - ١٤٩

(٣) : أبن الخطيب : أعمال الاعلام ، قـ ٢ ، ص ٦٢ - ٦٤
— المقري : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٩٢

وعند ما أقترب من مدينة سالم ، خرج اليه القائد غالب فى جيش كبير وفيه عدد ضخم من النصارى من طائفة البشكنس بقيادة أبن ملكهم رامير بن سانشو . ونزل المنصور بن أبى عامر حصن شنت بجنت بالقرب من أنتيسة فى يوم الخميس الثانى من شهر محرم سنة ٣٧١ هـ . وهناك التقى جيش القائد غالب بجيش المنصور ووقعت بينهما معركة جبارة ، فبرز المنصور مع جيشه من جند الأندلس فى قلب المعركة ، وحليفه الوزير جعفر أبن على بن حمدون بجيشه من البربر فى الميمنة ، وأبو الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبى ، وحسن بن أحمد بن عبد الودود فى معظم أهل الثغر فى الميسرة (١) ، فاشتعلت نيران الحرب وأستمرت ثلاثة أيام ، وفى اليوم الأخير منها وهو يوم السبت الرابع من شهر محرم عام ٣٧١ هـ ، أشتد القتال بين المنصور وغالب فى كل جهة من ساحة القتال ، وأقبل القائد غالب وهو راكب فرسه وعلى رأسه خوذة مذهبة مرتفعة السمك ، وقد عصبها بعصابة حمراء علامة له فى المعركة ، وكان قد قارب الثمانين سنة من عمره (٢) . وهاجم القائد غالب الميمنة والميسرة فى جيش المنصور فهزمهم بينما بقى قلب الجيش بقيادة المنصور ثابتا فى مكانه ، والمنصور يصفق بيديه مندهشا لهزيمة جيشه فى الميمنة والميسرة ، وأخذت رجلاه تضطربان من التفوق الذى أحرزه القائد غالب عليه فى هذه المعركة ، والذى أصبح فيها المنصور شبه منهزم أمام كثافة وبسالة جيش صهره .

وأستمر الجانبان فى القتال وفى معمعة المعركة رفع القائد غالب يده وقال : " اللهم أن كنت تعلم أن بقائى أصلح للمسلمين وأعود عليهم من بقاء محمد أبن أبى عامر فأهلكه وأنصرنى عليه ، وأن كان هو أولى بذلك منى فأنصره علىّ وأرحنى " . وأشتد غالب فى حملته على المنصور وما لبث أن سقط من على فرسه ، ولا أثر

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٣٨ - ٥٤٠

(٢) : أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦

لشيء من السلاح على جسمه ،وقيل أن قريوس سرجه الأندلسى أصاب جانب قلبه ، وقيل غير ذلك ،فلم يتفقوا فى سبب موته . وقد زعم قوم من غلمانه أنه ذهب عنهم من المعركة وظنوا أنه يريد قضاء الحاجة ، فلما أبطأ ساروا فى أثره فوجدوه ساقطا ميتا وفرسه يعلك اللجام بقربه ، فظهر الخوف والرعب على وجوههم . وذهب رجل من أصحاب القائد غالب الى المنصور يبشره بموت صهره ، فلم يصدقه المنصور حتى أحضر اليه خاتم غالب ورأسه ، فخر المنصور ساجدا ،وكبّر جيش المنصور حتى أرعبوا قلوب النصارى المحاربين فى صفوف جيش القائد غالب (١) ،ثم هجم جيش المنصور على جيش القائد غالب وهزموهم ، وقد قتل فى هذه المعركة عدد كبير من المسلمين ، كما قتل من النصارى عدد ضخم . وكان من بين القتلى الأمير النصرانى رامير سانشو أحد أمراء البشكنس الذين قدموا لمساعدة القائد غالب فى حربه مع المنصور. وكان موت القائد غالب قائد الثغر الأعلى فى الأندلس يوم السبت الرابع من شهر محرم سنة ٣٧١ هـ (٢) .

وكانت هذه المعركة من أشد المعارك التى واجهت المنصور بن أبى عامر فى حياته القتاليه ، اذ كاد يفقد حياته مرتين لو لم ينقذه القدر: الأولى عند ما فر من وجه القائد غالب فى القلعة ،والثانية عند ما سقط خصمه القوى غالب من فوق حصانه فى أشد الظروف حرجا له (٣) .

---

(١) : أبن الخطيب : المصدر السابق ،ص ٦٤ - ٦٥
— أبن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٧٩
(٢) : عنان : المرجع السابق ،ص ٥٣٨ - ٢٧٩
-JAN READ: Op.cit., P.88

(٣) : أبراهيم بيضون : المرجع السابق ،ص ٣٤١ - ٣٤٢

قتل جعفر بن علي بن حمدون الاندلسي ، والاحوص معن بن عبد العزيز التجيبي :-

وكان المنصور بن ابي عامر قد رفع القائد جعفر بن علي بن حمدون الاندلسي الى خطة الوزارة حين قدم من العدوة المغربية الى الاندلس ، وذلك لمساعدته في القضاء على صهره القائد غالب وكسب تأييد البربر له . ولما انتهى المنصور بن ابي عامر من أمر القائد غالب بقتله ، استدار الى حليفه جعفر بن علي بن حمدون الاندلسي ، حيث كان المنصور يخشى مشاريعه واطماعه وتوسع نفوذه في العدوة المغربية . فدعاه المنصور ذات ليلة الى مأدبة عشاء ، وحضر جعفر بن علي بن حمدون هذه الوليمة ، وأكثر من الأكل والشراب (١) ثم خرج جعفر من عند المنصور مثقل الرأس فاقد الوعي مع بعض أعوانه قاصدا منزله ، فأمر المنصور أبا الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي وهو من فرسان العرب المشهورين في الاندلس مع طائفة من الجند الاندلسيين بقتل جعفر ، فقتله الأحوص أثناء رجوعه الى داره ، وحمل رأسه الى المنصور ، وكان مقتله في الثالث من شهر شعبان سنة ٣٧٣ هـ . وتظاهر المنصور بالحزن عليه ، ثم مالبث ان قتل بعد ذلك أبا الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي . (٢)

---

(١) : ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٦٥
ـ عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٤٢

(٢) : ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ - ٢٨١
ـ علي ادهم : المرجع السابق ، ص ٩٥

مقتل أبنه عبد الله ،وعبد الرحمن بن مطرف التجيبي حاكم سرقسطه :-

كان حكام الثغر الأعلى (سرقسطه) بنو هشام التجيبيون يتمتعون فيهما بنوع من الأستقلال المحلى ،ويحافظون على سلطانهم فيها بالرغم من أعترافهم الأسمى بانتمائهم للحكومة المركزية في قرطبة . وكان حاكمها أبان تولى المنصور بن أبي عامر سلطات الدولة ،و هو عبد الرحمن بن مطرف التجيبي ،الذى أخذ يراقب بحذر سياسته في القضاء على كبار رجال الدولة من المعارضين لسياسته (١) .

ومن ثم أخذ عبد الرحمن بن مطرف التجيبي يعمل لحماية سلطانه في الثغر الأعلى من كيد المنصور ،وهداه تفكيره الى التحالف مع جيرانه من النصارى في نبره (نافار) وقشتالة ،كما فعل أسلافه أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر. ولكن تطور الأحداث جعلته يتجه أتجاها آخر ،وذلك أن عبد الله أبن المنصور بن أبي عامر كان ناقما على أبيه لتفضيله أخاه عبد الملك دونه ولتوليته أياه المناصب الحساسه في الدولة وندبه للأحداث العظيمة لثقته به .
وكان عبد الله بن المنصور في ذلك الحين في الحادية والعشرين من عمره ،وكان يشعر بأنه متفوق على أخيه الأكبر عبد الملك في الشجاعة والحرب . ولجأ الى عبد الرحمن بن مطرف التجيبي حاكم سرقسطه الذى كان هو أيضا من المعارضين لسياسة المنصور.

ولذلك تآمر عبد الله مع عبد الرحمن في القيام بثورة على المنصور والقضاء عليه في أول فرصة تسنح لهما ،على أن يتقاسما ملك الأندلس بينهما ، فيستولى عبد الله بن المنصور على الحضرة - قرطبة - ويستولى عبد الرحمن بن مطرف التجيبي على الثغر الأعلى وأحوازه . فقاما في نشر دعوتهما سرا ،وأنضم

---

(١) : عنان : المرجع السابق ،ص ٥٤٨ - ٥٤٩

اليهما في هذه المؤامرة بعض رجال الدولة وكبار الجند من الحاقدين على المنصور وفي مقدمتهم الوزير عبد الله بن عبد العزيز المرواني حاكم طليطلة والمعروف بالربضي (١).

غير أن أخبار هذه المؤامرة تسربت الى المنصور قبل تنفيذها ، فما كان منه الا أن عمل الحيلة في أخمادها بأن أستدعى أبنه عبد الله من سرقسطه وأبدى له كثيرا من العطف والثقة به ، كما أصدر أمرا بأعفاء الوزير عبد الله بن عبد العزيز المرواني من حكم طليطلة ومن الوزارة ، وأمره أن يلزم داره (٢).

وعند ما هم المنصور بالخروج في غزوته بالصائفة متجها الى قشتالة ، لم يكن قد بقي بعيدا عن قبضته من أفراد تلك المؤامرة سوى عبد الرحمن بن مطرف التجيبي حاكم سرقسطه . وكان المنصور قد طلب أمدادات الثغور لهذه الغزوه ، فتوافدت عليه ، وكان في مقدمتها عبد الرحمن بن مطرف التجيبي حاكم سرقسطه مع رجاله . وأجتمعت الجيوش بوادي الحجارة ، وهناك أجمع أهل الثغور بدسيسة من المنصور على الشكوى من عبد الرحمن بن مطرف التجيبي بدعوى أنه يقوم بأحتباس رواتبهم وأرزاقهم ويحتفظ بها لنفسه ، فما كان من المنصور الا أن أصدر أمرا بخلعه من حكم سرقسطه ، وذلك في نهاية شهر صفر سنة ٣٧٩هـ. ثم رأى المنصور الأبقاء على صلته ببني هشام التجيبين ، فعين لحكم سرقسطه يحيى بن عبد الرحمن بن مطرف التجيبي الملقب بـ " سماحة " ولم تمض بضعة أيام حتى أمر المنصور بالقبض على عبد الرحمن بن مطرف التجيبي وسجنه

---

(١) : أبن عذاري : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨٣
— عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٥٤٨ - ٥٥٠
(٢) : أبن عذاري : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٨٣

كما أمر بمحاسبته بحجة تبديده رواتب جند الثغر ،وأخيرا أنتهى أمره بمقتله بالزاهرة فى سنة ٣٧٩ هـ (١) .

ثم طلب المنصور من أبنه عبد الله الانضمام الى معسكر الجيش الذى سار به الى شنت أشتين ،وذلك خوفا مما قد يحدثه أبنه عبد الله فيما لو ترك فى قرطبة أو الزاهرة وأبوه المنصور بعيد عنه فى غزواته . وبينما كان المنصور مشغولا مع جنده فى حصار شنت أشتين ،تمكن عبد الله من الفرار من المعسكر مع ستة من غلمانه ،ولجأ الى غرسية فرنانديز كونت قشتاله (٢) الذى وعده بحمايته من أبيه المنصور . الا أن المنصور طلب من غرسية فرنانديز تسليم أبنه عبد الله له ، وأقسم ألا يرجع عن قتاله حتى يسلم اليه أبنه عبد الله ،فرفض غرسية طلب المنصور ، وقامت بينهما معارك قتالية أنتصر فيها المنصور على غرسية ،وأستولى على حصن أوسمة (وخشمة) وجعل فيه حامية أسلامية ،وبعدها أستولى على (القبة) . وهكذا توالت الهزائم على غرسية ،مما أضطره فى النهاية الى أن يطلب من المنصور الأمان ،وأن يتعهد له بتسليم أبنه عبد الله له ،فقبل المنصور ذلك (٣) .

وبعث غرسية بعبد الله بن المنصور وأصحابه الى أبيه . وخرج خادم المنصور المسمى سعد يستقبل أبنه وفى الطريق الى قرطبه دنا عبد الله من الخادم سعد وهو راكب وعليه ثوب جميل عجيب الصنعة ،فقبل سعد يده وآنسه وهون عليه الخطب وعند ما أقترب الركب من الوادى تخلى عنه سعد ووكل به من يقتله وذلك تنفيذا لأمر المنصور ،فخف به الموكلون لهذه المهمه وأعلموه بقرب

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٣٨٢ - ٢٨٣
ـ عنان : المرجع السابق ،ص ٥٤٩ - ٥٥٠

(٢) : يذكر أبن عذارى (البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٨٤) أن الكونت غرسية فرنانديز هو صاحب البة ،والصحيح ما ورد فى المتن .

(٣) : عنان : نفس المرجع ،ص ٥٤٩ - ٥٥٠

موته وأمروه بالنزول من على بغلته ، فلم يمتنع لأمرهم ، وترجل ومشى الى حتفه منطلقا هادئا لم تظهر عليه علامة الخوف بل ظهرت منه عند الموت صرامة عجب لها من شاهدها . ثم تقدم اليه أبن خفيف الشرطي فضرب عنقه عند غروب الشمس يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر جمادى الثانية سنة ٣٨٠ هـ (١) ، ثم أرسل رأسه في حينه الى والده المنصور الذى بعث به مع كتاب الفتح الى الخليفة هشام المؤيد بالله . وقد دفن جسد أبنه عبد الله فى الموضع الذى قتل فيه ، وكان عمره يوم قتل ثلاثا وعشرين سنة . وكانت غزوة المنصور التى وقعت خلالها تلك الأحداث هى غزوته الخامسة والأربعين (٢) .

غير أن المنصور ما لبث أن أمر بقتل خاد ميه سعد وأبن خفيف لقتلهما أبنه عبد الله على الرغم من أنه هو الذى أمرهما بتنفيذ ذلك ، وقد أزدادت الرهبة من المنصور بعد أن قام بقتل أبنه عبد الله ، فقد جزع الناس من فعلته هذه ، وتكلموا فى ذلك كثيرا وأتهموه بالجنون ، حيث أنهم لم يروا سببا يؤدى به الى قتل أبنه . وبينما كان المنصور مقيما فى قلعة رباح في بعض غزواته ، جلس مع كبار قادة جيشه وأعوانه على مائدة الطعام يتبادلون الحديث ، وكان القوم قد أستفاضوا الحديث فى قتل عبد الله . فقالوا للمنصور : " أيد الله المنصور لقد صرت من قتله فى غاية يعدم الصبر فى مثلها ، فما سبب ذلك " . فقال المنصور : " لا أعلم سببا ، الآ أنى لما عرفت أمه علقت بها وتمكن من قلبى حبها تمكنا لم أقدر أن أسلوعنه ، فأبتعتها متجاوزا النهاية فى ثمنها ، وجعلتها عند قريبة لى ، وكنت كل يوم أخطر اليها أتعرف أستبراءها ، فلما أحست بحبى لها وكلفى بها ، توخت رضائى ، وذكرت لى أنها قد أستبرأت ، وهى

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥

(٢) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٥٠ - ٥٥١

كاذبة تريد بذلك موافقة مساري واستعجال مرادي ، فدخلت بها ، وهي لم تستبرأ ، فكنت شاكا فيه" . وكان مولد عبد الله بن المنصور سنة ٣٥٨ هـ (١) .

ومما قيل في قتله لابنه عبد الله أن المنصور كان جالسا مع رجل من أعيان البربر أسمه زطرزون بن رنزار البرزالي ، فقال للمنصور : يامولاي لم قتلت عبد الله أبنك ، ووصف له شجاعته وخصاله . فقال المنصور : لا يسوءك ذلك ، فلو لم أفعل لقتلني ، وما كان من ولدي بهذا أتهمت أمه ، وكانت أمة سوء ، وقد قالوا أن الأرحام الرديئة تفسد الذرية . ثم قال المنصور : شقينا بهذا الملعون في حياته وبعد موته . وعلم ما كان عليه زطرزون من الجهالة فأعرض عنه (٢) .

وبالاضافة الى قتل المنصور لابنه عبد الله ، فقد قتل أبن أخيه عبد الله أبن يحيى ، وأبني عمه عسقلاجه وأخاه (٣) .

ويبدو لنا من قصة قتل المنصور لابنه عبد الله أنه كان قاسي القلب ، وأن الظروف هي التي جعلته يقوم بالتخلص منه على هذا النحو المؤلم . فأبنه عبد الله بتآمره على أبيه المنصور مع التجيبين أصحاب الثغر الأعلى وخصوم أبيه في قرطبة والزاهرة ، وبالتجائه الى عدو المسلمين غرسية كونت قشتالة ، يكون قد سيطر عليه الحقد والكراهية لأبيه ، فلو نجحت مؤامرته لكان قد قضى على سلطان أبيه ولانهارت تلك الدولة التي نجح المنصور في أقامتها . ولما كان عبد الله لا يتردد في قتل أبيه المنصور ليحقق بذلك أطماعه السياسية التي رسمها

---

(١) : أبن عذاري : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٨٥

(٢) + أبن عذاري : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٨٥

(٣) : شوقي ضيف : مقال بعنوان : نقط العروس في تاريخ الخلفاء لابن حزم . نشر بمجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهره) المجلد الثالث عشر ، الجزء الثاني ، ص ٧٩ .

مع عبد الرحمن بن مطرف التجيبي - حاكم سرقسطه - ، فقد كان تصرف المنصور في قتل أبنه عبد الله تصرفا سياسيا حازما بعيدا عن كل عاطفة ، الا عاطفة الاحتفاظ بالنفس والسلطان . وقد كان للمنصور أسوة في ذلك في بني أمية حكام الأندلس أنفسهم من أمراء وخلفاء . فقد قتل عبد الرحمن الداخل أبن أخيه ، وأبناء عمومته ، كما أقدم الأمير عبد الله على قتل أخوته الثلاثة وقتل ولديه ، ثم جاء الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله ، وقتل ولده وأبناء عمومته ، كل هذه الأعمال بسبب تهمة التآمر على الدولة ، وحرصا على السلطان (١) .

وهكذا أنفرد المنصور بن أبي عامر بأمر الدولة وحده دون منافس ، وسار الى تحقيق غايته بتحطيم منافسيه والقضاء عليهم . ويجمل ابن خلدون القول واصفا معارك المنصور في سحق خصومه ومنافسيه في الدولة بهذه العبارة :

" ثم تجرد لرؤساء الدولة ممن عانده وزاحمه ، فمال عليهم وحطهم عن مراتبهم ، وقتل بعضهم ببعض ، كل ذلك عن أمر هشام وخطه وتوقيعه ، حتى أستأصل بهم ومزق جموعهم " (٢) .

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٥٠ - ٥٥١

(٢) : ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ق١ ، م ٤ ، ص ٣١٩

تعيين أبنيه عبد الملك للحجابة وعبد الرحمن للوزارة :-

وفي سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١م أي بعد عشر سنوات من تلقب محمد بن أبي عامر بالحاجب المنصور ،أتخذ خطوة أخرى نحو تدعيم صفته الملوكية على الأندلس ، فقدم أبنه عبد الملك للولاية من بعده ،وهو فتي لم يكن قد تجاوز الثامنه عشرة من عمره ،فقلده الحجابة والقيادة العليا وسائر المناصب الأخرى التي كان هو نفسه يتقلدها بوصفه حاجبا . وأما هو فقد أقتصر على التلقب بالمنصور، ونفذت كتبه بأسم " المنصور بن أبي عامر وفقه الله " كما قلد أبنه عبد الرحمن خطة الوزارة . وفي سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦م أصدر المنصور بن أبي عامر مرسوما بأن يختص بألقاب السيادة وأن يخاطب " بالملك الكريم " كما بولغ في تكريمه وتعظيمه في سائر المخاطبات ،ودعي له على كافة منابر المساجد في الأندلس مع الخليفة هشام المؤيد بالله(١) .

وزراء الدولة العامرية في عهد المنصور بن أبي عامر ،وفي عهد ولديه :-

كانت حكومة المنصور بن أبي عامر تضم عددا من أقدر رجالات الأندلس في عصره ما بين وزراء وكتاب كانوا يشاركونه المشورة في أمور الدولة . غير أنه على الرغم من ثقته في هؤلاء الوزراء والكتاب وأعتماده عليهم الا أنه كان على قدر كبير من قوة الشخصية وعلو الهمة والأعتداد بالرأى .

فكان من وزرائه ،الكاتب والشاعر أبو مروان عبد الملك أدريس الجزيري الذى أستمر في الوزارة الى أيام أبنه عبد الملك ،والى أن قتل عبد الملك صهره الوزير عيسى أبن القطاع صاحب دولته ،فقد عزله عبد الملك من منصبه بتهمة مساندة عيسى بن

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٩٣
ـ عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٥٥٣

القطاع في مؤامرته على الدولة . وبقي الوزير عبد الملك أدريس الجزيري بطرطوشة بقية حياته (١) .

ومن وزرائه أيضا الوزير أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الذي أختصر كتاب العين ، وكان المنصور قد ولاه شرطته ، كما كان الوزير الزبيدي من بطانة الخليفة الحكم المستنصر ووجوه أصحابه (٢) .

وأيضا الوزير أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور ، الذي كانت له صولات في الحروب ، وكانت أسرته من بيت الوزارة (٣) .

والوزير الشاعر أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي اللغوي البغدادي ، وكانت له مع المنصور بن أبي عامر أخبارا طريفة سنوردها في الباب الرابع من هذه الرسالة (٤) . .

وكذلك الوزير خلف بن حسين بن حيان ، والد المؤرخ أبن حيان مؤلف كتاب المقتبس ، وكتاب المآثر العامرية أو أخبار الدولة العامرية الذي يذكر فيه سيرة المنصور بن أبي عامر وتفاصيل غزواته ، ويصف فيه مناقبه

---

(١) : أبن خاقان : مطمح الانفس ، ص ١٤- ١٥
— أبن الابار : أعتاب الكتاب ، ص ١٩٣ ، ٣٩٦

(٢) : المراكشي : المعجب ، ص ٧٥

(٣) : أبن خاقان : نفس المصدر ، ص ١٦- ١٧

(٤) : المراكشي : نفس المصدر ، ص ٧٥

وهيبته في الدولة (١) .

وأيضا الوزير عيسى بن فطيس ، والوزير أبو عبد الله بن عياش ، والوزير أحمد بن محمد بن حدير ، والوزير الكاتب عيسى بن سعيد بن القطاع الذي صحبه منذ أيام الخليفة الحكم المستنصر ، وكانت له مكانة رفيعة لدى المنصور بن أبي عامر لما كان بينهما من صحبة قديمة . وقد أستمر أبن القطاع في الوزارة بعد موت المنصور الى أن قتله أبنه عبد الملك في سنة ٣٩٧ هـ بتهمة التآمر عليه (٢) .

وأيضا الوزير الكاتب أحمد بن سعيد بن حزم الذي أستوزره المنصور في سنة ٣٨١ هـ ، وكان من أقدر وزرائه وآثرهم لديه ، فقد كان المنصور يستخلفه في أدارة شئون الدولة في أوقات غزواته . ولما شعر المنصور بتوسع نفوذه في الدولة أتهمه بالأستقلال برأيه دون الرجوع اليه ، فعزله من الوزارة دون أن يغير عليه جاهه ونعمه . وكان المنصور يقول : " والله أبن حزم للنصيح حبيبا ، الأمين غيبا . ولكنه زهي برأيه ، وظن أن سلطاني مضطر الى تدبيره " . غير أنه ما لبث أن أعاده المنصور لمنصبه السابق كوزير في دولته . ويروى له أنه كان يوما جالسا مع المنصور بن أبي عامر في بعض مجالسه للعامة ، فرفعت اليه رقعة أستعطاف لأم رجل مسجون كان المنصور غاضبا عليه لجرم أستعظمه منه . فلما قرأها المنصور زاد غضبه على ذلك الرجل المسجون . فأخذ القلم كي يوقع وأراد أن يكتب " يصلب " فكتب " يطلق "

---

(١) : أبن الأبار : أعتاب الكتاب ، ص ١٩٨
— : لقد فقد كتاب المآثر العامرية ولم يصل الينا .

(٢) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٧٤

ثم اعطى الكتاب للوزير احمد بن سعيد بن حزم الذى كتب بدوره الى صاحب الشرطة باطلاقه . فقال المنصور للوزير من امرك بهذا . فأجابه الوزير بانه هو الذى كتب باطلاق صراحه . فقال المنصور : وهمت والله ليصلبن . ثم كرر المنصور ذلك مرة ثانية فكتب "يطلق" بدلا من كلمة "يصلب" وكذلك للمرة الثالثه وهو يريد ان يكتب "يصلب" فيكتب "يطلق" فما كان من المنصور الا ان كتب باطلاق الرجل . فتعجب الوزير الكاتب منه ، فقال له المنصور ابن ابى عامر : نعم يطلق على الرغم منى ، فمن أراد الله اطلاقه لا أقدر انا على منعه .(١)

وكان المنصور بن ابى عامر اذا رأى امرا هاما شاور وزراءه فى شأنه ، فيشيرون عليه بالوجه الذى عرفوه وجرت عليه الدولة الاموية ، فيخالفهم الى المنهج الذى ابتدعه ، فيوافقونه فى رأيه ، ثم لاتلبث ان تسفر نتائج رأيه بالنجاح ، فيعجبون من سديد رأيه .(٢)

وكانت هذه الصفوة من الوزراء والكتاب الذين ينتمى معظمهم الى اسر عريقة تعاقب ابناؤها فى الوزارة ، مثل آل شهيد ، وآل عبده ، وآل فطيس، وآل حدير وغيرهم ممن حملوا عمد الدولة الأموية وعملوعلى توطيد دعائمها ، تعاون المنصور بن ابى عامر فى تسيير دفة الحكم بمقدرة فائقه . وقد استمر معظم هؤلاء الوزراء فى مناصبهم الوزارية فى عهد ابنه عبد الملك ، الا انهم فقدوا مناصبهم هذه فى عهد ابنه الثانى عبد الرحمن الذى لم تطل فترة حكمه وزالت الدولة العامرية بمقتله .(٣)

---

(١) : ابن الابار: اعتاب الكتاب ، ص ١٩١ - ١٩٣

(٢) : المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ،ص ٥٨٨ - ٥٨٩

(٣) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٧٤ - ٥٧٥

أستقرار أحوال الدولة في عهد المنصور بن أبي عامر

نعمت الأندلس في عهد المنصور بن أبي عامر بالرخاء وأستقرار الأمن ، كما تمكن/ المنصور من توطيد سلطة حكومته في المغرب الأقصى الذي فتحه الأمويون في عهد عبد الرحمن الناصر وأبنه الحكم المستنصر ، وهذا يرجع في المقام الأول الى ما كان عليه المنصور من حزم وشدة وحرصه على توخيه العدل في حكمه لرعيته (١) .

ومن حزم المنصور وشدته في ضبط أمور الأندلس وحرصه على توخي العدل في حكمه حتى بين أقرب المقربين اليه تحكي روايات متعددة ، نقتطف - في هذا المجال - بعضها لنثبت مدى ما كانت عليه الأندلس في عهده من أستقرار ، ومدى أخذه لنفسه في أحقاق الحق بين أفراد الرعية . فمن هذه الروايات أنه كان بقرطبة في عهده فتي من أهل الأدب وقد رقت حالته في الطلب ، ثم تولى بعض الأعمال في الخزانة لفترة من الزمن ، فأخذ منها أموالا كثيرة . فلما طلب للمحاسبة بما في عهدته من الأموال وجد عليه نقص في الخزينة يقدر بثلاثة آلاف دينار فرفع أمره الى المنصور بن أبي عامر الذي أمر بأحضاره ، وأعترف الفتي بما أخذه من مال الخزينة . فقال له المنصور : يافاسق ما الذي جرأك على مال السلطان تنتهبه ؟ . فقال الفتي : قضاء غلب الرأي وفقر أفسد الأمانة . فقال له المنصور : والله لأجعلنك نكالا لغيرك . فأمر المنصور بتقييده بالحديد ، فأحضر الفتي الى المنصور مقيدا وأمر بسجنه وتشديد الحراسة عليه . وعند ما نهض الفتي للمثول لأمر المنصور أنشد يقول :

---

(١) : عنان : تراجم أسلاميه ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩

أوّه أوّاه وكـم ذا أرى — أكثر من تذكار أوه

ما لامرئ حول ولا قوة — والحول والقوة لله

فلما سمع المنصور منه هذين البيتين من الشعر امر برده ، وقال له :
أتمثلت أم قلت ؟ قال الفتى ، بل قلت ، فأمر المنصور بفك قيده ، فأنشد الفتى يقول :

أما ترى عفو ابن ابى عامر — لابد ان تتبعه منّة

كذلك والله اذا ما عفا — عن عبده أدخله الجنة

فأمر المنصور بن ابى عامر باطلاق سراحه وانعم عليه بالمال وأبرأ ذمته من التهمة .(١)

وقد أوصلت صلابة المنصور وسياسته الحكيمة الأندلس في عهده الى قمة المجد . فلم يكن ينال منه التعب في سهره على أحوال الدولة في الأندلس والمغرب الاقصى ولا لكثرة غزواته ضد الممالك النصرانية الأسبانية المتاخمة لحدود الدولة الاسلامية في الاندلس ، الأمر الذي ملاء الأندلس بالغنائم والسبي وأدى الى ازدهار الاقتصاد الأندلسي في عهده وبالتالي الى تحقيق الرخاء والاستقرار في الاندلس مما ساعده في تحقيق الاستقرار في البلاد في عهده ما قام به من كسر شوكة العشائر والقبائل العربية التي كثيرا ما كانت تتنازع فيما بينهما .(٢)

كما قام المنصور بضبط قرطبة وأنسى أهلها ما كانوا يعانونه من عدم استقرار قبل توليه ضبطها . فقد قام بسد باب الشفاعات وقمع أهل الفسق والاجرام وآمن الناس من عدوان حاشية السلطان . وقيل - في هذا

---

(١) : المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤١٨ - ٤١٩
ــ محمود يوسف : مقال بعنوان : المنصور بن ابى عامر . مجلة تطوان ، العدد الثالث ، ص ١٦٨ ، المغرب ، عام ١٩٥٥م

(٢) : لين بول : قصة العرب في اسبانيا ، ص ١٤٩ - ١٥٠

الصدد ـ أنه عثر على أبن عم له يعرف بعسقلاجة كان قد بدر منه أمر مخالف لقوانين الأمن ، فأحضره الى مجلس الشرطة وجلده جلدا مبرحا ، ثم أسند حكم المدينة من بعده الى أبن عمه عمرو بن عبد الله بن أبى عامر الذى سلك نهج المنصور فى العمل على أستتاب الأمن فيها (١) .

ومما يروى عن حرص المنصور بن أبى عامر على شئون الدولة واستتباب الأمن فيها ، أنه كان جالسا فى بعض الليالى وكانت تلك الليلة شديدة البرودة والمطر ، فدعا أحد فرسانه فقال له : أنهض الآن وسر الى فج طلياش وأقم فيه ، فأول خاطر يخطر عليك سقه الىّ . فنهض الفارس وبقى فى الفج فى البرد والريح والمطر واقفا على فرسه طوال ليلته . فقدم عليه قرب الفجر شيخ هرم راكبا على حمار له ومعه آلة حطب فقال له الفارس : الى أين تريد ياشيخ ؟ فقال : وراء حطب . فقال الفارس فى نفسه : هذا شيخ مسكين نهض الى الجبل يسوق حطبا فما عسى أن يريد المنصور منه ؟ قال فتركته . فسار عنى قليلا . ثم فكرت فى قول المنصور وخفت سطوته . فنهضت الى الشيخ وقلت له : أرجع الى مولانا المنصور . فقال له : ما عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلى ؟ سألتك بالله أن تتركنى لطلب معيشتى . فقال له الفارس : لا أفعل . ثم قدم به على المنصور وهو جالس لم ينم ليلته تلك . فقال المنصور للجند الصقالبة : فتشوه ، فلم يجدوا معه شيئا . فقال المنصور فتشوا برذعة حماره ، فوجدوا بداخلها كتابا من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور يخدمون عنده الى أصحابهم من النصارى ، ليقبلوا ويضربوا فى أحدى النواحى

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧
ـ عنان : المرجع السابق ، ص ٥٢٨ - ٥٢٩

المعلومة . فلما أنبلج الصباح أمر المنصور بن أبي عامر بأخراج أولئك النصارى الى باب الزاهرة ، فضربت أعناقهم وضرب عنق الشيخ معهم حامل الكتاب (١) .

ومن حرص المنصور على الأمن أنه في أحد الأيام بينما كان يتفقد جنده في الميدان ، وقعت عينه على بارقة سيف قد سله أحد الجند بأقصى الميدان ظانا أن المنصور لم يره . فقال المنصور : عليّ بشاهر السيف ، فمثل بين يديه في حينه . فقال له : ما حملك على أن شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه الا عن أذن ؟ فقال الجندي : أني أشرت به لصاحبي مغمدا فزلق من غمده . فقال المنصور : أن مثل هذا لا يسوغ بالدعوى فأمر بضرب عنقه بسيفه ، وأخبر الناس بذنب الجندي (٢) .

ومن عدل المنصور في نصرة المظلوم أن رجلا جوهريا من تجار المشرق قدم اليه من مدينة عدن ومعه جواهر كثيرة وأحجار نفيسة فأشترى منه المنصور من ذلك ما أستحسنه ، ودفع الى التاجر الجواهري ثمن تلك المجوهرات في صرة . فأخذ هذا التاجر وأنصرف الى طريق الرملة على شاطىء النهر . وكان ذلك اليوم شديد الحر ، فأخذ التاجر في التبرج في النهر فوضع ثيابه ومعها الصرة على الشاطىء ، فمرت حدأة وأختطفت الصرة تحسبها لحما وصعدت بها في الأفق . فتابعها التاجر ينظره وأخذته الحسرة والحزن على فقد ماله . فما كان منه الا أن ذهب الى المنصور بن أبي عامر وأخبره بما حدث له على الشاطىء . فقال له المنصور : هل أتيتنا بحدثان وقوع الأمر ؟ فكنا نستظهر على الحيلة ، فهل هُديت الى الناحية التي أخذ الطير اليها . قال التاجر : مشرقا على سمت هذا الجنان - البستان - الذي يلي قصرك - ويعني بذلك الرملة - فدعى

---

(١) : أبن عذاري : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ (نقلا عن أبن حيان)
— المقري : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤١١ (نقلا عن أبن حيان)

(٢) : المقري : نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٤١٩ - ٤٢٠

المنصور شرطيه الخاص به ، وقال له : جئني بمشيخة أهل الرملة الساعة .
فأحضرهم المنصور ، وأمرهم بالبحث عمن غير حال الاقلال منهم سريعا .
فتشاور المشيخة في هذا الأمر ثم قالوا : يامولانا ما نعلم الآ رجلا من
ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده بأيديهم ، ويتناولون السقي بأقدامهم عجزا
من شراء دابة ، فأبتاع اليوم دابة وأكتسى هو وأولاده كسوة متوسطة [1] . فأمر
بأحضاره في اليوم التالي ، فحضر الرجل بين يدى المنصور ، فأستجوبه بحضور
التاجر فقال له المنصور : سبب ضاع منا وسقط اليك ما فعلت به ؟ فقال له
الرجل البستاني : هو ذا يامولاى ، وأخرج الصرة من جيب سرواله . فصاح
التاجر فرحا . فقال المنصور للبستاني : صف لي حديثها . قال بينما
أنا أعمل في جناني تحت نخلة أذ سقطت أمامي فأخذتها وراقني منظرها ، فقلت
ان الطائر قد أختلسها من قصرك لقرب الجوار ، فأحترزت بها ودعتني فاقتي الى
أخذ عشرة مثاقيل عيونا كانت معها مصرورة ، وقلت أقل ما يكون في كرم مولاى أن يسمح
به . فأعجب المنصور من تصرف البستان ، فقال للتاجر : خذ صرتك وأنظرها
وأصدقني عددها . فقام التاجر يعدها وقال : وحق رأسك يامولاى ما ضاع
منها شيء سوى الدنانير التي ذكرها وقد وهبتها له . فقال له المنصور : نحن
أولى بذلك منك ولا ينقص عليك فرحتك ، ولولا جمعه بين الاقرار والانكار لكان ثوابه
موفورا عليه . ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضا عن دنانيره التي صرفها البستاني ،
وللبستاني بعشرة دنانير ثوابا لتأنيه عن أفساد ما وقع في يديه . وقال
المنصور : لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث لأوسعناه جزاء . فأخذ التاجر في
الثناء على المنصور بعد أن أستعاد نشاطه برجوع ماله . فقال للمنصور :

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩١ - ٢٩٢

والله لابثن في الاقطار عظيم ملكك ولابين أنك تملك طير عملك كما تملك أنسها ، فلا تعتصم منك ولا توءذي جارك . فضحك المنصور وقال : أقصد في قولك يغفر الله لك . فعجب الناس من تلطف المنصور في أزالة كربة التاجر [١] .

ومن عدل المنصور بن أبي عامر أيضا قصة فتاه المعروف بالميورقي أكبر خدمه والمشرف على داره ، وما وقع له مع التاجر المغربي ، حيث تنازعا في خصومه بينهما توجهت فيها اليمين على الميورقي . فدافع الحاكم عنه ظانا ان منصب الميورقي وجاهه لدى المنصور يمنعه من أحلافه . فما كان من التاجر المغربي الا أن وقف للمنصور بن أبي عامر وهو في طريقه الى المسجد الجامع لتأدية الصلاة فيه ، وصرخ متظلما من الفتي الميورقي . فأمر المنصور بأخذ التاجر المغربي الى الحاكم ، فأنصفه من الفتي الميورقي ، كما أمر المنصور بعزل خادمه الميورقي من الخدمة ونفاه من الاندلس [٢] .

وكذلك قصة محمد فصّاد المنصور بن أبي عامر وأمينه على نفسه . فقد أحتاجه المنصور يوما الى الفصد ، فأرسل اليه أحد غلمانه لاحضاره ، فلقيه محبوسا في سجن القاضي محمد بن زرب لظلم ظهر منه على زوجته . فعاد الغلام وأخبر المنصور بقصة الفصاد ، فأمر بأخراجه من السجن مع رقيب من رقباء السجن يلازمه الى أن يفرغ من عمله في الفصد للمنصور ثم يعيده الى حبسه . فشكى الفاصد أمره للمنصور معتقداً أن قربه منه سوف يحميه ويدفع القاضي الى الافراج عنه . فقال له المنصور : يامحمد ان القاضي وهو في عدله ولو أخذني الحق ما أطقت الامتناع منه عد الى محبسك أو أعترف بالحق فهو الذي يطلقك . فبلغت قصته للقاضي ، فصالحه مع زوجته . وزاد القاضي في شدة أحكامه [٣] .

---

(١) : المقري : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤١٢ - ٤١٣
(٢) : أبن عذاري : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠
(٣) : المقري : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤١٠ - ٤١١

ومن عدله في الخاصة والعامة وبسطه الحق على الأقرب فالأقرب من خاصته وحاشيته ما يضرب به المثل ، فقد حدث أن وقف أمامه رجل من العامة وهو في مجلسه ، فناداه : يا ناصر الحق، أن لي مظلمة عند ذلك الرجل الوصيف الذي على رأسك ، وأشار الى الفتى صاحب الدرقة وكان له فضل لدى المنصور . فقال دعوته الى الحاكم فلم يأت . فقال المنصور أو عبد الرحمن بن فطيس بهذه المنزلة من العجز والمهانة ، وكنا نظنه أمضى من ذلك ؟ اذكر مظلمتك يا هذا . فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما قطعها من غير أنصاف ، فقال المنصور : ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية . ثم نظر الى الصقلبي وقد ظهر عليه الخوف وقال له : أدفع الدرقة الى فلان وأنزل صاغرا وساو خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق أو يضعك . ثم قال لصاحب الشرطة الخاصة به : خذ بيد هذا الظالم الفاسق وقدمه مع خصمه الى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه بأغلظ ما يوجبه الحق من سجن وغيره . فشكر الرجل المنصور ، فقال له المنصور : قد أنتصفت أنت فأذهب لسبيلك ، وبقي أنصافي أنا ممن تهاون بمنزلتي . فتناول الصقلبي أشد أنواع المذلة ، وأعفي عن الخدمة (١)

وكان المنصور يقضي معظم ليله ساهرا ، وحدث أن خادمه شعله قال له : في ليلة طال سهره فيها : قد أفرط مولانا في السهر وبدنه يحتاج الى كثير من النوم وهو يعلم ما يحرك عليه السهر من علة العصب . فقال له المنصور : يا شعلة . حارس الدنيا لا ينام اذا نامت الرعية ، ولو أستوفيت نومي لما كان في دور هذا البلد عين نائمة ، ولو كنت صاحب هذا القصر (وأشار الى ناحية قصر الخليفة هشام) على مسافة بسيطة لحرمت النوم ، فكيف وأن ما بيننا مدى صيحة . وكان المنصور يدون أثناء سهره في لياليه ملاحظاته في أمور الدولة ، وفي الصباح

---

(١) : ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٨٩
— المقري : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٤٠٩ - ٤١٠
-DOZY: Op. cit., P. 520.

يدخل عليه وزرائه وكبار أعيان الدولة ، فيناقشهم فيما دونه ورسمه من ملاحظات [١] .

كرم المنصور بن أبي عامر لرعيته :-

اذا كان المنصور قد ساس البلاد بعدل بين الرعية ، وسهره على مصالحها بما عرف عنه من حزم وعزم ويقظه قلّ أن يوجد مثيل لها فيمن عرفه التاريخ من عظماء الرجال كما تشير الى ذلك ما نقلناه من روايات تروى عنه - وهي جزء من فيض تمتلىء به كتب التاريخ - فأنه بجانب ذلك كان نموذجا لرجل الدولة الذى وهبه الله القدرة على أصطناع الرجال بحسن معاملته وأكرامه لهم وبمآثره الحميدة عليهم . وفى هذا الصدد تمدنا أيضا المصادر بالكثير من القصص والنوادر التي تحكى عنه منذ أن تولى خطة السكه فى عهد الخليفة الحكم المستنصر ، فقد أخذ الناس يلجأون اليه ويطمعون فى كرمه بعد أن أشتهر بينهم بالكرم [٢] . وما أن تحقق له من السلطان ما يريد أزداد غدقا فى كرمه وطوق الناس بفضل أحسانه وبمآثره الحميدة [٣] .

ولسنا فى حاجة الى ترديد هذه القصص والنوادر التي تروى عن كرمه ، اذ أكتفينا أن نستشهد بما ورد على لسان أبن عذارى فى هذا الصدد ، اذ يقول : " أحتاج الناس اليه وغشو بابه ، فأنساهم من سلف من أصحاب السلطان سعة أسعاف وكرم لقاء وسهولة حجاب ، وحسن أخلاق ، فعرف جاهه وعمر بابه " [٤] .

---

(١) : أبن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٧٥ - ٧٦
— أبن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٨
— المقرى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤١٦ — المقرى : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٨٨
(٢) : أنظر أبن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م١ ، ص ٤٥ - ٤٦
(٣) — المقرى : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٤١٣ - ٤١٨ ، ٥٩٦
-GEORGE C.MILES: THE COINAGE OF THE UMAYYADS OF SPAIN.P.68.

(٤) : ابن عذارى : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٥٨

موت المنصور بن أبي عامر

بينما كان المنصور بن أبي عامر في آخر غزوة له بأرض قشتالة، أشتد عليه مرض النقرس الذي كان يداويه بالكي [(١)] ، وكان قد رفض الأطباء في علته هذه ، وذلك لأختلاف آرائهم في مرضه . وبعد أنتهائه من تلك الغزوة أشتد عليه مرضه مما جعله غير قادر على السير ، فحمل على أعناق الرجال، والعسكر تحف به قاصدين مدينة سالم . وكان المنصور يقول وهو محمول على أعناق الرجال : " أن زمامي يشتمل على عشرين ألف مرتزق – ويقصد بذلك جيشه – فأصبح فيهم أسوأ حالا مني " ثم وصل مدينة سالم وألمه يزداد ، وذهنه منشغل بأمر الدولة من بعده [(٢)] .

ولما أيقن بقرب أجله ، خلا بأبنه عبد الملك وأخذ يوصيه في أمور الدولة من بعده . وكان المنصور يكرر وصايته لأبنه عبد الملك ، وكلما أراد عبد الملك

---

(١) : كان المنصور عندما كان يشتد عليه ألم هذا الداء يعالج رجله بالكي ، ومما قيل عن قوة صبره وأحتماله للألم أنه أحتاج يوما للكي فأمر الذي يكويه أن يقوم بتلك العملية وهو قاعد في موضع يشرف منه على المجلس المعد لوزرائه وكبار رجال دولته ، فعمل بأمره ، وأخذ المنصور يتكلم مع رجال دولته ويصدر الأوامر ورجله تكوى ، ورجاله لا يشعرون بما يعانيه من آلام الكي حتى شموا رائحة الجلد واللحم فتعجبوا من شدة أحتماله (أنظر المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٢٠) .

(٢) : المقرى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٩٤ – ٩٥
– أبن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٠١
– عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٣٤

الانصراف يرده المنصور ويوصيه وعبد الملك يبكي وأبوه المنصور ينكر عليه بكاءه ، ويقول له : هذا أول العجز والفشل . وأمره أن يترك قيادة الجيش لأخيه عبد الرحمن ، ويعود هو الى قرطبه ومعه القاضي ابن ذكوان ، فوصلها عبد الملك في أول شهر شوال سنة ٣٩٢ هـ . وأخبر الخليفة هشام الحالة التي ترك أبوه المنصور عليها . ولما أزداد المرض على المنصور أصبح لا يستطيع التحدث مع من يدخل ليسلم عليه أو يودعه الا بالاشارة باليد (١) .

ووصية المنصور لابنه عبد الملك هي بمثابة دستور وضعه له ليسير بمقتضاه في حكم الدولة التي أقامها سواء ما كان منها خاصا بحكم الرعية وبمحاسبة العمال وجباية الأموال وأنفاقها ، أو ما كان منها خاصا بموقف المنصور وبنيه من الخلافة ومن بني أمية عامة . ولا يهمنا الآن من هذه الوصية سوى هذا الجانب الأخير منها الذي يوضح موقف المنصور من الخلافة وحرصه على الأبقاء عليها وكيف يبرر أنفراده بالسلطة وأستبداده بها وحجره على الخليفة هشام بسبب جهله وعجزه ، وهو ما يوصي به أيضا أبنه عبد الملك . ففي هذا الصدد ورد في وصيته له قوله له عن الخليفة : " وصاحب القصر قد علمت مذهبه وأنه لا يأتيك من قبله شيء تكرهه ، والآفة ممن يتولاه ويلتمس الوثوب باسمه ، فلا تنم عن هذه الطائفة جملة ، ولا ترفع عنها سوء الظن والتهمة ، وعاجل بها من خفته على أقل بادرة ، مع قيامك بحق صاحب القصر على أتم وجه . فليس لك ولا لأوليئك شيء يقيكم الحنف في يمين بيعته إلا ما تقيمه لوليها من هذه النفقة . وأما الانفراد بالتدبير دونه ، مع ما بلوته من جهله وعجزه عنه ، فأني أرجو أني وأياك منه في سعة ما تمسكنا بالكتاب والسنة " .

---

(١) : أبن بسام : الذخيرة ، ق ٤ م ١ ، ص ٥٤ - ٥٦
- عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٦٦ - ٥٦٧

كما يوصيه أيضا في هذه الوصيه أن يعمل على أن يقبض على زمام الأمور بالعاصمة قرطبة ، أما اذا أستعصى عليه ذلك فأنه يحضه على المقاومة فأن نجح في ذلك يوصيه بالا يغفل عن بني أمية والا يذهل عن الحزم فيهم ،وان فشل في ذلك عليه بالانسحاب بخاصته وغلمانه الى بعض المعاقل التي حصنها أبوه له . وفي نهاية الأمر يوصيه بأن يحذر كل الحذر من بني أمية فيقول له محذرا (وأياك أن تضع يدك في يد مرواني ماطاوعتك بنانك فأني أعرف ذنبي اليهم) . وكان المنصور يعترف فيما بينه وبين نفسه بما أقترفه من ذنب أزاء الخليفة هشام المؤيد بالله وبني أمية عامة وأزالة دولتهم على الرغم من تبريره ذلك بعجز الخليفة هشام المؤيد بالله وجهله . فما فعله المنصور بن أبي عامر قد تعدى شخص الخليفة الى أقامة دولة بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وهي الدولة العامرية التي سلبت الخليفة الأموي وكل بني أمية ما كان لهم من نفوذ وسلطان . وكأنه بقوله هذا أيضا ،أي بأقراره بذنبه الى بني أمية كان يتنبأ بسقوط دولته بعد وفاته على أيديهم . وهو ما حدث في عهد أبنه الثاني عبد الرحمن (١) .

كما قال المنصور بن أبي عامر بعد هذه الوصية لغلمانه يوصيهم في أبنه عبد الملك : " تنبهوا لأمركم ،وحافظوا نعمة الله عليكم في طاعة عبد الملك أخيكم ومولاكم ،ولا تغرنكم بوارق بني أمية ومواعيد من يطلب منهم شتاتكم . وقد روا ما في قلوبهم وقلوب شيعتهم من الحقد عليكم ،فليس يرأسكم بعدى أشفق عليكم من ولدى . وملاك أمركم أن تنسوا الأحقاد ،وأن تكونوا

---

(١) : أنظر نص وصيته لأبنه عبد الملك كما ورد في كتاب أعمال الأعلام لأبن الخطيب ،ق ٢ ،ص ٨١ — ٨٢ — وفي كتاب الذخيرة لأبن بسام ،ق ٤ ،م ١ ،ص ٥٦ — ٥٨

كرجل واحد ، فأنه لا يفل فيكم "[١].

وكانت أمنية المنصور بن أبي عامر أن يدركه الموت وهو في غزواته في ساحة الجهاد في سبيل الله ، وقد حقق الله له هذه الأمنية العظيمة . ومن قوة أدراكه بالموت في أي معركة أنه كان يحمل معه كفنه في غزواته ، وقد صنعها من غزل بناته وأشتريت له من ماله الخاص الموروث من أبيه[٢]. وكان كلما أنصرف من قتال العدو دخل سرداقه المخصص له ويأمر خدمه بأن ينفض غبار ثيابه التي لبسها في المعركة ، كما كان يمسح ما علق على وجهه من غبار ثم يجمعه ويحفظه في منديل ويأمر أن ينشر هذا الغبار على كفنه اذا وضع في مثواه الأخير[٣]. كما كان قد خط بيديه مصحفا كان يحمله معه في غزواته ويقرأ فيه القرآن ويتبرك به[٤]..

وعند ما شعر المنصور بن أبي عامر بقرب موته بكى . فقال له حاجبه الخاص كوثر الفتى : مم تبكي يامولاي ؟ لا بكت عيناك . فقال له المنصور : مما جنيت على المسلمين ، فلو قتلوني وحرقوني ما انتصفوا مني . فقال له وكيف ذلك ؟ وأنت أعززت الاسلام وفتحت البلاد وأزللت الكفر ، وجعلت النصارى ينقلون التراب من أقصى بلاد الروم الى قرطبة حين بنيت بها جامعها . فقال له المنصور : " لما فتحت بلاد الروم ومعاقلهم عمرتها بالاقوات من كل مكان وسجنتها بها حتى عادت في غاية الابداع ، ووصلتها

---

(١) : أبن الخطيب : المصدر السابق ، ق ٢ ، ص ٨٢

(٢) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العاموية ، ص ٥٦٦ - ٥٦٧
— أنيس النصولي : الدولة الأموية في قرطبة ، ص ١٤٠ - ١٤١

(٣) : المراكشي : المعجب ، ص ٨٤ — الضبي : بغية الملتمس ، ص ١١٦
— علي محمد حموده : تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ، ص ٢٣٢ — ٢٣٣

(٤) : ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٨٨

بلاد المسلمين وحصنتها غاية التحصين فأتصلت العمارة [١] ، وهأنا هالك وليس في بني من يخلفني ، وسيشغلون باللهو والطرب والشراب ، فيجيء العدو فيجد بلادا عامرة وأقواتا حاضرة فيتقوى بها على محاصرتها ويستعين بوجدانها على منازلها ، فلا يزال يتغلبها شيئا فشيئا ويطويها طيا فطيا حتى يملك أكثر هذه الجزيرة ، ولا يترك فيها الا معاقل يسيرة ، فلو الهمني الله الى تخريب ما تغلبت عليه وأخلاء ما تملكت ، وجعلت بين بلاد المسلمين وبلاد الروم مسيرة عشرة أيام فيافيا وقفارا ، لا يزالون لو راموا سلوكها حيارى ، فلا يصلون الى بلاد الاسلام الا بمشقة وكثرة الزاد وصعوبة المراد " . فقال له الحاجب كوثر : هيهات حال الجريض دون الجريض ، والله لو أسترحت وأمرت بما ذكرت لقال الناس : مرض المنصور بن أبي عامر فأورثه مرضه جنونا وهوسا تمكن من دماغه ، فخرب بلاد المسلمين وأجلاهم وأفقرها [٢] .

ونفهم من هذا النص أن المنصور كان يخشى على دولته من بعده ، لأن أولاده ليسوا مؤهلين من بعده لأدارتها والدفاع عن حوزتها من هجمات ملوك الأسبان النصارى . كما يفهم منه أيضا أنه كان يخشى أن يستعيد ملوك النصارى الأراضي التي أنتزعها منهم وضمها الى دولته ، وهذا ماحدث في الفترة الأخيره من دولته في عهد أبنه عبد الرحمن ، ومن الخلافة الأموية من بعده ، والتي أدت الى تمزق الأندلس وقيام ممالك الطوائف .

وقد توفي المنصور بن أبي عامر في مدينة سالم [٣] في ليلة الاثنين السابع

---

(١) : هذه الرواية فريدة من نوعها ، لأنها تظهر المنصور بمظهر يختلف كل الأختلاف عما وصفته به المصادر الأخرى من انه قد خرب بلاد النصارى ودمرها ، اذ انه يبدو من هذا النص إنه عمل على تعمير وتحصين بعض المناطق التي غزاها ولا سيما القريبة منها للحدود الاسلامية . وقد أتبع أبنه عبد الملك هذه السياسة في تعمير البلاد التي غزاها والقريبة من حدود المسلمين .

(٢) : أبن الكردبوس : الأكتفاء في تاريخ الخلفاء ، ص ٦٤- ٦٥

(٣) : تقع مدينة سالم على خط الطريق الحديدى ما بين مدريد وسرقسطه . (أنظر البتنوني : رحلة الأندلس ، ص ٧٠) .

والعشرين من شهر رمضان سنة ٣٩٢ هـ / ١١ أغسطس سنة ١٠٠٢ م ، ودفن كرغبته في صحن قصره في مدينة سالم ، وذلك بعد سبعة وعشرين عاما من حكمه ، قام في أثناءها بسبع وخمسين غزوة ، وكان عمره حين حضرته الوفاه ، أربعة وستين عاما (١) .
وقد نقش على قبره هذان البيتان :

آثاره تنبيك عن أخباره — حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله — أبدا ولا يحمي الثغور سواه (٢)

ولبث قبر المنصور بمدينة سالم مزارا معروفا ، وذلك بالرغم من أستيلاء النصارى على المدينة ، منذ أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي . وروى أبن الخطيب أنه عهد الى بعض رسله ممن وجههم الى قشتاله لتأكيد الصلح مع ملكها ، أن يزوروا مدينة سالم لمشاهدة قبر المنصور بن أبي عامر ، وقد أخبره رسله عند عودته ان القبر مايزال قائما في مكانه ، الاّ أن رسومه من الشعر والتاريخ المكتوب قد محيت آثارها ، وقد كان ذلك فيما يبدو في وزارة أبن الخطيب الثانية فيما بين سنتي ٧٦٠ و ٧٧٠هـ / ١٣٦١م و ١٣٧٠م (٣) بعد أن زال ملك المسلمين من معظم أنحاء الاندلس ، وأنحصر في أقصى الجنوب من مملكة غرناطه (٤) .

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٠١
— أبن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٨٠ - ٨١
— ابن خلدون : العبر المجلد الرابع ، ص ٣٢١ - ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص ٦٢
— عنان : المرجع السابق ، ص ٥٦٦ - ٥٦٧
(٢) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٩٨ - ٣٩٩
— ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣
(٣) : أبن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٨٠ - ٨١ — عنان: المرجع السابق، ص ٦٧ه
(٤) — أحمد العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٦٧

وما يحكى عن شجاعة المنصور بن أبي عامر وتوسع رقعة البلاد الاسلاميه الاندلسيه في عهده ، ما أورده شجاع مولى المستعين بن هود — من ملوك الطوائف — أنه قال : لما توجهت الى اذفونش وجدته في مدينة سالم وقد نصب على قبر المنصور ابن أبي عامر سريره وامرأته متكئة الى جانبه ، فقال ياشجاع : أما تراني قد ملكت بلاد المسلمين ، وجلست على قبر ملكهم ؟ قال : فحملتني الغيرة على أن قلت له لو تنفس صاحب هذا القبر وأنت عليه ما سمع منك ما يكره سماعه ولا أستقر بك قرار . فهم بي فحالت امرأته بيني وبينه ، وقالت له صدقك فيما قال أيفخر مثلك بمثل هذا ؟ (١) .

وكانت وفاة المنصور بن أبي عامر بعد رجوعه من غزوته على أمارة قشتالة المسيحية منتصرا . وتدعى المصادر الاسبانية ، أن المنصور جرح في هذه الغزوة عند قلعة النسور في قشتالة وأنه مات متأثرا بجراحه ، وتستند هذه المصادر الاسبانية على مثل شعبي أسباني شائع يقول مامعناه :

" في قلعة النسور مات المنصور وفقد طبله " . ولكن الاصح هي مانقلته المصادر الاندلسية الاسلامية ، من ان المنصور مات على أثر آلام شديدة من مرض مزمن معه .

وقد أحدثت وفاة المنصور بن أبي عامر في الاوساط المسيحية الاسبانية موجة من البشر والفرح ، وذلك بدليل ان الحوليات اللاتينيه التي كان يكتبها الرهبان في الكنائس والاديره أهتمت بتسجيل موت المنصور ، فكتبت تقول عنه : " وفي سنة ١٠٠٢م مات المنصور وذهب الى الجحيم " . وهذا بالطبع يدل على حقد هؤلاء المسيحيين للمنصور لما قام به من كسر شوكتهم في غزواته على بلاد هم التي وسع

---

(١) : المقري : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٩٨ - ٣٩٩
— علي محمد حموده : المرجع السابق ، ص ٢٣٣

فيها مساحة الأراضي الاسلاميه في الاندلس ،وكذلك لحقد المسيحيين على الاسلام والحضارة الاسلاميه التي نعمت بها بلادهم قرونا طويلة (١) .

وبعد دفن المنصور بن أبي عامر في قصره بمدينة سالم أنتظر ابنه عبد الرحمن مع الجيش أمر أخيه عبد الملك في العوده الى قرطبة . وكان عدد من الغلمان يقدرون بنحو سبعمائة قد تركوا عبد الرحمن في مدينة سالم ،وعادوا الى قرطبة طمعا في رد سلطة الخلافة الى هشام المؤيد بالله ،وقالوا لعبد الرحمن : " وأنما نحن في حجر آل بني عامر للدهر ؟ نلحق بباب مولانا الخليفة هشام ،ولا تدبير الا بأمره " .

ثم جاء أمر عبد الملك لأخيه عبد الرحمن بالعودة الى قرطبة مع الجيش وذلك بعد أن قبض على زمام الأمور في عاصمة الدولة . وعند وصول عبد الرحمن تجدد الحزن في قرطبة والزاهرة على موت بطل من أبطال المسلمين المشهورين بخدمة الاسلام الا وهو المنصور بن أبي عامر ، وقد أستمر هذا الحزن لبضعة أيام في الاندلس كلها (٢) .

---

(١) : أحمد العبادى : المرجع السابق ،ص ٢٦٦

(٢) : ابن بسام : الذخيرة ،ق ٤ ،م ١ ،ص ٥٦ (نقلا عن أبن حيان)
- أبن سعيد : المغرب ،ص ٢٠١ - ٢٠٢

رأي المؤرخين في المنصور بن أبي عامر

يتضح لنا من هذه الدراسة عن المنصور بن أبي عامر أنه كان شخصية فذة وفريدة ، ومن ثم خلدها التاريخ على لسان كثير من المؤرخين المسلمين والأسبان الذين أعجبوا به . فقد نقل ابن عذارى والمقري وصف الفتح بن خاقان للمنصور بن أبي عامر في هذه العبارة البليغة والتي تصور لنا شخصيته وسياسته ، والتي فيها يقول : " فرد نابه على من تقدمه وأستخدمه ، فأنه كان أمضاهم سنا وأذكاهم جنانا ، وأعظمهم أستقلالا ، فآل أمره الى ما آل ، وأوهم العقول بذلك المال ، فأنه كان آية الله في أتفاق سعده ، وقربه من الملك بعد بعده ، بهر برفقه القدر ، وأستظهر بالأناة وسعة الصدر ، وتحرك فلاح نجم الهدوء ، وتملك فيما خفق بأرضه لواء عدو بعد خمول كابد منه غصصا وشرقا ، وتعذر مأمول طارد فيه سهرا وأرقا حتى أنجز له الموعود ، وفر نحسه أمام تلك السعود ، فقام بتدبير الخلافة ، وأقعد من كان له فيها أنافة ، وساس الأمور أحسن سياسة ، وداس الخطوب بأخشن دياسة ، فأنتظمت له الممالك وأتضحت به المسالك ، وأنتشر الأمن في كل طريق وأستشعر اليمن كل فريق . وملك الأندلس بضعا وعشرين حجة ولم تدحض بسعادتها حجة ولم تزخر لمكروه بها لجة ، لبست فيها البهاء والأشراق ، وتنفست عن مثل أنفاس العراق ، وكانت أيامه أحمد أيام ، وسهام بأسه أسد سهام . غزا شاتيا وصائفا ومضى فيما يروم زاخرا وعائقا ، فأوغل في تلك الشعاب وتغلل حتى راع ليث الغاب ، ومشى تحت ألويته صيد القبائل ، وأستجرت في ظلها بيض الظبى وسمر الذوابل

وهو يقتضي الأرواح بغير سوم ، وينقض الصفاح على كل روم ، ويتلف من لا ينساق للخلافة وينقاد ، ويختطف منهم كل كوكب وقاد ، حتى أستبد وأنفرد ، وأنس اليه من الطاعة ما أنفرد وشرد ، وأنتظمت له الاندلس بالعدوة (المغرب) وأجتمعت له اجتماع قريش في دار الندوة ، ومع هذا لم يخلع اسم الخلافة ، ولم يدع السمع لخليفته والاجابة ، ظاهر يخالفه الباطن ، وأسم تنافره مواقع الحكم والمواطن . أذل قبائل الاندلس بأجازة البربر وأخمل بهم أولئك الاعلام الاكابر ، فأنه قاومهم باضدادهم وأستكثر من عددهم حتى تغلبوا على الجمهور وسلبوا منهم الظهور ووثبوا عليهم الوثوب المشهور الذي أعاد أكثر الاندلس قفرا يبابا ، وملاءها وحشا وذئابا ، وأعراها من الأمان برهة من الزمان . وعلى هذه الهيئة فهو وأبنه عبد الملك المظفر كانا آخر سعد الاندلس ، وحد السرور بها والتأنس . وغزواته فيها شائعة الاثر رائعة كالسيف ذي الاثر " (١) .

ويلخص لنا أبن عذارى جهود المنصور بن أبي عامر في قتل منافسيه على الحكم بقوله : " كان المنصور آية من آيات فاطره دهاءا ومكرا وسياسة ، عدا بالمصاحفة على الصقالبة حتى قتلهم وأذلهم ، ثم عدا بغالب الناصري على المصاحفة حتى قتلهم وأبادهم ، ثم عدا بجعفر بن حمدون الاندلسي على غالب حتى قتله ، ثم عدا بنفسه على جعفر الاندلسي وقتله ، ثم أنفرد بنفسه وصار ينادي صروف الدهر : هل من مبارز ؟ . فلما لم يجده حمل الدهر على حكمه

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ (نقلا عن أبن خاقان)
— المقري : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦

فانقاد انه وساعده ،فاستقام أمره منفردا بمملكة لا سلف فيها . ومن أوضح الدلائل على سعده أنه لم ينكب قط في حرب شهدها ،وما توجهت قط عليه هزيمة ،وما أنصرف عن مواطن الا قاهرا غالبا ،على كثرة ما زاول الحرب ومارس الأعداء وواجه من الأمم . وأنها لخاصة ما أحسب شاركه فيها أحد من الملوك الأسلامية . ومن أعظم ما أعين به مع قوة سعده وتمكن جده ،سعة جوده وكثرة بذله . فقد كان ذلك أعجوبة الزمان . وأول ما أتكنا على آرائك الملك وأنتشر عليه لواء السعد وخفق حظ صاحبه المصحفي ،وثار له كامن حقده الخفي حتى أصاره للهموم لبيسا في غيابات السجون حبيسا " (١) .

ويضيف الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة قوله عن المنصور :

" وعلى الرغم من ان المنصور لم يكن من أسرة عريقة بالملك فانه حصل على الملك بدهائه وعبقريته ،وتدرجه في المناصب ،وحسن تدبيره في الدولة ،وأيضا لكثرة غزواته وأنتصاراته على النصارى والتي كانت تقابل بأستحسان لدى أهل الأندلس ،وكذلك قتل من يقف في طريقه معترضا على سياسته ،وقد نال الأسلام في عهده بالأندلس عزا ونصرا لم تشهده الأندلس من قبل ،ووصل بالمسلمين الى بلاد النصارى وما كان لأي حاكم قبله قد وصلها " (٢) .

ويذكر لنا أبن عذاري ،وأبن سعيد أبياتا شعرية للمنصور يتحدث فيها عن نفسه مفتخرا :

---

(١) : ابن عذاري : المصدر السابق ،ج ٢ ،ص ٢٨٦

(٢) : الأمير عبد الله : مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة ،ص ١٥

رميت بنفسي هول كل عظيمة ... وخاطرت والحر الكريم مخاطر
وما صاحبي الا جنان مشيع ... وأسمر خطي وأبيض فاتر
وأني لزجاء الجيوش الى الوغى ... أسود تلاقيها أسود خوادر
لسدت بنفسي أهل كل سيادة ... وكاثرت حتى لم أجد من أكاثر
وما شدت بنيانا ولكن زيادة ... على ما بني عبد المليك وعامر
رفعنا المعالي بالعوالي حديثة ... وأورثناها في القديم معافر (١)

ويضيف ابن عذاري الى ذلك قائلا : " وكان المنصور بن أبي عامر متسما بصحة باطنه واعترافه بذنبه وخوفه من ربه ، وكثرة جهاده ، واذا ذكر الله ذكر ، واذا خوف عقابه أزدجر ، وكان يكثر من قراءة القرآن الكريم ، ولم يزل متنزها عن كل ما تفتن به الملوك وكان يهتم بالعلماء ويعلي مراتبهم ، ويجزل العطاء لجنده ، وكان ذا عقل وبصيرا بالحروب" (٢) .

ويضيف المقري أن المنصور بن أبي عامر كان يمني نفسه بفتح مصر والشام ويتهدد الفاطميين وقد أستخلص ذلك من أبيات للمنصور مطلعها :

منع العين ان تذرف المناما ... حبها أن ترى الصفا والمقاما
لي ديون بالشرق عند أناس ... قد حلوا بالمشعرين الحراما
ان قضوها نالوا الأماني ... والا جعلوا دونها قابا وهاما
عن قريب ترى خيول هشام ... تبلغ النيل خطاها والشام (٣)

(١) : ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٤
ـــ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣
(٢) : ابن عذاري : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٨٩
(٣) : المقري : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤٠٦

أما أبن الخطيب فيقول عنه : كان المنصور أسعد أهل الاندلس مولدا ، وأشهرهم بأسا وندا وأبعدهم في حسن الذكر مدا ، الحازم العازم العظيم السياسة ، الشديد الصلابة ، القوى المنة ، الثبت الموقف مقود الاقبال ومبلغ الآمال ، الذى صحبته ألطاف الله الخفية فى الأزمات ، وأطرد له النصر العزيز في نحو سبع وخمسين من الغزوات ، ولم تفارقه السعادة حالتي المحيا والممات . وكان هو وبنوه [١] سترا على هشام ورعيته ، فلما زال لم تستتر لهم عورة ولا عدمت ثورة ، ولا فقدت للكروب ولا للحروب فورة . فأنهبت كل يد ما ملكت ، وفتنت الرعايا وهلكت . [٢] ويضيف أبن الخطيب أيضا في قوله عن المنصور انه كان ينبذ الشوءم ، فقد حذر يوما من رجل ينبذ بالشوءم الذى تعلق به ، وقصت عليه أخبار شوءمه ، فقال المنصور : لا مرحبا بسعدى ان كان لا يعفى عن شوءمه هذا ومثله . [٣]

ويقول أبن الاثير في المنصور : وقد قام المنصور بأدارة الدولة خير قيام وعدل في رعيته وأقبلت الدنيا عليه ، وأنشغل بالجهاد معظم أوقاته ، وفتح كثيرا من البلاد النصرانية ، وفي عهده أغدقت الاندلس بالغنائم والرقيق الذين أنخرط معظمهم في جيشه كواضح الفتي وغيره من المعروفين بالعامريين [٤] .

---

(١) : يستثني من هذا الوصف أبنه عبد الرحمن (شنجول) حيث لم يكن على مستوى المسئولية لأدارة الدولة العامرية التي سقطت في عهده .

(٢) : أبن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٥٨

(٣) : ابن الخطيب : نفس المصدر ، ق ٢ ، ص ٧٤ - ٧٥

(٤) : أبن الاثير : الكامل في التاريخ ، المجلد الثامن ، ص ٦٧٧

ويقول عنان في المنصور : " وخلاصة القول في ترجمة المنصور ابن أبي عامر ،انه كان قائدا عظيما ،أنشأ في الأندلس جيشا منظما دحر به أعداءه نصارى الأسبان ، وكانت أيامه في الأندلس أياما خالدة ،وساد الرخاء والأمن والاستقرار الأندلس في عهده ،كما أزدهرت الزراعة والتجارة والصناعة ،وتقدمت العلوم والآداب ،وكثرت الأموال في خزائن الدولة في عهده . وكان يشجع العلوم والفنون ،فقد قام بأنشاء دور للعلم وكان يقوم بزيارات للمدارس والحلقات العلمية في المساجد ، وأيضا يقوم بمنح المكافآت لمستحقيها من طلاب العلم ،فكان يكثر في مجالسة العلماء ومناظراتهم ،فقد كان له في كل أسبوع مجلس يجتمع فيه بالعلماء والأدباء والشعراء للمناظرة والبحث ،وفي عهده أمتلأت الأندلس بالغنائم والسبي من بنات ورجال نصارى الأسبان وأولادهم . وفي عهده تغالى الناس في تجهيز بناتهم بالثياب والحلي ،وذلك لرخص بنات النصارى الأسبان . ولقوة ذاكرته كان يعرف معظم قواد جيشه بأسمائهم ممن أمتازوا بالشجاعة والبراعة في ساحات القتال ، فيدعوهم الى مائدته في الولائم والأحتفالات الكبيرة التي كان يعدها لجنده عقب كل أنتصار (١) .

أما البتنوني فيضيف في قوله عن المنصور : " وكان من أكبر ملوك الأندلس سلطانا وفضلا وعلما وأحسانا ،له في السياسة اليد الطولى ،وفي أدارة الحكم القدرة الفائقة ، وكانت له مميزات في صفاته وبعد نظره ،وفكر ماهر

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٥٨٠

وقدرة كبيرة على تحمل الشدة»[١] .

وقد أشاد بعبقرية المنصور بن أبي عامر ومواهبه كثير من المؤرخين الغربيين وخاصة الأسبان ، فقد وصفه المؤرخ الأسباني ماسديه فقال : " كان المنصور سياسيا كبيرا ، وقائدا عظيما ، أخمد الثورات التي كانت تعصف بمملكته ، وأكتسب محبة الشعب بجميع طبقاته ، وبرز في شهرته وهيبته على أكبر القواد بما أجتمع في أحكامه من الصرامة واللين والقصاص والعفو ، وكان يهدم المدن التي تقاوم جيوشه ويبيدها ، ولكنه لم يسمح قط لجنده بأن تسيء معاملة مدينة سلمت طوعا .

ويقول المؤرخ الأسباني المعاصر منند يث بيدال معلقا على عصر المنصور أبن أبي عامر : " عاش الأسلام في أسبانيا أروع أيامه وأسطعها ، وأنتهى نصارى الشمال الى حالة دفاع كانت دائما مقرونة بالمحن ، ولاح كأنهم لم يعيشوا الا لتأدية الجزية والسلاح والأسرى والمجد للخلافة الأموية " .

ويلاحظ بيدال في نفس الوقت ان عبقرية المنصور بن أبي عامر العسكرية والسياسية كانت من عوامل القضاء على الروح القومية النصرانية المستعربة ، وذلك لما أغدقه المنصور من عطفه ورعايته على كثير من النصارى المستعربين .

---

(١) : محمد لبيب البتنوني : رحلة الأندلس ، ص ٧٠

ونتختتم ترجمة شخصية المنصور وآراء المؤرخين فيه بكلمة المؤرخ دوزى : " وعلى الجملة ، فاذا وجب ان نستنكر الوسائل التى لجأ اليها المنصور بن أبى عامر فى أغتصاب السلطه ، فمن الواجب أيضا ان نعترف بأنه أستخدمها بطريقة شريفة . وما كنا لنسرف فى لومه لو ان القدر أوجده على أريكة العرش ، ولعله كان يعتبر عندئذ من أعظم الملوك الذين عرفهم التاريخ . (١)

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٨٦ - ٥٨٧

البـــــاب الثانـــــــى

الأحـــوال الداخليه للدولة العامرية فى عهد عبد الملك وعبد الرحمن ولدى المنصور :-

- تولـــى عبد الملك الحجابة وأستقـــرار الأحوال الداخلية فى عهـــده ·

- حجابـــــة عبد الرحمن وزوال الدولة العامرية علـــى عهـــــده ·

تولى عبد الملك الحجابة وأستقرار الأحوال الداخلية فى عهده

تولى عبد الملك الحكم بعد وفاة أبيه المنصور :-

بعد أن توفى المنصور بن أبى عامر ،تولى أبنه عبد الملك السلطة الفعلية من بعده بمقتضى وصية أبيه له . وكانت توليته السلطة بعد موت أبيه مباشرة فى يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٣٩٢ هـ / ١١ أغسطس سنة ١٠٠٢ م ، وبعدها أصدر الخليفة هشام المؤيد بالله مرسوما بتقليده الحجابة وتدبير شئون الدولة (١) .

وكان أول عمل قام به عبد الملك ، هو قمع ثورة الصقالبة الذين رأوا الفرصة سانحة بعد موت أبيه المنصور لأسترجاع مكانتهم السياسية والأجتماعية القديمة فأنشقوا عليه . وقد أمره الخليفة بعدم سفك دماء هؤلاء الصقالبة ولذلك أكتفى عبد الملك بطردهم من البلاد ،ونفى أكثرهم الى سبته فى بلاد المغرب. وبعد ذلك قام عبد الملك بأصدار كتب الحجابة الى الاقاليم الاندلسيه ،واقطار المغرب الاقصى الموالية للأمويين (٢) .

وكان عبد الملك قد أكتسب أكثر صفات أبيه المنصور فى الناحية السياسية والحربية والادارية ، كما أزدادت محبة العامة له لعدله وحمايته للشرع والسهر على أمن البلاد ،وأتباع نهج أبيه فى القيام بالجهاد

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٣ ،ص ٣
— أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ،ص ٢٦٧
-JAN READ:Op.cit.,P.92

(٢) : أبن بسام : الذخيرة ،ق ٤ ،م١ ،ص ٥٨-٥٩
— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ،ص ٣٦٦

ضد الممالك الاسبانية النصرانية ودفاعا عن الأراضى الاسلامية فى الاندلس . كما أحبه الناس بسبب أسقاطه سدس الجباية فى الاندلس . وكان عبد الملك من أكثر الناس حياء، ولكن هذا الحياء كان ينقلب فى ساحة القتال الى شجاعة وصلابة وعنف (١) .

وبعد عودة عبد الملك بن المنصور من غزوة قلونية ،وهى غزوته الخامسة سنة ٣٩٧ هـ والتى كتب الله النصر فيها له على جيش النصارى (٢) ، أخذ عبد الملك يوطد دعائم حكمه متيمما بسياسة أبيه المنصور ،فطلب من الخليفة هشام المؤيد بالله الذى كان يومها مقيما فى قصر عبد الملك بالزاهرة تقليد ابنه محمد خطة الوزارتين ،فأجابه الخليفة الى ذلك ،وأضاف اليه لقب ابن أبى عامر كنية جده المنصور ،فأصدر مرسوما لعبد الملك فى سنة ٣٩٨ هـ بتسميته المظفر سيف الدولة ،وان يكنى فى جميع ما يجرى به ذكره بأبى مروان ،وان يقلد أبنه محمد الوزارتين (٣) .

واليك نص مرسوم الخليفة فى ذلك : " بسم الله الرحمن الرحيم . من الخليفة هشام بن الحكم المؤيد بالله أتم الله عليك نعمه ،وهنأك قسمه، وألبسك عفوه وعافيته ،لما رأيناك — سلمك الله — من صنع الله الجسيم وفضله العظيم لنا عليك ما شفى الصدور وأقر العيون ،أستخرنا الله سبحانه وتعالى فى ان سميناك المظفر . فنسأل الله تعالى الحاف وضراعة وأبتهال

(١) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ،ق ٢ ،ص ٨٣ - ٨٤
— أحمد العبادى : المرجع السابق ،ص ٢٦٧
— على أدهم : منصور الاندلس ،ص ١٣٦
(٢) : عن هذه الغزوة أنظر فيما بعد (الباب الثالث) .
(٣) : ابن عذارى : المصدر السابق ،ج ٣ ،ص ١٥- ١٦

اليه أن يعرفنا وأياك بركة هذا الأسم ،ويحليك معناه ،ويعطينا وأياك وكافة المسلمين فضل ما حملت منه ، وان يخير لنا ولهم في أقضيته ،ويقرنه بيمنه وسعادته بمنه وخفي صنعه . وكذلك أبحناك التكنى في مجالسنا ومحافلنا وفي الكتب الجارية منك وأليك في أعمال سلطاننا وسائر ما يجرى فيه أسمك معنا ودوننا ،أناقة بمحلك لدينا ،ودلالة مكانك منا . وكذلك ما شرفنا فتاك أبا عمر محمد بن المظفر تلادنا أسعده الله بالانهاض الى خطة الوزارتين ،وجمعناه بها في التكنى على المشيخة والترتيب . اثرك في الدولة . وأنت الحقيق منا بذلك كله ،وبجميل المزيد عليه ،لانك تربيتنا وسيف دولتنا وولي دعوتنا ،ونشيء نعمتنا ،وخريج أدبنا . فأظهر ما جددناه لك في الموالي وأهل الخدمة ، وأكتب به الى أقطار المملكة ،وتصدقه بشكر النعمة ،أحسن الله توفيقك ،ومتعنا طويلا بمعافتك ،وآنسنا مليّا بدوام سلامتك ،انه ولي قادر ،عزيز قاهر ،أنشاء الله تعالى" . وبعد صدور هذا المرسوم من الخليفة هشام ،عنون عبد الملك كتبه الى سائر كافة الاندلس وبلاد المغرب بهذه العبارة :" من الحاجب المظفر سيف الدولة أبي مروان عبد الملك بن المنصور" (١) .

وقد أنشد بعض الشعراء بهذه المناسبة قصائد مدح في المظفر عبد الملك . نقدم منها بيتا لكل شاعر:

---

(١) : أبن الخطيب : المصدر السابق ،ق ٢ ، ص ٨٨- ٨٩
ـ عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٦١٤ - ٦١٥

فقال أبو مروان الطليق :

... في الدنيا وأفخر فمثلك يفخر   فأبوك منصور وأنت مظفر

و قال قاسم بن الشباس :

دعاك أمير المؤمنيين المظفر   وسماك سيف الدولة المتخيرا

وقال عبد الله بن زياد الكاتب :

ظفرت فسماك الامام المظفر   ومازلت سيف النصر في الشرك مظهرا

وقال أحمد بن محمد :

ظفر الدين اذا دعيت المظفر   وبأى الملك وأزدهي وتبختر (١)

ومما لاشك فيه ان صدور مرسوم الخليفة لعبد الملك يضفي عليه شرعية القيام بأمور الدولة ، ويجعله يعمل في الدولة بحرية أكثر كما كان يعمل أبوه المنصور من قبله . ولاشك أيضا ان عبد الملك قام بأرضاء الخليفة هشام المؤيد بالله حتى أستطاع ان يستصدر منه هذا المرسوم له ولولده محمد ، ليكون سندا له في تصريف أمور الدولة .

أستقرار أحوال الاندلس في عهده :-

وفي عهد عبد الملك أستقر الأمن في البلاد ، وأزداد الرخاء الاقتصادي فيها ، أضافة الى الترف الاجتماعي ، وقد قال فيه أحمد بن فارس

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٧- ١٨

البصرى : " لم يولد بالأندلس قط أسعد من المظفر على نفسه وعلى أبيه وحاشيته وعلى أهل الأندلس طرا ، وأنها لا تزال بخير حياته فأن هلك لن تفلح " . فقد غرقت الأندلس وأسواقها بالنفائس الثمينة والالات الملوكية ، وشهدت الأندلس فى عهده الرخاء والرفاهية ، وهو على ذلك كان سائرا على نهج أبيه المنصور (١) . الا أن عبد الملك لم يكن كأبيه مولعا بالأدب ومجالسه ، وأنما كان مائلا لمجالسة العجم من البربر وغيرهم . وكان متمرسا فى الفروسية وآلات الحرب ، ومع ذلك كان لا يبخل على أصحاب أبيه من علماء وأدباء وشعراء الذين أبقاهم على وظائفهم التى كانوا عليها فى حياة أبيه (٢) .

وكانت أيام عهده فى حكم الأندلس التى دامت سبع سنوات ، تسمى بالسابع تشبها بسابع العروس التى تحمل فى معانيها الأعياد والأفراح (٣) . وفى عهده سكن الناس منه الى عفاف ونزهة نفس شاكرين للنعمة التى أنعمها الله عليهم فى عهده . وقد تغالى الناس فى طلب المكاسب ، وتعالوا فى بناء القصور وفرشها بالبساط ، وتفننوا فى زخرفتها ، كما تناولوا أجود الأطعمة والذها . وأستعملوا المراكب ، وأثروا من الغلمان والحاشية ، وغالوا فى الجوارى . . ولبس أفراد المجتمع الأندلسى فى عهده أفخر الملبوسات ، وظهر على أهله النعمة ورغد العيش ، اذ كانت أيامه خيرا وبركة على المجتمع الأندلسى (٤) .

---

(١) : أبن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٥٩ - ٦٠
— الضبى : بغية الملتمس ، ص ١١٦ - ١١٧

(٢) : أبن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٢١٢ - ٢١٣
— السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٣٧

(٣) : المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٢٣

(٤) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٨٤ - ٨٥

وكان عبد الملك نفسه يستكثر في طلب الآلات الملوكية . ومما يحكى عن ولعه وشغفه بأبهة الملك أنه بعد غزوته سنة ٣٩٨ هـ ، أستقبل شانجة أبن غرسية ، وقد لبس أبهة ملوكية ، واقفا على فرسه في وسط الجيش ، وعليه درع من فضة مطرز بالذهب ، وعلى رأسه خوذة مثمنة الشكل ، محددة الرأس مرصعة بدر فاخر في وسطه حجر ياقوت أحمر غالي الثمن ، وطرح الشعاع على جهة وجهه ، فما رأى أهل الاندلس بعده ملكا يعد له ما كان يعد لعبد الملك المظفر (١) .

وكان عبد الملك يكثر في صرف الأموال ، وذلك لطلاقة يده في العطاء والتوسع على الرعية ، وكثرة نفقاته . الا أنه في آخر عهده قام بضبط الأموال وصرفها في مواضعها الحقيقية في أمور البلاد ، كما هجر اللهو والراحة ، وأستيقظ للسهر والاشراف على شئون الدولة العامرية بنفسه ، وقام بأصلاح ما كان فاسدا في أمره . وقد تم له ذلك فأصلحت أحوال البلاد ، وأزدادت الثروة المالية في خزائن الدولة . وكان عبد الملك يأمر بتقديم بيان بمن طال سجنه ، فكان يطلق من يراه قد أخذ جزاءه ، مسايرا في ذلك سياسة أبيه في هذا الصدد (٢) .

كما أنه تابع سياسة أبيه الخارجية ، حيث كان يقوم في كل عام خلال فترة حكمه على الاندلس بغزوة على بلاد الممالك الاسبانية المسيحية ، والمجاورة لبلاد الاندلس ، وقد بلغت هذه الغزوات سبع ، وهي فترة سنوات حكمه . وكان عبد الملك

---

(١) : أبن بسام : المصدر السابق ، ق ٤ ، م١ ، ص ٦٠-٦١

(٢) : أبن الخطيب : المصدر السابق ، ق ٢ ، ص ٨٦ ، ٨٩

يستمد قوته العسكرية من الجيش النظامي ، الذى نظمه أبوه المنصور . وكان هذا الجيش قد اكسب خبرة بجغرافية المناطق الواعرة فى الشمال الاسباني على مدى اعوام طويلة خلال حكم ابيه المنصور . كما ان استقرار احوال الدولة الداخلية فى عهده مكنته من متابعة الجهاد ضد الممالك الاسبانية النصرانية والحاق الهزائم بملوكهم (١). وكان حكم عبد الملك هو الفصل الاخير من فصول قوة الدولة العامرية وعظمتها ، اذ خلال حكم اخيه عبد الرحمن تفككت الدولة وسقطت بمقتله (٢).

وقد كان عبد الملك حينما خلف اباه فى الحكم فى الثامنه والعشرين من عمره ، اذ كان مولده بقرطبة فى سنه ٣٦٤هـ ، ويكنى أبا مروان ويلقب بسيف الدوله وبالمظفر ، وقد تمرس فى شئون الحكم أيام ابيه ، واشترك معه فى كثير من غزواته ومن ثم فقد قبض عبد الملك على زمام الامور بحزم وكفايه ، وسار على خطى أبيه المنصور ، سواء فى تدبير الشئون الداخليه او الاستمرار فى غزو الممالك النصرانية (٣).

---

(١) : انظر فيما بعد (الباب الثالث)

(٢) : ابراهيم بيضون : الدولة العربيه فى اسبانيا ،ص ٣٥٥-٣٥٦

(٣) : عنان : الخلافه الامويه والدوله العامريه ،ص ٦٠٨

وكان عبد الملك متدينا ، ترك اللهو وأكثر من الجهاد في سبيل الله ، وقام باصلاح طرق المسلمين ، كما قام بأعمال الخير. وبذلك زادت النعمة في البلاد واستقر الأمن فيها ، مما جعل أهل الأندلس يزيد اعجابهم وحبهم له (١)

ولم يستمر عبد الملك في الحجر على الخليفة هشام المؤيد بالله كما كان يفعل أبوه المنصور قبله ، فقد اتبع سياسة مغايرة لسياسة أبيه تجاه الخليفة ، فقد اكتسب ثقته ، وكان من نتائج ذلك اضفاء لقب المظفر سيف الدولة عليه ، وتعيين ابنه محمد خطة الوزارتين . وقد ترك عبد الملك الخليفة هشام على سجيته في قصره وخفض الحراسة عليه ، فما كان من الخليفة هشام المؤيد بالله الا ان آثر الاحتجاب عن الناس من تلقاء نفسه ، مكتفيا بنزهته داخل قصره وتفرغه للعبادة ، وقضاء بقية وقته في اللعب مع الخدم والجواري ، وكان عبد الملك يخرجه في نادر الأيام للتنزهه مستخفيا عن أعين الناس. ومن الطبيعي ان انصراف الخليفة عن شئون الدولة

---

(١) : ابن الخطيب : اعمال الأعلام ، ق ٢ ،ص ٨٥ - ٨٦

هو ما كان يهدف اليه عبد الملك لكي تكون له السلطة العامة في تصريف الدولة ، وكان عمر الخليفة هشام المؤيد بالله أبان تولى عبد الملك ابن المنصور السلطة بعد أبيه ما يقرب من الأربعين عاما [1] .

أحباط مؤامرة الوزير عيسى بن سعيد القطاع :-

وقد ظهرت شخصيات كبيرة في دولة عبد الملك كان لها أثر كبير في الأحداث السياسية في عهده . فمن هذه الشخصيات الوزير عيسى بن سعيد القطاع ، الذى أسند اليه عبد الملك معظم مهام الدولة ؛ وفي بداية عهده بالوزارة قام الوزير عيسى بتدبير الشئون المناطة اليه بأحسن حال ، الا أن الفتيان الصقالبة كانوا غاضبين عليه ، فما كان منهم الا أن قاموا بتحريض الفتى طرفة الذى كانت له منزلة رفيعة في دولة عبد الملك بن المنصور عليه ، وكذلك حرضوا الشاعر أبو مروان عبد الملك بن أدريس الجزيرى بالتعاون مع الفتى طرفة للاطاحة به . الا أن الوزير عيسى بن القطاع أكتشف تلك المؤامرة وبلغ أخبارها الى عبد الملك الذى قبض بدوره على فتاه طرفة ، ونفاه الى الجزائر الشرقية مسجونا حيث قتل هناك سنة ٣٩٨هـ . كما قام عبد الملك بسجن أبي مروان عبد الملك بن أدريس الجزيرى في مطبق الزاهرة حيث قتله قوم من السودان [2] .

وبعد ذلك حاول الوزير عيسى تدبير مؤامرة لعزل الخليفة هشام وقتل

---

(١) : أبن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٢ - ٦٣ (نقلا عن أبن حيان) .
— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ص ٣٣٨

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٤ - ٢٦
— ابن بسام : نفس المصدر ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٣٤ - ٣٦
— السيد عبد العزيز سالم نفس المرجع ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩

عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر ، وتنصيب هشام بن عبد الجبار الخلافة . وكان هدفه من تلك المؤامرة هو الاطاحة بالدولة العامرية وقتل عبد الملك ، ونقل الخلافة الأموية في الأندلس الى هشام بن عبد الجبار. وكانت هناك علاقة شخصية بين الوزير عيسى وهشام بن عبد الجبار ، والتي كانت حاجاته من الدولة العامرية تومّن بواسطة الوزير عيسى . فما كان منهما أن أجتمعا سرا لتخطيط تلك المؤامرة ، كما قام الوزير عيسى ببث أخبار تلك المؤامرة على المقربين منه ومن يثق فيهم من كبار رجال الدولة ، وأخذ البيعة منهم لهشام بن عبد الجبار ، فأجابه معظم من أخبرهم ووعدوه بمسائدته في أمره . ثم قام الوزير عيسى برسم خطة لتنفيذ هذه المؤامرة وذلك بأن طلب من عبد الملك المظفر أن يأتي الى المنية حيث قصر الوزير عيسى والتي كان قد أهداها له عبد الملك للاشتراك في وليمة أعدها الوزير عيسى بمناسبة المولود الذي رزقه الله لابنه عبد الملك بن عيسى صاحب السكة في دولة عبد الملك بن المنصور . كما طلب الوزير عيسى من عبد الملك أن يصطحب معه أخاه عبد الرحمن ، فأجابه عبد الملك بالموافقة على تلبية الدعوة . ثم قام الوزير عيسى بحشد الجند حول المنية التي سيعد فيها الوليمة وأمرهم بالانقضاض على عبد الملك ومن معه مجرد دخولهم المنية ، فأستعد جند الوزير في التأهب لتنفيذ هذه الخطة . وقبل مغادرة عبد الملك قصره قاصدا المنية تلبية لدعوة وزيره عيسى ، بلغ خبر تلك المؤامرة الى الفتى نظيف خادم عبد الملك الذي قام بأبلاغ خبرها الى سيده . كما قام أبو حاتم [1] وأكد

---

(١) : كان أبو حاتم يتمتع بمكانة كبيرة لدى الذلفاء أم عبد الملك ، ومن هنا كانت ثقة عبد الملك كبيرة فيه .

لعبد الملك صحة خبر تلك المؤامرة ونقل خبرها أيضا الى الذلفاء أم عبد الملك ، التي قامت من فورها بأبلاغ أبنها عبد الملك بهذه المؤامرة وطلبت منه قتل الوزير عيسى بن سعيد القطاع . فما كان من عبد الملك الا أن أستشار أخاه عبد الرحمن الذى كان شديد الحقد على الوزير عيسى ، فنصحه عبد الرحمن بالاسراع بقتل الوزير عيسى ، وحذره من التخاذل فى أمره (١) .

فأمر عبد الملك بأحضار الوزير عيسى بن سعيد القطاع الى مجلسه ، وكان الوزير عيسى فى مجلس له مع نفر من أصحابه . فلما سمع بطلب عبد الملك له ، أسرع بالدخول اليه . فرحب به عبد الملك ثم أخذ يعاتبه على غدره بتخطيطه تلك المؤامرة ، فأحمر وجه الوزير عيسى ، وتضايق لما سمعه ودهش من تسرب أخبار تلك المؤامرة الى عبد الملك . ثم أشتد الحديث بينهما ، فقال له عبد الملك : " الحمد لله الذى أمكننى منك أيها الغادر" وأخذ عبد الرحمن يوبخ الوزير عيسى على فعله هذا . فما كان من عبد الملك ألا أن سل سيفه وضرب الوزير عيسى على صفحة وجهه فشقه الى ذقنه ونهض الوزير عيسى متحاملا فضربه عبد الملك ضربة أخرى ، خر بعدها صريعا ، وأمر بقطع رأسه مع أثنين من كبار رجال المؤامرة ، وهما خلف بن خليفه ، وحسين بن فتح ، وان تلقى أجسادهم فى النهر فى زنابيل مثقله بالحجارة ، وأن تنصب رأس الوزير عيسى بن القطاع على باب مدينة الزاهرة وقد بقى معلقا حتى سقوط الدولة العامرية . وكان مقتل الوزير عيسى ليلة السبت العشرين من شهر ربيع الأول سنة ٣٩٧ هـ . وبهذا الحادث تنبه عبد الملك

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠- ٣٢

لأمور الدولة واحياء رسم والده في سياسة الحزم في الامور التي تتصل بسلطانه وهيبته .

ثم امر عبد الملك امرا بتعيين فرج صاحب مدينة الزاهرة وزيرا خلفا للوزير عيسى بن القطاع واعتقال اسرة الوزير عيسى بن القطاع. كما قبض عبد الرحمن بن المنصور على هشام بن عبد الجبار بعد ثلاثة أيام من مقتل الوزير عيسى ، فحبسه عبد الملك في سجن المطبق بالزاهرة ، حيث ظل به الى ان قتل فيه خفية عن انظار الناس .(١)

وبعد مقتل الوزير عيسى بن سعيد القطاع استكثر عبد الملك من دخول البربر من العدوة المغربية الى الاندلس ليكونوا في خدمته وفي عداد جيشه . وكان على رأس هؤلاء البربر زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي الذي ولاه عبد الملك خطة الوزارة ، الا ان زاوي رفض المنصب ، فقال : " لو جئتناك بمال لأسهمناك ، وانما خطتنا الحرب لا الوزارة ، واقلامنا الرماح وصحائفنا الأجساد " وقد قابل عبد الملك غطرسة زاوي ورفضه خطة الوزارة وهي ارفع الخطط في الاندلس ، بأن حرض شخصا من اقربائه على قتله ، وبتخلصه منه على هذا النحو انقادت قبيلة زاوي الى طاعة عبد الملك .(٢)

واستمر عبد الملك المظفر يشرف على أمور الدولة ، ويقوم بالغزوات . وفي غزوته السابعة(٣) ، التي خرج فيها للجهاد في منتصف شهر صفر

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٣ - ٣٦
- عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٦٢٠

(٢) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦١ - ٦٢

(٣) : انظر فيما بعد (الباب الثالث) .

سنة ٣٩٩ هـ ، وكان يعاني مرض الذبحة الصدرية . وفي أثناء سيره في تلك الغزوة أشتد عليه مرضه في اليوم الثاني من خروجه لها ، فأمر القاضي بن ذكوان برجوع عبد الملك الى قصره في العامرية ، وذلك أستعدادا لعودته الى قرطبة . وفي أثناء رجوعه قوى عليه المرض فمات بالقرب من دير أرملاط ودخلوا به في قصره بالزاهرة ميتا (١) .

ويذكر ابن عذارى وابن الأثير أنه قيل أن سبب موته هو ان أخاه عبد الرحمن دس له سما في تفاحة قطعها بسكين سم أحد جوانبها ، وقد أكل عبد الرحمن الجزء السليم من التفاحة أمام أخيه عبد الملك ، ثم أعطى لأخيه عبد الملك الجزء المسموم في التفاحة ، فأطمأن عبد الملك وأكل الجزء المسموم (٢) .

الا ان كلا من أبن الكردبوس وأبن الخطيب يذكران أن عبد الملك توفي أثر أشتداد الذبحة الصدرية عليه (٣) ، وربما يكون قولهما

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٧
- عنان : المرجع السابق ، ص ٦١٥ - ٦١٦

(٢) : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، المجلد الثامن ، ص ٦٧٨
- ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٣٧
-JAN READ: Op.cit., P.92

(٣) : ابن الكردبوس : الأكتفاء في تاريخ الخلفاء ، ص ٦٥ - ٦٦
- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٨٩

ـو الأرجح حيث أن عبد الملك كان يعاني من ذلك المرض قبل قيامه بغزوته الأخيرة ، وكانت وفاة عبد الملك المظفر بن المنصور ابن أبي عامر يوم الجمعة السادس عشر من شهر صفر سنة ٣٩٩ هـ / ٢١ أكتوبر سنة ١٠٠٨ م ، بعد ان حكم الأندلس سبع سنوات ، وغزا بلاد النصارى سبع غزوات (١) .

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٦١٥

ـ السيد / عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٣٨

حجابة عبد الرحمن وزوال الدولة العامرية على عهده

تولى عبد الرحمن بن المنصور الملقب بشنجول الحجابة بعد وفاة أخيه عبد الملك :-

وبعد موت عبد الملك بن المنصور تولى الحجابة في الأندلس أخوه عبد الرحمن الملقب بشنجول (١). ثم ركب الى قصر الخليفة هشام المؤيد بالله الذى عزاه فى أخيه ، ثم أصدر مرسوما بتقليده الحجابة ، وسماه بالمأمون أضافة الى لقبه ناصر الدولة ، فكان عبد الرحمن يخاطب : " بالحاجب الأعلى المأمون ناصر الدولة " ثم بعد ذلك قام كبار رجال الدولة العامرية بتهنئته بالحجابة (٢).

واليك نص مرسوم الخليفة هشام المؤيد بالله الذى منح بمقتضاه عبد الرحمن بن المنصور لقب المأمون : " بسم الله الرحمن الرحيم . أدام الله حفظك وأحسن على الصلاح عونك ، رأينا أكرمك الله لما ظهر لنا من جميل طاعتك وبدارك الى ما يلزمك من المناصحة والقيام بأعباء المملكة على أفضل الطريق المحمود ، والمساعى المشكورة فى كتبنا اليك وتحليتك بالمأمون فى مخاطبتك ، زائدا على أول أسمائك ، مظاهرة لأنعمنا عليك ، وأنت

---

(١) : لقب عبد الرحمن بن المنصور بشنجول تصغيرا لأسم جده من أمه ، حيث أن المنصور كان قد تزوج من أبنة شانجة النصرانى ملك بنبلونه وأسماها (عبدة) ، وقد حسن أسلامها ، فكانت من خيرة نسائه فأنجبت له عبد الرحمن . (السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٣٤٣) .

(٢) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٨

— ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، قـ ٢ ، ص ٨٩-٩٠

عندنا اهل لذلك ومستحق به ، فاعتمل فيما ينفذ من الكتب عنك واليك على عنوان كتابنا هذا اليك ، نسأل الله عونا شافيا وتأكيدا كافيا ان شاء الله تعالى " .

ولقد امر عبد الرحمن وزيره جهور بن محمد بابلاغ نص مرسوم الخليفة الى كافة أرجاء الاندلس والعدوة المغربية .(١)

وبعد تولية عبد الرحمن بن المنصور الحجابة وادارة شئون الاندلس، سلك سياسة مغايرة لسياسة ابيه المنصور واخيه عبد الملك فى ادارة الحكم ، حيث اتخذ نهجا معاكسا لسيرتهما فى الحكم . فقد خلد الى الخلاعة والمجانة ومجالسة البربر ، فكان يقضى معظم وقته فى التنقل من نزهة الى اخرى مع زمرة من حاشيته من الفرسان والمغنين والمضحكين فكرهه الناس فى الاندلس وكرهه الأمويون لاهماله ادارة شئون الدولة .(٢)

الا انه مع ذلك اتبع سياسة ابيه واخيه فى الحجر على الخليفة هشام المؤيد بالله والاستبداد بالسلطة دونه ، ولكنه فى الوقت نفسه فتح الباب الى تيسير اغراضه واستمالته اليه ، فكان يستدعيه الى النزهة معه وهو مختفيا فى برنس فى جملة الجوارى لكى لا يعرف منهن ، كما اوعز بالاحتفال به ،(٣) كما قام بتحصين مدينة الزاهرة لمنع قيام أية ثورة مناهضة له .(٤)

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤١ - ٤٢

(٢) : ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، المجلد الثامن ، ص ٦٧٩
— ابن عذارى : نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٩

(٣) : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٩٠

(٤) : ابن حزم : طوق الحمامة فى الألفة والألف ، ص ٢٠

تولي عبد الرحمن بن المنصور العهد وأبنه عبد العزيز الحجابة :-

وكان عبد الرحمن بن المنصور شابا مغرورا أحمقا لا يحسن التصرف فى أمور الدولة ، حيث كان هدفه الأستئثار بالسلطة الشرعية ثم الخلافة نفسها . اذ ان هشام كان قد عدم الولد فضلا عما كان عليه من الضعف والمهانة (١) . ففي يوم ١١ من ربيع الأول سنة ٣٩٩ هـ ، خرج الخليفة هشام متخفيا عن أعين الناس كعادته من قصر الزهراء الى قصر الزاهرة الذى أعد له فيه أحتفال عظيم ، وقام فيه يومين . وفى اليوم الثالث ذهب الخليفة هشام بصحبة عبد الرحمن بن المنصور الى منية جعفر للتنزهه ، وقد زاد أعجاب الخليفة هشام بعبد الرحمن نظرا لما قدمه له من خدمة وأحتفاء ، فما كان من عبد الرحمن ان أختلى بالخليفة هشام وتبادلا الأحاديث وتذاكرا أنهما من أمين بشكنسيتين ، وأعتقد عبد الرحمن بأن هذه القرابة التى تجمع بينهما من ناحية نسب الأم تسمح له بحق توليته الخلافة ، فطلب من الخليفة هشام أصدار مرسوم بتعيينه وليا للعهد وللخلافة من بعده وهو أمر خطير لم يطمع فيه أبوه المنصور ولا أخوه عبد الملك من قبل (٢) .

وخرج عبد الرحمن عشية ذلك اليوم الى أصحابه مدعيا بأن الخليفة هشام قد ولاه العهد وأختاره للخلافة من بعده دون بنى عمه وذويه

(١) : ابن الخطيب : المصدر السابق ، ق ٢ ، ص ٩٠
ـ أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٤٢ - ٤٣
ـ السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤

الأمويين ، فقام أصحابه بنشر هذا الخبر وهم مستبشرون بأن الوقت قد حان لزوال خلافة الأمويين في الأندلس الى الأبد . وكان عبد الرحمن قد بعث بعض أعوانه الى الخليفة هشام لارهابه وتهديده بالقتل ان لم يوليه العهد من بعده ، فما ان أجتمع الخليفة هشام بعبد الرحمن حتى وافق على طلبه . فأحضر عبد الرحمن كبار أعيان الدولة في مجلس الخليفة هشام ، وأشهدهم على نص مرسوم الخليفة بتعيينه وليا للعهد . وقد قام بكتابة مرسوم ولاية العهد كاتب الرسائل أبو حفص أحمد بن برد (١) . ثم شهد عليه قاضي الجماعة أحمد بن عبد الله بن ذكوان ، ومن الوزراء تسعة وعشرون وزيرا ، ومائة وستة وثمانون رجلا من أصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة من الحكام والقضاة والفقهاء والمستشارين وغيرهم ، وبذلك يكون عبد الرحمن بن المنصور قد أنتزع لنفسه ماتبقى من رسوم الخلافة (٢) .

ويشير ابن الخطيب تعليقا على هذه البيعة ، بقول أبو مروان ابن حيان :" وقد تقدم القول في سبب تعلق هذا الجاهل بدعوى الخلافة عجز فيه من غير تأويل ولا عقيدة ، وكيف أستهواه كيد الشيطان ، وغرته قوة السلطان الى ان ركبها عمياء مظلمة ، لم يشاور فيها نصيحا ، ولا فكر في عاقبة ، بل جبرها بالعجلة " (٣) .

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٩

(٢) : انظر نص البيعة كما أورده : ابن عذارى البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٤٣ - ٤٦
— ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٩٠ - ٩٣
— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٦٩ - ٣٧١

(٣) : ابن الخطيب : نفس المصدر ، ق ٢ ، ص ٩١ (نقلا عن ابن حيان)

وبعد أخذ البيعة لعبد الرحمن بن المنصور بن أبى عامر بولاية العهد . وذلك بعد مضى شهر ونصف على توليته الحجابة [١] جلس في قصره بالزاهرة فى مرتبة المُلك لاستقبال المهنئين فدخلوا حسب منازلهم يتقدمه بنو مروان وغيرهم من بطون قريش تبدو عليهم فى ظاهرهم الاستكانة والكبوة ثم تلاهم وجوه الناس من الوزراء وكبار رجال الدولة ، ثم أمر بأرسال كتاب البيعة الى كافة أنحاء الأندلس والمغرب الاقصى ، كما أمرهم بالدعاء لنفسه على منابر المساجد وذلك بعد الدعاء للخليفة هشام [٢] .

وقد أسهب بعض الشعراء فى مدح عبد الرحمن بعد توليه العهد [٣]، الا ان الناس أنكروا عليه هذه البيعة الخلافية ، وغضبوا من الخليفة هشام لموافقته على بيعة العهد له ، حيث انه لم يكن أهلا لتولى الخلافة . وكان المروانيون على رأس الحاقدين على عبد الرحمن والغاضبين على الخليفة هشام ، اذ أن هشام لم يكن له ولد وكان المروانيون من أهل بيته يترقبون وفاته لتعود الأمور اليهم ثم ينتهزون الفرصة للقضاء على الدولة العامرية والعامريين . كما توقع الناس سقوط عبد الرحمن من الحكم فى أقرب وقت ممكن ، نظرا لأعماله وتصرفاته السيئة وكذلك أهماله فى تدبير شئون دولته ، وأنصرافه الى حياة اللهو والمجون [٤] .

بالاضافة الى ذلك فقد ازداد عبد الرحمن فى اغضاب الأمويين والرعية

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٣٩
(٢) : ابن الخطيب : المصدر السابق ، ق ٢ ، ص ٩٣
(٣) : عن القصائد التى قيلت فى مدحه انظر أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٩٤ - ٩٥
(٤) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٤٦ - ٤٧
— ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٩٠ ، ٩٣

بأن قام بعد البيعة له بولاية العهد فأصدر أمرا بتولى أبنه عبد العزيز خطة الحجابة وكان لا يزال طفلا ، ولقبه سيف الدولة ، وهو لقب عمه عبد الملك المظفر . وقد استمر عبد العزيز فى الحجابة الى مقتل أبيه عبد الرحمن وزوال الدولة العامرية (١) .

وعند ما فرغ عبد الرحمن من مراسيم توليه بيعة العهد ، وتعيين ابنه عبد العزيز فى الحجابة ، انهمك أكثر من ذى قبل فى ملذاته والاكثار من صحبة الجند ومجالسة الغوغائيين من الناس وأرتياد أماكن النزهة والصيد مما أفقده حب الناس ، وصرفه عن متابعة أمور الدولة . ومن سوء أعماله فى رجال أهل الدولة بعد توليه العهد ان أمرهم بطرح قلا نسهم الطوال المرقشة الألوان ، والتى كانوا يلبسونها من قديم الزمان ، وتعتبر تيجانهم التى يعرفون بها عن بقية طبقات الرعية . فقد طلب منهم ان يضعوا العمائم فوق رؤوسهم بدلا عن القلانس ، وكانت هذه العمائم يضعها كبار البربر على رؤوسهم ، وأصدر أمرا بعقوبة من لم يمتثل لهذا الأمر ، فلبسوها على أكراه ، ودخلوا بها على عبد الرحمن فى قصر الزاهرة يوم الجمعة ١٤ جمادى الأولى سنة ٣٩٩ هـ ، فكانوا بها أقبح منظرا وأهجن زيا وملبسا وذلك لمخالفة العادة ، كما أصبحوا عند الناس فى خجل من منظرهم (٢) .

كما أخذ عبد الرحمن يزداد أفحاشا فى تصريف شئون الدولة ، فقام بصرف الأموال على مجالسيه وأصحابه ، مما جعل البلاد تمر بضائقة اقتصادية فى عهده . ولم يتورع فى أخذ أموال من بسط يده عليهم مدعيا أباطيل ضدهم ، فما زاد ذلك الا كراهية الناس له متمنين زوال حكمه

---

(١) : ابن الخطيب : المصدر السابق ، ق ٢ ، ص ٩٤
-DOZY: Op.cit., PP. 534-540

(٢) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٤٧ - ٤٨

الذي لم يسر فيه على نهج ابيه واخيه . (١)

وأبدى الأمويون والمضريون استياءهم لبيعة عبد الرحمن بولاية العهد والخلافة من بعد هشام المؤيد ، وعز عليهم تحويل الخلافة الى اليمنيين من آل عامر الذى ينسب اليهم المنصور بن ابى عامر وأولاده ، الأمر الذى أدى الى عودة العصبية القبلية القديمة بين المضريين واليمنيين . (٢)

وكانت الخلافة الأموية فى الاندلس تجمع بين السلطتين الزمنيه والروحيه الى ان جاء المنصور بن ابى عامر الى الحكم وأبناؤه من بعده ، فقاموا بفصل السلطة الزمنية عن السلطة الروحيه ، حيث استقلوا بالسلطة الزمنية واستبدوا بها على عهد الخليفة هشام المؤيد بالله ، فكانوا مثل البويهيين والسلاجقة الذين سيطروا على الخلافة العباسية فى بغداد ، وكذلك مثل أسرة بدر الجمالى التى استبدت بالخلافة الفاطميه فى القاهره . ومما لا شك فيه ان فصل سلطة الخليفة الزمنية والروحية كانت مقدمة لنهاية الخلافة الأموية فى الاندلس ، ولا سيما بعد تتويج عبد الرحمن بن المنصور وليا للعهد . حيث ان مثل هذه البيعة بالعهد لعبد الرحمن أمر لم يفكر فيه المنصور ولا ابنه عبد الملك من قبل ، فلم يفكرا فى انتزاع شرعية الخلافة من الأمويين ، وان كان المنصور قد بدت له هذه الفكرة الا انه انصرف عنها بعد ان نصحه أصحابه بترك ذلك الأمر ففعل بمشورتهم ، كما انه فى وصيته لابنه عبد الملك أوصاه بأن يرعى حق الخلافة . (٣)

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٨

(٢) : على ادهم : منصور الاندلس ، ص ١٣٧

- JAN READ: OP. cit., P. 93

(٣) : احمد العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤

وكان من أهم العوامل التي ساعدت الأمويين الناقمين على الأطاحة بعبد الرحمن وبدولته ، ان الذلفاء أم أخيه عبد الملك كانت قد أتهمته بقتل أخيه وذلك بدس السم له . فمنذ موت عبد الملك والذلفاء حاقدة على عبد الرحمن فما كان منها الا ان قامت بتحريض الأمويين عليه بعد ان شعرت باستيائهم منه لتوليه العهد ، ورأت ان الوقت قد حان لتثأر لابنها عبد الملك . وكان عبد الرحمن بن المنصور يضع الذلفاء أم عبد الملك موضع أحترام وتقدير وتعظيم ، فكان يقوم بتأمين طلباتها في قصرها مع ولد أخيه عبد الملك وحرمه ، الا ان هذا لم يمنع الذلفاء من مساعدة الأمويين على الثورة عليه ، وبعثت لهذا الغرض خادمها بشرى الصقلبي الى الأمويين أعداء العامريين . وكان بشرى الصقلبي في صباه تابعا للأمويين ثم انتقل الى العامريين ، فكان هو أجدر من تثق به الذلفاء للقيام بتلك المهمة [1]. وكانت شروط الذلفاء لمساعدة الأمويين في أسترجاع دولتهم هي الثورة على عبد الرحمن ابن المنصور وقتله ولتثأر لابنها عبد الملك . فوصل الخادم بشرى الصقلبي الى معارفه الأمويين وعرفهم طلب الذلفاء ، فأرشده الأمويون الى محمد بن هشام بن عبد الجبار الذي كان عبد الملك قد قتل أباه (هشام عبد الجبار) بسبب تآمره مع الوزير عيسى بن سعيد القطاع على قتله والقضاء على الدولة العامرية ثم تنصيب هشام بن عبد الجبار خليفة . فقد قال الأمويون لخادم الذلفاء في وصف محمد بن هشام بن عبد الجبار :" هو حر انه ثائر

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٤٧-٣٤٨

جسور مخاطر ،وقد بلغنا انه تطلب هذا الأمر منذ قتلتم أبناه ،وتألف من شرار الناس كثيرا ،وشيعتنا تلقاه وتؤمله ليس لكم غيره " (١)

ومن الطبيعي ان الأمويين قد أعطوا ثقتهم لمحمد بن هشام ابن عبد الجبار الذي نادى بأخذ ثأر أبيه وكذلك لما يتمتع به من قوة شخصية ومن جسارة وأقدام في مجاهرة عدائه للعامريين . فقد كان محمد بن هشام ابن عبد الجبار يترقب الفرصة لتحقيق أطماعه بالاطاحة بهم ،ولم تتحقق له هذه الفرصة الا في عهد عبد الرحمن بن المنصور . وبذلك بدأت الثورة تأخذ مسارها للاطاحة بعبد الرحمن بن المنصور وبدولته وبالعامريين جميعا .

وبعد نصح الأمويين لبشرى خادم الذلفاء ، ذهب بشرى الى محمد ابن هشام بن عبد الجبار وأطلعه على مساندة الذلفاء ، مما قوى عزمه . كما قامت الذلفاء بأرسال الأموال اللازمة الى محمد بن هشام ليقوى بها أمره . وقد سانده في ذلك من الأمويين سليمان بن هشام ،كما أستظهر بسائر ولد أبيه الناصريين وقومهم المروانيين لمساندته ،فبايعوا محمدا بن هشام بن عبد الجبار سرا . وقد كان له ولأبيه دعاة في قرطبة ،فبايعوه بالخلافة ،ثم قام محمد بن هشام بتجهيز جنده من المرتزقه في ضواحي قرطبة أستعدادا للثورة على عبد الرحمن بن المنصور (٢) . وقد سارع الناس الى مساندة بيعة محمد بن هشام بالخلافة نظرا لغضبهم على عبد الرحمن للأسباب التي سبق ان أوردناها في هذا الصدد (٣) .

---

(١) : ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ ٣ ،ص ٥٢

(٢) : ابن عذاري : نفس المصدر ،جـ ٣ ،ص ٥٣
-JAN READ:Op.cit.,P.93

(٣) : انظر أسباب غضب الناس على عبد الرحمن بن المنصور في كتاب الاكتفاء في تاريخ الخلفاء لابن الكردبوس ،ص ٦٦ - ٦٧

استيلاء محمد بن هشام بن عبد الجبار على قرطبة وتوليه الخلافة :-

خرج عبد الرحمن بن المنصور بن ابى عامر للغزو فى شاتية سنة ٣٩٩ هـ (١)، فنصحه فتاه الاكبر بترك الغزو وذلك خوفا من اضطراب الناس ، وأخبره ان بعض المروانيين يريدون الخروج عليه . ولكن عبد الرحمن بن المنصور أعرض عن نصح فتاه الاكبر واستخف بكلامه وقال : " والله لو اجتمع بنو مروان الى مرقدى وانا نائم ما أيقظونى " . وهذا يدل على غرور عبد الرحمن ومدى اعتزازه بنفسه ، هذا الاعتزاز الذى جاء نتيجة استبداد بنى عامر بالسلطة ، ويدل ايضا على جهل عبد الرحمن بما آلت اليه الأمور من النقمة عليه والكراهية له والتآمر عليه . ولذلك واصل عبد الرحمن سيره فى الغزو ، واقتحم جليقيه من ثغر طليطلة . وكان عبد الرحمن قد اصطحب معه لهذه الغزوة رجال من البربر ، وأناس من أسنغل أهل قرطبة الذين قد أحاطهم بنفسه وعينهم فى بعض المناصب الهامة أمثال صاحب شرطته ابن الرسان (٢).

اما محمد بن هشام بن عبد الجبار فقد أخذ يبث دعاته الى العامة ،

---

(١) : انظر فيما بعد (الباب الثالث)

(٢) : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٩٦ - ٩٧
- ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٤٨ - ٤٩

ويطالبهم بالبيعة له ويظهر لهم مساوئ عبد الرحمن بن المنصور في أغتصاب الخلافة من البيت القرشي (الأمويين) وما يقوم به من أعمال مشينة . وكان محمد بن هشام يجتمع بأعوانه ومن بايعوه سرا في أوقات الغفلة ، وذلك في أحد كهوف جبال قرطبة ، كما قام بتجنيد العامة ممن بايعوه أستعدادا للثورة على عبد الرحمن بن المنصور . وقد سنحت الفرصة لمحمد بن هشام بتنفيذ مخططه أثناء غياب عبد الرحمن بن المنصور في غزوته تلك في بلاد النصارى ، حيث تمكن محمد بن هشام من أقتحام قرطبة والاستيلاء عليها في السادس عشر من شهر جمادى الثانية سنة ٣٩٩هـ / ١٥ فبراير سنة ١٠٠٩م . وقد ساعد على ذلك أقرباؤه من الأمويين وأنصاره من العامة والغوغاء الذين وجدوا في ثورة محمد بن هشام فرصة للسلب والنهب . وقام محمد بن هشام فقتل صاحب قرطبة العامري عبد الله بن عمر ، وبعث بعض رجاله الى سجن العامة بقرطبة ، ففتح أبوابه وأطلق سراح من كان فيه من المجرمين واللصوص الذين أسرعوا مع السفلة والجزارين الى أسواق قرطبة ، فنهبوا ما في الأسواق والحوانيت ، وجمعوا أموالا كثيرة مما سلبوه ونهبوه (١) .

وحينما سمع الخليفة هشام المؤيد بالله نبأ ثورة محمد بن هشام ابن عبد الجبار وأستيلاؤه على قرطبة أمر غلمانه بأغلاق باب قصره ، وطلع الى أعلى سطح القصر ، ونظر الى العامة بين مصحفين يحملهما خادمان ، وأشار الى من تحته من العامة بالتزام الهدوء ، فصاحوا به : " لا حاجة لنا بك ، وهذا

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٥٥ - ٥٦

— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨

أولى بالملك " ـ يعنون بذلك محمد بن هشام ـ فعاد الخليفة هشام الى قصره ،وأمر خدمه بعدم مقاتلة من يهجم على القصر من أعوان محمد بن هشام بن عبد الجبار حتى يقضى الله قضاءه ،ودخل الى محرابه فلم يتحول عنه الى ان نفذ أمر الله عليه بخلعه من الخلافة . (١)

وأصدر محمد بن هشام بن عبد الجبار أمرا الى جنده بنقب قصر الخليفة هشام ودق أبوابه ،وأحضرت لهم السلالم من سوق الخشابين ، وأوصلوها بالحبال ،فطلع الجند على سور القصر ، فخاف الخليفة هشام على نفسه وعلى أهله وذلك لما رأى عجز دفاع جند العامريين المقيمين بقصر الزاهرة عن قصره .

وما كان من الخليفة هشام الا ان بعث بأحد خدمه الى محمد ابن هشام بن عبد الجبار يطلب منه العدول عن أقتحام القصر ، على ان يوليه العهد من بعده . الا ان محمد بن هشام بن عبد الجبار رفض ذلك الطلب وطلب من الخليفة هشام خلع نفسه من الخلافة ، وأخذ محمد بن هشام ابن عبد الجبار يلومه على مناصرة العامريين . فما كان من الخليفة هشام الا ان أجابه الى طلبه وذلك بسبب عجزه وعجز العامريين عن حمايته . فأمر محمد بن هشام بن عبد الجبار جنده بفك الحصار عن قصر الخليفة هشام كما أصدر أمرا بتعيين ابن عمه محمد بن المغيرة فى منصب صاحب الشرطة فى قرطبة ،وأبن عمه عبد الجبار بن المغيرة حاجبا له ،وسليمان بن هشام

---

١ - عنان : المرجع السابق ، ص ٦٢٠ – ٦٢٢

1-JAN READ:Op.cit.,P.93

وليا للعهد . ثم قام الخليفة هشام وأرسل خلعا فاخرة لمحمد بن هشام بن عبد الجبار ليغير بها حاله ، كما طلب محمد بن هشام بن عبد الجبار حضور كبار المشيخة في الدولة وأهل البيت الأموى والوزراء والفقهاء والقضاة الى حفل مبايعته بالخلافة في الأندلس وذلك بقصر الخليفة هشام المؤيد بالله ، والشهادة على خلع هشام المؤيد منها ، وقد تم له ذلك وصحت له الخلافة بعد تنازل الخليفة هشام المؤيد بالله عنها . وتلقب محمد بن هشام بن عبد الجبار بلقب المهدى ، الذى لم يتلقب به مروانى قبله .(١)

وأمر محمد بن هشام بن عبد الجبار أضاءة قصر الخلافة في تلك الليلة بالشموع أبتهاجا بمبايعته بالخلافة ، وبذلك يكون الخليفة هشام المؤيد بالله قد مكث في خلافته الأولى ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ونصف شهر . وكادت الأندلس تضطرب أبان حكمه لولا ان العامريين أسسوا دولتهم فيها أبان خلافة هشام المؤيد بالله وأستقرت لهم أمور البلاد في عهد المنصور بن أبى عامر وفي عهد أبنه عبد الملك المظفر . وبعد تولى محمد بن هشام بن عبد الجبار الخلافة أثر سقوط الدولة العامرية ضعفت خلافة الأمويين في الأندلس بسبب ضعف الخلفاء فيها ولم يستمروا في الحكم لوقت طويل ، حيث أشتدت الفتن والقلاقل في الأندلس وتفككت وحدتها وتقسمت الى دويلات صغيرة تعرف بدويلات ملوك الطوائف .(٢)

---

(١) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ١١٠ - ١١١

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٦٠ - ٦١

الأستيلاء على مدينة الزاهرة وتخريبها :-

وبعد ان استقر أمر محمد بن هشام بن عبد الجبار في قرطبة وتوج بالخلافة الأندلسية ، أمر أعوانه من العامة بالتوجه الى مدينة الزاهرة عاصمة الدولة العامرية ، وذلك للأستيلاء عليها ونهبها . وأعد لهذه المهمة ابن عمه عبد الجبار بن المغيرة مع جمع كبير من العامة لمخاطبة أهل الزاهرة بالأستسلام ، فتدفقت اليها أعداد كبيرة لا حصر لها من أعوان محمد بن هشام بن عبد الجبار الذين أقتحموا أسوار المدينة وهدموا معظمها ، وقاموا بأعمال السلب والنهب فيها ، حتى قصر عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر لم يسلم من النهب ، فقد تمكنوا من أخذ ما فيه من تحف وأموال وجواهر ، وهدموا خزائن الكسوة والفرش والأمتعة ، ونهبوا السلاح وأكتسحوا الأسواق فنهبوها . ثم أصدر محمد بن هشام بهدم وتخريب مدينة الزاهرة ، فأقتلعوا أبوابها وخربوا قصورها وطمست معالمها ، ومضت كالأمس الدابر ، وخلت منها الدسوت الملوكية لدولة العامريين [١] . وكان صاحبها عبد الله بن مسلمة من قبل عبد الرحمن بن المنصور قد قام بتحصينها وضبط أسوارها وأبوابها بسبعمائة جندي حينما وصله خبر سقوط قرطبة في يد محمد بن هشام بن عبد الجبار ، الا ان جنده لم يستطيعوا مقاومة جموع العامة

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٤٨

الذيــن بعث بهــم محمد بن هشــام بن عبد الجبــار ، ولــم يحولوا دون أقتحامهم المدينة وتخريبهـــا (١) .

ويقــال ان مــن أتبــع محمــدا بن هشــام بن عبد الجبــار فــي ثورتــه هــذه هــم من العامــة بقرطبــة والذين ثبتت أسماؤهــم فــي العطــاء ،وان الذين داهمــوا الزاهــرة قــد نهبــوا منهــا ما يقــدر بحوالــي خمسمائة الف وخمســة آلاف درهــم ،ومن الذهــب خمسمائة الف دينــار ،وانهــم أستخرجوا من بعــض الدفائــن ما يقــدر بمأتي الف . وكان محمد بن هشــام بن عبد الجبــار قد أمــر جنده بعد أستخــراج الأمــوال منهــا بهدمهــا وطمس آثارهــا حتى لا يتمكــن عبد الرحمــن بن المنصــور من الرجوع اليهــا من غزوته ، فخربت الزاهــرة ودمــرت ونهبت أموالهــا وسلاحهـــا وكل مــا هــو ثمين فيهــا ونقل الى قرطبه (٢) .

ومما يذكــر فــي خــراب الزاهــرة التى بناهــا المنصــور بن أبــي عامــر وجعلهــا عاصمة ملكــه . ان المنصــور بن أبــي عامــر كان قد رأى فــي منامــه ، كأن اللــه اطلــع عليهــا وتجلــى لهــا . فأخــبر المنصــور ابن أبــي عامــر ابن الهمذانــي بما رآه ، فأخــبره ابن الهمذانــي بخرابهــا ، وتلــى قولــه تعالــى (فلمــا تجلــى ربــه للجبــل جعلــه دكــا) (٣) ، وكــان المنصــور بن أبــي عامــر كلمــا أمعــن نظــره في بساتين وقصــور الزاهــرة تذكــر تلك الرؤيــا ويتحســر لما سيحــل بهــا من خراب وتدمــير (٤) .

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٣ ،ص ٥٨ ، ٦٣

2-JAN READ:Op.cit.,P.93

(٣) : سورة الأعراف : الآيــة ١٤٢ .

(٤) : ابن الخطيب : المصدر السابق ،ق ٢ ،ص ١١١- ١١٢

وقد أستغرق نقل الأموال من الزاهرة الى الخليفة محمد بن هشام بن عبد الجبار بقرطبة مدة ثلاثة أيام ،الى ان طلب أهلها الأمان منه ، فأمر جنده بأيقاف النهب والسلب فيها ،وجعل أبن عمه عبد الجبار بن المغيرة حاكما عليها ،وأمر من كان فيها من الفرسان العامريين بالدخول في جيشه فتم له ذلك وزودهم بالأسلحة اللازمة لهم . وقد قتل أثناء الهجوم على الزاهرة عبد الله بن عمر ابن أبي عامر (١) .

ولم يسلم قصر الذلفاء أم عبد الملك المظفر من النهب ،فقد أقتحمه جند محمد بن هشام بن عبد الجبار وأخذوا ما فيه من الأموال والأمتعة على الرغم من مساعدة الذلفاء له في القيام بثورته على عبد الرحمن ابن المنصور. وأما فيما يختص بموقف محمد بن هشام بن عبد الجبار من حرم آل عامر عند أستيلاءه على عاصمتهم الزاهرة ، فأنه قام بأطلاق حرائرهن ، واصطفى الأماء منهن لنفسه ولوزرائه مما جعل الناس ينكرون عليه ذلك . وأما موقفه من الذلفاء التي ساندته في ثورته ، فقد سمح لها مع ابن أبنها عبد الملك بالبقاء في دارها بوسط المدينة ، وكانت الذلفاء قد أخفت معظم أموالها عن أعين الناس قبل ثورة محمد بن هشام بن عبد الجبار، وذلك تحسبا للزمن بعد سقوط عبد الرحمن بن المنصور ،ولما ماتت تحولت أموالها الى ابن أبنها محمد بن عبد الملك بن المنصور (٢) .

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ،ج ٣ ،ص ٦١ - ٦٣

(٢) : ابن عذارى : نفس المصدر ،ج ٣ ، ص ٦٤

ويصف ابن عذاري بركة هذه المدينه في جهاد المسلمين وكثيرة خيراتها ، بقوله " ما أعلم مدينة بالاندلس ، بل ببلاد الاسلام كله ، كانت أعظم بركة في الجهاد والمال منها ، وأبهج غرة وأشد مملكة ، وأكثر جيوشا وحاشية ، وأتم سعادة وأطيب بقعة من هذه المدينة الزاهرة ، حتى أذن الله في خرابها في الوقت المحدود للأمر المعدود " (١) .

مقتل عبد الرحمن بن المنصور وزوال الدولة العامرية :-

وفي طليطلة وصل عبد الرحمن خبر ثورة محمد بن هشام ابن عبد الجبار واستيلائه على قرطبة وتدمير مدينة الزاهرة ، فجزع من ذلك الخبر وبدأ عليه الخوف ، فأمر بضبط الجند ، وذهب الى قلعة رباح ومكث فيها أربعة أيام حائرا لا يدري ماذا يعمل في أمره . ثم دعا رؤساء الجند والأعيان لمبايعته على قتال محمد بن هشام بن عبد الجبار الذي أستولى على الخلافة بقرطبة ، وكتب لهم بالسماح بالنزول في دور وضياع أهل قرطبة . ثم قام بالعودة الى قرطبة ، ولما قطع من الطريق سبعة عشر يوما وصل الى منزل أم هانيء ولم يكن قد بقي معه من جنده سوى خمسين فارسا ، لأن معظم جنده من البربر وغيرهم قد تخلوا عنه وذهبوا الى قرطبة للانضمام الى صفوف جيش الخليفة الجديد بعد ان رأوا أنه ليس في أستطاعتهم قتال أهل قرطبه أضافة الى نضوب أموال عبد الرحمن . ثم واصل عبد الرحمن بن المنصور سيره فوصل أرملاط حيث كان يوجد حرمه بقصرها . (١)

(١) : ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٩- ٥٠

فبعث اليه الخليفة محمد بن هشام يؤمنه على نفسه وحرمته وأمواله على أن يدخل في طاعته . ولكن عبد الرحمن لم يقبل تلك الدعوة فمكث في قصره بأرملاط مع حرمه [1] وقد غلب عليه الخوف . فأخذ يصرخ في قومه خوفا من القبض عليه وكان معه ابن غومس القومسي [2] ، وبعض أصاغر خدمه [3] . فلما رأى ابن غومس اضطراب عبد الرحمن بن المنصور ، نصحه بالهرب لينجو من سيف محمد بن هشام وشرح له أسباب ذلك ، فأجابه عبد الرحمن : " انا على علم من انى اذا ظهرت لأهل قرطبة لا يبقى أحد على ابن عبد الجبار" فقال له ابن قومس : " مكني خلاص نفسي ، فدونك ما شئت" . وكان ممن دعاه الى مبايعته لقتال محمد بن هشام وأنصاره ابن يعلى الزناتي الذي قلده في هذه الغزوة خطة الوزارة والحشم ، وقال له : " أصدقني عن نفسك وعن قومك فلا رأى للمكذوب " فأجابه ابن يعلى : نعم لا تغتر فليس يقاتل عنك أحد من زناته والناس تبع لهم . فغضب عبد الرحمن من كلامه ، وقال له : وما الدليل على قومك . قال ابن يعلى : تأمرهم بتقديم مطبخك الى طريق طليطلة ، وتظهر الرحيل فتعلم من يتبعك ومن يتخلف عنك . فقال له عبد الرحمن صدقت ، ولم يفعل ذلك [4] .

وكان عبد الرحمن بن المنصور أثناء مكوثه في قلعة رباح قد خلع نفسه من ولاية العهد وتبرأ منها ، حيث أعلن أقتصاره على الحجابة

---

(١) : خالد الصوفى : تاريخ العرب فى اسبانيا ، ص ٩- ١٠ .

(٢) : ابن غومس القومسى ، هو كبير من زعماء النصارى المقربين اليه بقرب أمه من عمومة الملك ، وكان قد صحب عبد الرحمن يريد قرابة معه ويطلب منه المساعدة على من يناوئه من القمامسة .

(٣) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٥٠

(٤) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٩٧ - ٩٨

وذلك على نهج أبيه المنصور وأخيه عبد الملك . وبقى عبد الرحمن فى أرملاط مؤملا مقاومة محمد بن هشام بن عبد الجبار ، حيث أستنجد بأهل طليطلة والثغر لمساندته ، الا انهم لم يلبوا طلبه . وأما محمد بن هشام ابن عبد الجبار فقد بعث اليه قوة عسكرية لقتله بقيادة الحاجب بن ذرى مولى الحكم المستنصر (١) .

ولما رأى عبد الرحمن تخلى جنده عنه وعدم مساندة أهل الأندلس له شعر بالخوف ، فأخذ يودع أهله وقد انهكه البكاء ، ثم خرج مع ابن غومس وبعض غلمانه الى دير ليختبئ فيه وذلك خوفا من القبض عليه وقتله .

وفى صباح اليوم التالى ، وكان يوم الجمعة ، داهمه جند الخليفة محمد بن هشام بن عبد الجبار داخل الدير ، فلما أيقن بقرب هلاكه ، قال لهم : ما لكم علىّ من سبيل أنا فى طاعة محمد بن هشام . فقبضوا عليه وعلى ابن غومس ، كما قبضوا على جوارى عبد الرحمن وعددهن نحو سبعين جارية أرسلن الى قرطبة ، ثم لحقهم الحاجب ابن ذرى ومن معه من جند محمد بن هشام عصر يوم الجمعه ، فقالوا لعبد الرحمن بن المنصور ، هذا الحاجب قريب منك . فنزل عبد الرحمن بن المنصور فقبل الأرض بين يدى الحاجب ابن ذرى . فقال له الجند قبل حافر دابته ، فقبله . ثم قال له الجند قبل يده ورجله ، ففعل ذلك وابن غومس ساكت لا ينطق بشئ . ثم أشار

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦

الحاجب ابن ذرى الى بعض أصحابه بأنتزاع قلنسوة عبد الرحمن عن رأسه ، ففعلوا ذلك ، وأركبوا عبد الرحمن على بغل عارى الجثة مبطوحا على وجهه .(١) وساروا به قاصدين قرطبة . وغربت عليهم الشمس في الوادى ، فطلب أحمد ابن عمر من الحاجب ابن ذرى ان يقفوا فيه لأداء الصلاة ، فأجابه الحاجب لذلك . وأمر بتكتيف عبد الرحمن بن المنصور ، فقال له عبد الرحمن . أين أمانكم ؟ فقال له أحد الجند كتفك لأن أمير المؤمنين أمر الآ تحمل اليه الآ مكتوفا . فلما كتفوه من يديه ، طلب منهم ان ينفسوا عليه قليلا ، فأجابوه وايضا طلب منهم اطلاق يده ليستريح ساعة ، فأجابوه ، وأخرج سكينا لامعا ، فلف يده لفا شديدا فسقط السكين من يده . فلما رأى الحاجب ابن ذرى السكين ، أمر بقتله . فقام عمر بن أحمد وضرب عبد الرحمن بن المنصور بالسيف على عنقه ، فلم يبرأ رأسه ، فضربه الحاجب ابن ذرى ضربة أخرى فلم يخرج رأسه ، فما كان من عمر بن أحمد الآن ذبحه ذبحا . وقتلوا أبن غومس من بعده . وحمل رأس عبد الرحمن بن المنصور الى محمد بن هشام ابن عبد الجبار في تلك الليلة مع رأس ابن غومس ، وحمل جسده على بغل ، فأمر محمد بن هشام بن عبد الجبار بشق بطن عبد الرحمن بن المنصور ونزع ما فيه ، وحشوه بعقاقير تحفظه ، وركب رأسه على جسده والبسوه قميصا وسراويل ، فأخرج وسمر على خشبة طويلة على باب السدة ، ونصب رأس بن غومس بجانب جثة عبد الرحمن بن المنصور ، وأمر محمد بن هشام بن عبد الجبار

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٧١ - ٧٢

ابن رسان صاحب شرطة عبد الرحمن بن المنصور والذى كان ينادى فى عسكره هذا أمير المؤمنين المأمون يأمركم بكذا ، ان ينادى عليه هذا شنجول الملعون ، وان يلعن ابن رسان نفسه ،ففعل ذلك .(١)

وبمقتل عبد الرحمن بن المنصور فى الثالث من شهر رجب سنة ٣٩٩ هـ / ٣ مارس سنة ١٠٠٩ م سقطت الدولة العامرية فى الأندلس . وكان السبب الرئيسى فى سقوطها هو خروج عبد الرحمن بن المنصور عن نهج أبيه وأخيه بالنسبة للخلافة ،حيث تعدى هو ذلك الى أخذ البيعة له بولاية العهد والخلافة فى الأندلس من بعد الخليفة هشام المؤيد بالله الأمر الذى جعل أصحاب البيت المروانى ينكرون عليه ذلك ويستعدون لخوض معركة لاسقاطه . أضافة الى ذلك سوء تدبيره لشئون الدولة ،وأسرافه فى اللهو والمجون ،مما جعل الناس يهجون سوء تصرفه ،كما طعن بعض الناس فى دينه ، وكذلك حز على المضريين ان تؤول الخلافة الى اليمنيين فى شخص عبد الرحمن بن المنصور ، فناصروا الأمويين فى أسترداد خلافتهم ، الأمر الذى أدى الى قيام الثورة عليه وقتله وزوال الدولة العامرية فى عهده ، والتى أقامها أبوه المنصور بن أبى عامر ،وقادها خير قيادة ومن بعده أبنه عبد الملك .(٢)

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٣ ،ص ٧٢ - ٧٣
-DOZY:Op.cit.,PP.540-548

(٢) : انظر ابن الخطيب : أعمال الأعلام ،ق ٢ ،ص ٩٧ - ٩٨
ـ ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ،جـ ١ ،ص ٢١٣
ـ عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ،ص ٦٣٧
ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ،ص ٣٤٥

وبعد سقوط الدولة العامرية تفككت وحدة الأندلس ، وذلك بسبب ظهور خلفاء أمويين ضعاف ليسوا مؤهلين لإدارة البلاد ، فأخذ الولاة في الأقاليم يستقلون بأقاليمهم عن السلطة المركزية في قرطبة ، وبذلك أنفتح باب الفتنة التي أدت الى سقوط الخلافة الأموية وقيام ملوك الطوائف [1] .

---

(١) : عنان : المرجع السابق ، ص ٦٥٨

ـ عبد الرحمن الحجي : أندلسيات ، ص ١١٤

ـ أبراهيم بيضون : الدولة العربية في أسبانيا ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ ، ٣٥٧

البـــاب الثالـــث

العلاقات الخارجيه للأندلس في عهد المنصور وفي عهد ولديه عبد الملك وعبد الرحمن

- العلاقـات بين الأندلس والمغـرب الأقصـى .

- العلاقـات بين الأندلس والممالك الأسبانية النصرانيـة .

العلاقات بين الأندلس والمغرب الأقصى

نظرة عامة على علاقات الأندلس بالمغرب قبل عهد المنصور :-

بدأت الأندلس في الأهتمام بشئون المغرب الأقصى على عهد عبد الرحمن الناصر ، فرغم أنشغاله بغزو النصارى المسيحيين وأخماد الحركات الثورية في الأندلس، فانه أعطى عناية خاصة بالمغرب ، وذلك لمقاومة الدعوة الفاطمية التي أجتاحت شمالي أفريقية ، وأمتدت الى عدوة المغرب والى سبته ، وأخذت تهدد شواطئ الأندلس . وكانت الدعوة الفاطمية تنطوي بالنسبة للأندلس على خطر مزدوج ديني وسياسي معا .
فمنذ أول الخلفاء الفاطميين وجيوش الفاطميين تتردد من قواعدها في تونس نحو المغرب الأوسط والأقصى ومصر غازية . وكان أجتياحها السريع للمغرب يثير جزع حكومة الأمويين في قرطبة ، اذ ان عدوة المغرب تعتبر دائما قاعدة لغزو الأندلس وفي نفس الوقت خط دفاعها الأول . كذلك كان ثوار الأندلس يتوجهون بأبصارهم الى العدوة المغربية ويفاوضون الفاطميين ويتآمرون معهم على حكومة الأندلس ، فكان لازما على عبد الرحمن الناصر ان يداهم هذا الخطر الجديد على وجه التخصيص في المغرب الأقصى قبل استفحاله ويصبح خطرا على الأمويين وعلى دولتهم في الأندلس . ولذلك سير في سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م نحو ثغر سبته اسطولا يتكون من مائة وعشرين سفينة ،وسبعة آلاف رجل ،فضلا عما انضم اليهم من وجوه المرية في مراكبهم وخرج هذا الأسطول من الجزيرة

تحت قيادة أميرى البحر أحمد بن محمد بن الياس ، وسعيد بن يونس ، وأستولى على مدينة سبته من يد ولاتها البربر بنى عصام حلفاء الفاطميين .(١)

كما حاصر الأسطول الأندلسى طنجة وأنتهى أمرها بأستسلام صاحبها أبى العيش الحسنى الأدريسى (٢) ، وتسليمها للأندلسيين ، وبذلك أكتملت سيطرة الجيش الأندلسى على رأس العدوة المغربية . وأدى ذلك الى ان بادر زعماء البربر من الأدارسة وزناتة الى طاعة عبد الرحمن الناصر ومهادنته والى أمتداد دعوة الأمويين الى فاس والى مكناسة الذى بعث أميرها موسى بن أبى عافية الى عبد الرحمن الناصر يطلب الدخول فى طاعته ، فأجابه الى ذلك ، وأمده بالأموال والهدايا ، وهكذا أقام موسى بن أبى العافيه دعوة الأمويين فى المغرب الأقصى الأمر الذى أدى الى بسط سلطان الأمويين على هذه البلاد .(٣)

وقد تمكن موسى بن أبى العافية من ان يهزم جيشا أرسله الخليفة الفاطمى عبيد الله فى سنة ٣٢١هـ / ٩٩٣م لغزو المغرب الأقصى والقضاء على دعوة عبد الرحمن الناصر به . وفى سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م بعث عبد الرحمن الناصر الى شواطىء العدوة المغربية أسطولا يتكون من

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٤٢٥
ـ أحمد العبادى : سياسة الفاطميين فى المغرب والأندلس ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الخامس ، العدد ١ ، ٢ ، ص ٢١٥

(٢) : عن حروب عبد الرحمن الناصر مع قبائل البربر الموالين للفاطميين ، انظر (ابن عذارى ، جـ ٢ ، ص ٢١٦ ، ٢١٨ - ٢٢٣) .

(٣) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ١٩٩
ـ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٥٠٤

أربعين سفينة بقيادة أمير البحر عبد الملك بن أبي حمامة ، فسار الى سبتة وتقدم الى مليلة فانتزعها هي وبعض المدن المغربية من الفاطميين وأجبرهم على ترك المدن التي كانت بأيديهم . وقد كرر الأسطول الأندلسي على عهد عبد الرحمن الناصر دخوله المغرب الأقصى مرارا لمحاربة الفاطميين وحلفائهم من الأدارسة وغيرهم من أمراء البربر ، مما أضطر الأدارسة في سنة ٣٣٢ هـ الى طلب الصلح من عبد الرحمن الناصر والدخول في طاعته ، وبذلك أستقرت الدعوة على منابر المغرب لعبد الرحمن الناصر طوال بقية خلافته (١) .

وفي سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥م ، أي في عهد المعز لدين الله الفاطمي هاجمت بعض السفن الفاطمية ثغر المرية الأندلسي ، وأحرقت أكثر سفنه ، فرد عبد الرحمن الناصر على ذلك الهجوم بأن أرسل قوة بحرية تحت قيادة أمير البحر غالب الى شواطئ تونس ، فعاث فيها . وفي نفس الوقت أمر عبد الرحمن الناصر بلعن الخلفاء الفاطميين على منابر الأندلس . وكان عبد الرحمن يراقب تحركات الفاطميين في المغرب الأقصى ، ويقوم بأرسال المزيد من الأساطيل البحرية الأندلسية الى هناك حتى تمكن أخيرا من أخراج الفاطميين من المغرب الأقصى (٢) .

ويصور لنا ابن حيان تقدير الناصر لأهمية عدوة المغرب في الدفاع عن الأندلس ، ومقاومة الدعوة الفاطمية بقوله : " استوى للناصر لدين الله من الطائفتين أولياء أقاموا بدعوته ، ورفعوا فوق أعلامه ، وعاطوا ضطهدا ، عبيد الله الشيعي صاحب أفريقيه بدعوته ، وقلبوا مجانهم

---

(١) : السلاوي : الأستقصاء ، جـ ١ ، ص ١/٥ - ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨
— عنان : المرجع السابق ، ص ٤٢٦

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٢٠
— ابراهيم بيضون : الدولة العربية في أسبانيا ، ٣٠٤

اليه ،ونصبوا الحرب لرجاله ، فكفكفوهم عن الايغال فى بلدتهم من قاصية المغرب ، يهطنونهم بالكيد والمكر ،فتمكنت بذلك خدم الناصر لدين الله ،فيما حازه من مدينة سبته والقطعة التي استضمها اليها من أرض العدوة ،وأجتذب من أجله كثيرا من فرسان البربر وحماة رجالهم الى حضرته ، استعان بهم في حروبه ،وتمكن من أرتياد عتاق الخيل بوادى البربر ، فمتنت بذلك أسباب ملكه ،وجل مقداره وبعد صيته ،وهابته ملوك الأمم حوله" (١) .

وفى عهد الخليفة الحكم المستنصر استمر نفوذ الأمويين فى المغرب الاقصى . وكان الأدارسة فى آواخر عهد عبد الرحمن الناصر قد عادوا وخرجوا عليه لما رأوه من تقليص نفوذهم فى المغرب . فقد خرج عليه أميرهم الحسن بن كنون ،الذى أتخذ من قلعة حجر النسر قاعدة لأمارته وعاد الى الدعوة للفاطميين ، ولكن ما لبث ان خشى سطوة عبد الرحمن الناصر فعاد فى آواخر سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠م الى طاعة الأمويين والدعاء لهم في المغرب . ولما توفى عبد الرحمن الناصر أعلن الحسن بن كنون ولاءه لأبنه الحكم المستنصر ،ولم يكن ذلك منه سوى مصانعة للأمويين ،اذ كان الأدارسة يبغضون بني أمية ، ويترقبون فرص الخروج عليهم ،اذ لم تكن طاعتهم لهم الا خوفا من بطشهم (٢) .

وفى أوائل سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١م سار بلكين بن زيرى الصنهاجى الموالى للفاطميين ودعوتهم الى المغرب الاقصى ليعيد سلطان الفاطميين هناك فانضم اليه زيرى عامل الخليفة المعز على المغرب الاقصى . فلما سمع الحكم

---

(١) : عنان : المرجع السابق ،ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ (نقلا عن ابن حيان) .

(٢) : السلاوى : الأستقصا ،جـ ١ ،ص ٢٠٠
— عنان : نفس المرجع ، ص ٤٩٢

المستنصر بذلك أمد قبائل زناته الموالية لدعوة الأمويين في المغرب بالسلاح والمال والرجال ، فأجتمعت قوات كبيرة من بني خزر الزناتية وأنضم اليها القائدان يحيي وجعفر أبناء علي بن حمدون المعروفبالأندلسي ، ودارت بين الموالين للأمويين والموالين للفاطميين معارك عنيفة في وادي ملوية عند مشارف المغرب الأقصى ، وهي المعارك التي أنهزم فيها أتباع الفاطميين وقتل معظمهم ، ومن بينهم زيري عامل الفاطميين الذي أرسلبرأسه مع رؤوس عدد من أصحابه الى الحكم المستنصر في الأندلس .(١)

وقام الفاطميون بعد ذلك بأرسال المزيد من الحملات على المغرب الأقصى ، وقام الحكم المستنصر من جانبه بأرسال جيش كبير لمقاتلة الحسن بن كنون الأدريسي ، فوصل الجيش سبته في شوال سنة ٣٦١هـ / يوليه سنة ٩٧٢ م ووقعت الحرب بينه وبين قوات الحسن بن كنون ، وهي التي أنهزم فيها الحسن بن كنون وفر هاربا . وفي السنة التاليه جمع الحسن ابن كنون فلول قومه وحارب الأمويين في المغرب الأقصى مرة أخرى في مكان يعرف بفحص مهران وتمكن من الأنتصار عليهم (٢) . ورد الحكم المستنصر على ذلك بأن جهز جيشا بقيادة كبير قواده غالب بن عبد الرحمن الناصري لطرد الأدارسة من المغرب وقتل الحسن بن كنون . فوصل غالب المغربفي رمضان سنة ٣٦٢ هـ ، ولما علم الحسن بن كنون بقدوم هذا الجيش الأندلسي هرب الى قلعة حجر النسر فتبعه القائد غالب وفرض الحصار عليها ، وفي نفس

---

(١) : أحمد العبادي : في تاريخ المغربوالأندلس ، ص ٢٣٠ - ٢٣١
— عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٤٩٣

(٢) : عنان : نفس المرجع ، ص ٤٩٥

الوقت عين الحكم المستنصر محمد بن أبي عامر قاضيا للعدوة المغربية وبعث معه الأموال لتوزيعها على أكابر البربر . كما واصل الحكم المستنصر أمداد القائد غالب بالرجال والعتاد الأمر الذى مكنه من أيقاع الهزيمة بالحسن بن كنون وأستيلائه على مدن الأدارسة . وهكذا أنتهى أمر الحسن ابن كنون بأن طلب الأمان من الحكم المستنصر ،وكان ذلك في شهر جمادى الثانية سنة ٣٦٣ هـ (١) .

وفي أوائل محرم سنة ٣٦٤ هـ وصل القائد غالب الى قرطبة وفي صحبته الحسن بن كنون وأشراف الأدارسة ، وقد أعطاهم الحكم المستنصر الأمان ، وأسكنهم قرطبة . الا انه في السنة التالية أراد الخلاص من الحسن بن كنون وبقية أشراف الأدارسة ،فسمح للحسن بن كنون بالسفر الى تونس ،ومن هناك ذهب الحسن بن كنون الى مصر حيث نزل في كنف خليفتها الفاطمي العزيز بالله (٢) .

العلاقات بين الأندلس والمغرب في عهد المنصور :-

كانت العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد الأمويين ،وكذلك في عهد المنصور بن أبي عامر وأبنه عبد الملك ،علاقات مد وجزر . وكانت العدوة المغربية تشكل بالنسبه للأندلس الشريان العسكرى ،والتي يستمد منها الأندلس أعدادا وافرة في الجيش ساعدت الأمويين على أستقرار ملكهم على الأندلس وفي

(١) : أحمد العبادى : المرجع السابق ،ص ٢٣٣
— عنان : المرجع السابق ، ص ٤٩٧ ، ٤٩٩
(٢) : السلاوى : الأستقصا ،ج ١ ،ص ٢٠١

حروبهم ضد الممالك المسيحية في الشمال الأسباني المتاخم لحدود المسلمين في الاندلس . وقد قدم جيش العدوة المغربية خدمات جليلة وتضحيات جمة للاندلسيين في ساحات القتال . وكان الأمويون ومن بعدهم العامريون يعطون المغرب الأقصى اهتمامهم الكبير وذلك لأن موقعه الجغرافي جعله الحد الفاصل بين الأمويين ومن بعدهم العامريين في الاندلس وبين الفاطميين في مصر، اضافة الى حرص الأمويين والعامريين على السيطرة على المغرب الاقصى وذلك لاختلاف المذهب مع الفاطميين ، ولان المغرب الاقصى كان بالنسبة لهم بمثابة خط دفاعهم الامامي ضد الخطر الفاطمي في بلاد المغرب .(١)

لذلك حرص الأمويون على وجودهم في المغرب الأقصى للقضاء على نفوذ الفاطميين في العدوة المغربية ، فتحالفوا مع بني خزر وغيرهم من امراء زناته ، وكان قد حالفهم الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ثم الحكم المستنصر ، الذي استقدم يحيى بن على بن حمدون مع عدد كبير من امراء زناته في سنة ٣٦٠ هـ ،وقد أحسن الحكم المستنصر استقبالهم ، وكان في مقدمة المستقبلين محمد بن ابي عامر الذي كان يشغل منصب صاحب الشرطة للحكم المستنصر في ذلك الوقت .(٢)

ولما استبد المنصور بن ابي عامر بالسلطة دون الخليفة هشام اتبع نفس هذه السياسة ، فواصل حروبه في العدوة المغربية للاحتفاظ

---

(١) : جواد المرابط : عبر وعبرات من دمشق الاندلس ،ص ٧٣ - ٧٤

(٢) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ،ص ٣٢٥ - ٣٢٦
 ـ عنان : المرجع السابق ، ص ٤٩٣

بهـا . وقد نجح فى ذلك نجاحا طيبا ،اذ تمكن من توسيع رقعة حكمه فى المغرب فاستولى على المدن الهامة فيها والتى لم يكن الأمويون من قبله قد بلغوها . فدخلت فى طاعته كل بلاد المغرب الممتده الى سجلماسة (تافيلات) جنوبا سنة ٣٧٠ هـ ،ثم الى ولايتى تلمسان وتاهرت شرقا سنة ٣٨١ هـ . وقد عبر صاحب كتاب مفاخر البربر عن سياسة المنصور بن أبى عامر فى المغرب بقوله : " اقتصر محمد بن أبى عامر لأول قيامه على ضبط مدينة سبته وما والاها بجند السلطان الأندلسى ،وقلد هنا كبار رجاله من أصحاب السيوف والأقلام على حسب الحاجة الى تغيير طبقاتهم . وعول فى ضبط ما وراء ذلك على ملوك زناته ،ومنحهم الجوائز والخلع ،وأكرم وفودهم ببابه ،وأثبت من رغب منهم الاثبات فى ديوانه ،فأحبوا محمدا وجدوا فى المحاماة عن الدولة " (١) .

ففى بداية عهد المنصور بن أبى عامر بالحجابة فى الأندلس زحف خزرون بن فلفول ،أحد زعماء زناتة الموالين لبنى أمية فى المغرب الى مدينة سجلماسة فى شعبان سنة ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م ،وكانت هذه المدينة قد عادت الى أيدى الخوارج الأباضية بعد فتح جوهر الصقلى قائد الفاطميين لها ،وأسره لمحمد ابن الفتح صاحبها الخارجى . فقد قام رجل منهم وتسمى بالمعز بالله سنة ٣٥٢ هـ ،ولم يزل يحكمها الى ان خرج عليه خزرون بن فلفول ،وهزم جيشه وقتله وأستولى على سجلماسة سنة ٣٧٦ هـ ،ثم أقام خزرون الدعوة فيها للخليفة هشام المؤيد بالله ،وكانت هذه أول دعوة قامت

(١) : أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ،ص ٢٥٠ - ٢٥١ (نقلا عن كتاب مفاخر البربر) .

للأمويين بذلك الصقع الجنوبي من المغرب ، كما قام خزرون ببعث رأس المعز بالله مع كتاب الفتح الى الخليفة هشام المؤيد في قرطبة حيث نصب رأسه هناك بباب السدة . ثم عين خزرون حاكما على سلجماسة من قبل المنصور ابن أبي عامر الذي ينسب اليه فضل هذه الانتصارات التي حققها خزرون . ولما مات خزرون أمر المنصور بن أبي عامر بتعيين أبنه وانودين خلفا له على سلجماسة وقد استمر وانودين في حكم سلجماسة الى ان قضى على دولة بني خزرون . (١)

وعلى الرغم من نجاح المنصور في تثبيت نفوذه في العدوة المغربية ، الا انه قد قامت هناك عدة ثورات معارضه لهذا النفوذ الأندلسي . وكان على المنصور ان يرسل العديد من القوات لأخمادها ، لدرجة انه جعل مدينة الجزيرة الخضراء الواقعة في جنوب الأندلس ، والقريبة من الحدود المغربية قاعدة عسكرية يشرف منها على العمليات الحربية في العدوة المغربية . كما أمر ان تبنى القصور والمنازل في طريقه اليها ، وذلك على غرار ما قام به في الطرق المؤدية الى الثغور الأندلسية شمالا والمتاخمة لحدود الممالك النصرانية المسيحية (٢).

حروب المنصور بن أبي عامر مع بلكين الصنهاجي :-

حينما تربع المنصور بن أبي عامر على حكم الأندلس ، كانت الدولة الفاطمية قد أعطت أكبر أهتمامها نحو الشرق وذلك لملاحقة القرامطه والتصدي للخطر البيزنطي في الشام الذي مالبث ان زال بعد هزيمتهم

---

(١) : أحمد العبادي : المرجع السابق ، ص ٢٥١ - ٢٥٢

(٢) : ابراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا ، ص ٣٤٦

— علي أدهم : منصور الأندلس ، ص ٨٥

سنة ٣٦٨ هـ . ومع ذلك لم يحول الفاطميون أنظارهم كليا عن المغرب الذى كان فيه نجاح دعوتهم وقيام دولتهم . فما أن كانوا يرون الفرصة تسنح لهم فى بلاد المغرب حتى كانوا يعودون الى تثبيت سيادتهم ونفوذهم هناك بواسطة أنصارهم والموالين لهم . ومن ذلك ان الخليفة العزيز بالله الفاطمى طلب من زعيم صنهاجة بلكين بن زيرى ان يتوجه من مصر الى المغرب الأقصى سنة ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م على رأس جيش كبير للقضاء على نفوذ الأمويين هناك.(١)

فسار بلكين الى المغرب على رأس هذا الجيش ،وأستولى على مدينة فاس ، وقتل عاملها محمد بن على بن قشوش صاحب عدوة القرويين والذى كان قد عين على فاس من قبل الحكم المستنصر سنة ٣٦٣ هـ . وقام أيضا بقتل عبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة الأندلس ، وولى مدينة فاس محمد بن عامر المكناسى . وبعد سيطرة بلكين على مدينة فاس خافت منه أمراء زناته من بني خزر المغراويين ،وبنى محمد بن صالح اليفرنيين ، فما كان منهم الا ان أصبحوا من أنصاره ،وذهبوا معه الى سبته ، وبذلك أعاد بلكين السيادة الفاطمية على المغرب الأقصى . الا ان محمد بن الخير ،وهو من آل خزر الموالين للأمويين فى المغرب الأقصى اتجه الى الأندلس ،واستنجد بالمنصور بن أبى عامر ليساعده على بلكين.(٢) وكان المنصور يعطى أكبر أهتمامه فى ذلك الوقت للقيام بغزوات على الممالك النصرانية الواقعة على الحدود الشمالية للأندلس . وعندما علم المنصور بأعادة السيادة الفاطمية فى المغرب الأقصى ، حول أنظاره وأهتمامه اليها فجهز أعدادا كبيرة من الجيش ،وجعل

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٥٤٤ - ٥٤٥

(٢) : السلاوى : الأستقصا ،جـ ١ ،ص ٢٠٧

الجزيرة الخضراء مركزا لعملياته العسكرية المتجهة الى المغرب ، فمنها انطلقت جيوشه الى المغرب . كما جعل المنصور الجزيرة الخضراء مركزا لمراقبة التحركات الثورية التي تقوم في المغرب الأقصى للتخلص من سيادته ونفوذه عليه [1] .

وشهدت الجزيرة الخضراء صراعات عنيفة قامت في المغرب الأقصى بين المنصور وبعض زعماء البربر هناك والموالين للسيادة الفاطمية ، الا ان المنصور استطاع ان يقلص من وجود الفاطميين هناك . فقام بأعداد جيش كبير ، وعهد الى جعفر بن علي بن حمدون المعروف بالأندلسي ، وهو أحد أمراء زناته بمحاربة بلكين الصنهاجي ، وأمده بأموال وفيرة لتوزيعها على زعماء زناتة الذين ينضمون معه في الحرب . فسار جعفر بن علي بن حمدون على رأس الجيش ، وأجتاز البحر ، فوصل الى سبته [2] ، وانضمت اليه أعداد كبيرة من أمراء زناته [3] . وجاء بلكين الصنهاجي وصعد الى جبل تطوان ، فنظر الى عساكر زناته وأهل الأندلس بساحة سبته ، فدهش من كثرة عددهم ، وقال : " هذه أفعى فغرت الينا فاها " ، فما كان منه الا ان هرب الى وطنه خوفا من ملاقاة جيش المنصور [4] .

---

(١) : ابراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص ٣٤٦

(٢) : مدينة سبته : تقع على هضبة البحر الرومي وهو بحر الزقاق من البحر المحيط ، ويحيطها سور عظيم من الصخر ، ويشرف عليها جبل منيف : انظر
البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١٠٢ - ١٠٣ - القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٥٧ - ١٥٨

(٣) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٤٥

(٤) : أحمد العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٥٢

حروب المنصور بن أبي عامر مع الحسن بن كنون الادريسي ومقتله :-

بعد ان أخرج الخليفة الحكم المستنصر الحسن بن كنون من قرطبة وذلك للخلاص من نفقاته ، ذهب الى مصر سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م وبقى فيها ،غير ان الخليفة الفاطمي أراد بدوره الخلاص من نفقات الحسن بن كنون فشاور وزيره يعقوب بن كلس في أمر الحسن بن كنون والخلاص منه . وكان الحسن لديه الرغبه في العودة الى بلاده في المغرب الاقصى لاستعادة ملك أبائه الادارسة هناك . فأيده الخليفة الفاطمي ووزيره في تحقيق رغبته ،وأقره على ولاية المغرب الاقصى ،وكتب الى بلكين الصنهاجي لمساعدة الحسن بن كنون ،وأمر بطرد الأمويين ودعوتهم من المغرب الاقصى. فسار الحسن بن كنون من مصر الى المغرب الاقصى في سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣م في جيش صغير ،والتقى ببلكين الصنهاجي الذى أمده بالجند والمال ، والتف حوله عدد كبير من البربر . وعلى الرغم من قوة سلطة الأمويين في المغرب الاقصى الا ان الحسن نجح في نشر دعوته لاستعادة ملك الادارسة . وفي تلك الاثناء مات بلكين الساعد الأيمن للحسن بن كنون وخلفه ابنه المنصور بن بلكين الذى ترك الحسن بدون مساعدة ، فأنفض عنه أكثر من كان قد التحق به (١) .

ولما سمع المنصور بن أبي عامر خبر دخول الحسن بن كنون الى المغرب الاقصى جهز جيشا بقيادة ابن عمه الوزير أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن

(١) : مؤرخ مجهول : نبذه تاريخيه في أخبار البربر في القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمي بكتاب مفاخر البربر ،ص ١٩
— ابراهيم بيضون : الدولة العربية في أسبانيا ،ص ٣٤٦

أبي عامر المعروف بعسقلاجه لمحاربته ، وخرج المنصور معه الى الجزيرة الخضراء في شهر ربيع الأول سنة ٣٧٥ هـ ،وقد سار مع عسقلاجه محمد بن أحمد بن جابر الذى زوده المنصور بالأموال لصرفها عند الحاجه ،وأيضا صهره الوزير عبد الرحمن محمد التجيبي وغيره من كبار قواد الجيش الأندلسي . كما انضم الى عسقلاجه زعماء مغراوة وفي مقدمتهم زيرى بن عطيه بن خزر (١) .

كما أمد المنصور ابن عمه عسقلاجه بجيش آخر تحت قيادة أبنيه عبد الملك الذى كان سنة آنذاك أثنتي عشرة سنة . فما كان من الحسن بن كنون الا أن لجأ لحيلته الأولى ،فطلب الأمان من عسقلاجه الذى أجابه الى طلبته ، وبعثه الى قرطبة تحت حراسة مشددة . وكان المنصور بن أبي عامر قد رأى انه لا ذمة لحسن بن كنون مع كثرة نكثه وسعيه بالفساد ضد الدولة ، فبعث من يشق فيه لأستقباله ،وقتله ، فأستقبلوه بالقرب من بريد الثنية ، فخرجوا به عن الطريق المعد له ،وضربوا عنقه ،فقتل وحمل رأسه الى المنصور ابن أبي عامر (٢) . وكان مقتله في شهر جمادى الأولى سنة ٣٧٥هـ / آخر سنة ٩٨٥م ،وبذلك زالت دولة الأدارسة من المغرب الأقصى ودان لسلطان المنصور بن أبي عامر (٣) . وهذه المحاولة من جانب الفاطميين لأستعادة نفوذهم في المغرب الأقصى بالتعاون مع الأدارسة والزعماء المحليين كانت آخر العهد بسيادتهم هناك ،ولو في صورة رمزية ،حيث انه بعد فترة من الزمن ما لبثت الحركات

---

(١) : مؤرخ مجهول : نفس المصدر ،ص ٢٠
ـ أحمد العبادى : مقال بعنوان : سياسة الفاطميين في المغرب والأندلس ، مجلة معهد الدراسات الأسلامية في مدريد ،المجلد الخامس

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٨١ . العدد ١ ،٢ ،ص ٢١٤
-DOZY:Op.cit.,PP.501-502

(٣) : السلاوى : الأستقصا ،جـ ١ ،ص ٢٠٣ - ٢٠٤
ـ عنان : المرجع السابق ،ص ٥٤٥

الاقليمية في المغرب ان أتخذت طابعا أستقلاليا ،يدفعها الوقوف في وجه التيارين المتنافسين الأموي والفاطمي (١) .

وقد أثار مقتل الحسن بن كنون الادريسي استياء الأدارسة العلويين وغضبهم على المنصور بن أبي عامر ، فأخذوا يهجونه في أشعارهم ومما قيل في ذلك قول شاعرهم ابراهيم بن أدريس الحسني :

فيما أرى عجب لمن يتعجب	جلت مصيبتنا وضاق المذهب
اني لأكذب مقلتي فيما أرى	حتى أقول غلطت فيما أحسب
أيكون حيا من أمية واحد	ويسوس ضخم الملك هذا الأحدب (٢)
تمشي عساكرهم حوالي هودج	وأعواده فيهن قرد أشهب
أبني أمية أين أقمار الدجى	منكم ومالوجهها لا تتغيب (٣)

وقد عاد عسقلاجه الى الأندلس بعد ان أستدعاه المنصور بن أبي عامر ،ثم عين المنصور على المغرب الأقصى الوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي في سنة ٣٧٦ هـ ،وأوصاه بمغراوة ، ولا سيما مقاتل وزيري أبناء عطية ،وذلك لاخلاصهم للدعوة الأموية في المغرب . فنزل الوزير حسن بن أحمد ابن عبد الودود السلمي بمدينة فاس (٤) ، وقام بضبط المغرب ،وحسنت أدارته فيه (٥) .

---

(١) : ابن عذاري : المصدر السابق ،جـ ٢ ،ص ٢٨١
— ابراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص ٣٤٧

(٢) : يبدو ان المنصور بن أبي عامر كان أحدبا بدليل ان صهره القائد غالب بن عبد الرحمن قائد الثغر الأعلى كان يسميه بالأحدب .

(٣) : أحمد العبادي في تاريخ المغرب والأندلس ،ص ٢٥٣

(٤) : مدينة فاس بالمغرب الأقصى واقعة في الأقليم الثالث من الأقاليم السبعة ،وهي مدينتان مقترنتان بسورلن بينهما نهر وعدوة القرويين . انظر : البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقيه والمغرب ،ص ١١٥ ـ القلقشندي : صبح الأعشى ،جـ ٥ ،ص ١٥٢

(٥) : السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ،جـ ٢ ،ص ٥٠٨

علاقة المنصور بن أبي عامر مع أبي البهار الصنهاجي :-

كان أبو البهار بن زيرى الصنهاجي قد خالف ابن أخيه منصور بن بلكين بن زيرى الصنهاجي أمير أفريقية ، فمال أبو البهار الى دعوة الأمويين تحت قيادة المنصور بن أبي عامر ، واستولى على المهدية ، وتونس ، وشلشال وتلمسان ، ووهران وشلف ، ومعظم بلاد الزاب ، وخطب فيها للخليفة هشام المؤيد بالله ولحاجبه المنصور بن أبي عامر . ثم بعث ببيعته الى المنصور في سنة ٣٧٧ هـ ، فولاه المنصور على ما تحت يده من المدن المغربية ، وبعث اليه أربعين الف دينار . فلما قبض أبو البهار هدية المنصور بن أبي عامر ، استمر على دعوته لمدة شهرين ، ثم عاد الى دعوة الفاطميين . ولما بلغ خبره الى المنصور كتب الى زيرى بن عطية زعيم مغراوة الموالين له في المغرب يحثه على محاربة أبي البهار والاستيلاء على ما بيده من البلاد ، فسار اليه زيرى بجيشه من قبائل زناته ، فهرب أبو البهار من أمام زيرى ولحق بابن أخيه منصور بن بلكين ، وترك لزيرى البلاد ، وبذلك ملك زيرى بن عطية تلمسان وسائر بلاد أبي البهار ، وتوسع سلطانه من السوس الأقصى الى الزاب ، وكتب بذلك الفتح الى المنصور بن أبي عامر الذى استبشر بذلك ، وكتب الى زيرى بالدخول الى الأندلس ، فحضر زيرى الى قرطبة واحتفى المنصور ابن أبي عامر بمقدمه وأظهر له العطف والتكريم (١) ، ثم أوعز اليه المنصور بمقاتلة بني يفرن الموالين للسيادة الفاطمية ، فلما عاد زيرى الى المغرب ، سار مع الوزير الحسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي حاكم المغرب الى

---

(١) : السلاوى : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ٢١٠
— السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٦٤٥

قتال بني يفرن وزعيمهم يدو بن يعلى ،ولكنه هزم وأما الوزير الحسن ابن أحمد السلمى فقد جرح ثم مالبث ان توفى متأثرا بجراحه سنة ٣٨١هـ (١) .

علاقة المنصور بن أبي عامر مع زيرى بن عطية زعيم مغراوة :-

وعند ما علم المنصور بن أبى عامر بموت الوزير حسن بن أحمد ابن عبد الودود السلمى حاكم المغرب ،عقد لزيرى بن عطية على المغرب وندبه لحكمه ، وأمره بضبط الأمور فيه بالتعاون مع جيش المنصور المقيم هناك ، فاضطلع زيرى بمهام الحكم فى المغرب بمقدرة وكفاية (٢) . فاتخذ زيرى مدينة فاس مقرا له ،وقام بالدعوة للخليفة هشام المؤيد بالله ولحاجبه المنصور بن أبى عامر . وكان زيرى هذا زعيم مغراوة أحد فروع زناته التى هى أهم القوى السياسية التى أعتمد عليها المنصور ابن أبى عامر فى المغرب ، ورغم جنوح فروع منها بين الحين والآخر، الآ انها ظلت فى صف واحد تناصر دعوة الأمويين فى المغرب والممثلة فى شخص المنصور بن أبى عامر (٣) . ويقول ابن الخطيب فى تفسير علاقة الزناتيين بالأمويين فى الأندلس : " كان لهؤلاء الملوك الزناتيين ذكر وشهرة وحروب تضمنتها كتب التاريخ ،وكان جدهم حرببن حفص بن صولات بن وازمار مغراو مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان أتى به اليه من سبى أفريقية

(١) : عن مقتل الوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمى ،انظر ،مجهول : نبذة عن تاريخه عن أخبار البربر ،ص ٢٢ - ٢٣

(٢) : عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ،ص ٥٤٦

(٣) : القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ،ص ١٨٥

في أول فتحها ، فأسلم على يده وحسن أسلامه . فمن هذه النسبه وهذه الوسيلة كان ميلهم الى بني أمية بالاندلس وتفرقهم عن اضداد هم من بني عبيد الله العلوية (١).

وكان المنصور قد اعتمد ايضا في تنظيم جيشه على هذه القبيلة التي أمدته بأعداد وافرة من الرجال . وقد تمتع المغرب بالهدوء والأستقرار زهاء عشر سنوات (من ٣٧٦ هـ حتى ٣٨٦ هـ) اذ كانت العلاقات بين المنصور والزناتيين ودية وتتسم بالتعاون ، كما نال زعيم الزناتيين زيرى بن عطية مكانة رفيعة لدى المنصور بن أبي عامر. (٢)

وفي سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢م استدعى المنصور بن ابي عامر زيرى بن عطية للقدوم عليه مرة ثانية ، فاستخلف زيرى بن عطية على المغرب ولده المعز ، وسار الى قرطبة . وقدم الى المنصور ومعه هدايا عظيمة (٣) . وأعجب المنصور بتلك الهدايا ومنح زيرى لقب الوزارة وجدد له عهده على المغرب . ولكن زيرى لم يبتهج بلقب الوزارة ، بل على العكس ساءه ذلك ، حيث كان يعتبر نفسه في مرتبة الأمارة . ولذلك قال زيرى بعد عودته الى المغرب : " الآن علمت انك لي " ويقصد بذلك بلاد المغرب . فسار الى طنجة وهناك أشاع خبر استقلاله بالمغرب ، حيث قال لبعض رجاله يتوعد المنصور : " والله لو كان بالاندلس رجل ما تركه على حاله ، وان له منا يوما" ، وصل المنصور بن أبي عامر

---

(١) : ابن الخطيب : اعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ١٥٣

(٢) : ابراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨

(٣) : عن نوع وعدد تلك الهدايا ، انظر السلاوى : الأستقصا ، جـ ١ ، ص ٢١٠

خبر غضب زيرى عليه ، فتركه المنصور حيثان الوقت لم يكن مناسبا للرد عليه ، ومع ذلك لم يبدأ زيرى بأشهار معاداة المنصور لا سيما وأن المنصور قد حقق له رغبته في حكم المغرب ، ومن ثم فقد استمرت العلاقات بين المنصور وزيرى بن عطية طيبة حتى عام ٣٨٦ هـ كما سنرى .(١)

وما كاد زيرى بن عطية يصل الى طنجة بعد قدومه من الاندلس حتى علم بأن خصومه من بنى يفرن تحت قيادة زعيمهم يدو بن يعلى الذى انتهز فرصة غياب زيرى عن المغرب ، وزحف على فاس واستولى عليها في شهر ذى القعدة عام ٣٨٢ هـ وقتل كثيرا من رجال مغراوة في فاس . فجهز زيرى جيشا لملاقاة يدو بن يعلى ، وقامت بينهما معارك عديدة قتل فيها أناس كثير . وقد انتهت تلك المعارك بهزيمة يدو بن يعلى وقتله ، ثم أرسلت رأسه الى المنصور بن أبى عامر في أوائل سنة ٣٨٣ هـ .(٢)

وأصبح زيرى بن عطية بعد هزيمته لبنى يفرن ولزعيمهم ، أعظم أمراء المغرب قوة وبأسا ، وعلى الرغم من انه استمر يتظاهر بولائه للمنصور بن أبى عامر وللدعوة الأموية في المغرب ، الا انه كانت لديه نية الأستقلال بالمغرب . ولما كانت مدينة فاس بموقعها في الطرف الغربى للمغرب ، وعلى مقربة من مواطن القبائل المعادية له ، فقد أصبحت لا تصلح لمشاريعه المستقبلية . لذلك انشأ لنفسه مدينة جديدة وهى مدينة وجده

---

(١) : السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٠ - ٢١١
- على أدهم : منصور الاندلس ، ص ١١٦ - ١١٧
(٢) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٤٦ - ٥٤٧

الواقعة جنوب شرقي مليلة ، وعلى مقربة من جنوب غربي تلمسان ، فقد شرع في بنائها سنة ٣٨٤ هـ وابتنى فيها قصبة منيعة وقصرا ، واحاطها بأسوار ضخمة ، ثم انتقل اليها بماله وسلاحه وجنده واتخذها مقرا لحكمه في سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦م وذلك لموقعها المتوسط بين المغربين الأوسط والأقصى .(١)

ولما ادرك المنصور بن ابي عامر نوايا زيرى بن عطيه الاستقلالية بعث كاتبه عيسى بن سعيد اليحصبي الى المغرب في جيش ضخم ، وقلده النظر في شأن زيرى بن عطية . ولما وصل عيسى الى المغرب قام بعدة محاولات مع زيرى لتصفية خلافاته مع المنصور ، ولكنه لم يستطع تصفيتها نظرا لعدم موافقة زيرى على مصالحة المنصور ، فمكث عيسى في المغرب بقية سنة ٣٨٦ هـ .(٢)

تغيرت فجأة العلاقات الودية بين المنصور بن ابي عامر وزيرى بن عطية في سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦م ، واعلن زيرى الثورة علنا على المنصور ، وذلك بسبب استبداده بالسلطة والنفوذ في الاندلس وحجره على الخليفة هشام المؤيد بالله . وكانت السيدة صبح ام هشام قد حرضت زيرى على المنصور لحجره ابنها هشام . وبعثت اليه الاموال ليتمكن من الدخول الى الاندلس بجيشه للاطاحة بالمنصور بن ابي عامر واعادة سلطات الخلافة لابنها هشام . وكان أول ما قام به زيرى ان طرد

---

(١) : القلقشندى : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٨٥ - ١٨٦
ـ احمد العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤

(٢) : مؤرخ مجهول : نبذة تاريخية في أخبار البربر منتخبة عن المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر ، ص ٢٧ - ٢٨

عمال المنصور من المغرب ، ماعدا عماله على القواعد الأندلسية المطلة على المضيق ، مثل سبته ، ومليلة . ويذكر ان أسباب ثورة زيرى على المنصور ، هو ان زيرى استقل العطاء الذى كان يجريه عليه المنصور فى كل سنه . ومن تلك الأسباب ايضا ما سبق ان أشرنا اليه ، وهو ان زيرى احتقر لقب الوزارة الذى منحه له المنصور . فقام زيرى وجعل شعاره وصيحات جنده فى حروبه مع المنصور عبارة " هشام يامنصور" . بينما كان شعار جند المنصور ابن أبى عامر عبارة : " يامنصور" ، وهذا يوضح سبب ثورة زيرى بن عطية على المنصور . ومهما اختلفت الأسباب فى الخلاف بينهما ، الا ان زيرى كان يرغب فى قرارة نفسه فى الاستقلال بحكم المغرب بعيدا عن الولاء للمنصور ابن أبى عامر . وقد اتخذ زيرى من المبررات السابقة ، ومن تمسكه بالولاء للخليفة هشام ذريعة لتحقيق أهدافه فى الاستقلال بالمغرب . فعن خروج زيرى ابن عطية على المنصور بن أبى عامر ، يقول ابن عذارى : " نكث زيرى بن عطية المغراوى طاعته للمنصور ، بعد الحب الشديد والولاء الأكيد ، وطعن على ابن أبى عامر تغلبه على هشام وسلبه ملكه " .(١)

فما كان من المنصور الا ان قطع رزق الوزارة عن زيرى ، ومحى اسمه من ديوانه وتبرأ منه فى شهر شوال سنة ٣٨٧ هـ . فرد عليه زيرى بطرد عماله الذين لجأوا الى سبته ، وقطع ايضا ذكره من الخطبة فى المساجد واقتصر على ذكر الخليفة هشام المؤيد بالله .(٢)

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢
— احمد العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥
(٢) : السلاوى : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ٢١٣

وجهز المنصور جيشا كبيرا وأسند قيادته الى فتاه واضح الصقلبي قائد مدينة سالم ، حيث كان المنصور يثق في مقدرته القتالية وزوده بالمال والسلاح ، فعبر واضح بالجيش المضيق في نهاية شهر شوال سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م ، ونزل مدينة طنجة (١) . وكان المنصور قد أمد واضح بمن كان في الاندلس من زعماء زناته والخارجين على زيري ، فتكاملت جيوش واضح . وفي طنجة انضم الى واضح عدد من زعماء زناته وحالفوه على محاربة زيري ، فخرج واضح في جمع غفير من الجيش قاصدا مدينة فاس . وكان زيري ابن عطية قد خرج لملاقاته ، فالتقى الجيشان بوادي زارات جنوب طنجة ، ونشبت بينهما معارك حربية عنيفة ،استمرت على مدى ثلاثة أشهر ،واستطاع زيري أخيرا ان يهزم واضح وجيشه ،وقتل معظمه . الا ان واضح ومن بقي معه من الجيش تمكن من الفرار الى طنجة ،وكتب للمنصور بن أبي عامر يستنجده بجيش آخر ،وشرح له ضراوة الحرب مع زيري بن عطية طيلة الثلاثة الاشهر (٢) .

وبعد سماع المنصور خبر هزيمة جيشه ،اضطر الى اتخاذ أجراءات أكثر فاعلية للقضاء على زيري ، فأعلن الجهاد من المسجد الجامع بالزاهرة عقب صلاة الجمعة التاسع من شهر شعبان سنة ٣٨٨ هـ . ثم سار الى الجزيرة الخضراء في أعداد كبيرة من الجيش ،وقد استخلف مكانه على الزاهرة ابنه عبد الملك . وكان المنصور قد اصطحب معه ابنه عبد الرحمن الذي كان يرغب في أسناد قيادة هذا الجيش له ،الا انه عدل عن ذلك وأسند قيادة هذا الجيش الى ابنه عبد الملك لما كان يتمتع به من مهارة قتالية ،وسمعة طيبة في صفوف الجيش.

(١) : أحمد العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ،ص ٢٥٦
— مدينة طنجة تسكن بها قبيلة صنهاجة ،وتبعد عن سبته نحو ميل على الطريق الساحلي (انظر : أيضا القلقشندي : صبح الاعشى ،جـ ٥ ،ص ١٠٤

(٢) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٥٥٧

ولذلك أمر المنصور ابنه عبد الرحمن بالعودة الى الزاهرة لينوب عنه في الأندلس ، ويقوم بالاشراف على مهام الدولة ، وفي نفس الوقت استدعى ابنه عبد الملك ليتولى قيادة الجيش ، فحضر عبد الملك من الزاهرة الى الجزيرة الخضراء في أوائل شهر رمضان سنة ٣٨٨ هـ حيث انضم اليه عدد من زعماء البربر وأعداد كبيرة من جيش الأندلس (١).

ثم عبر عبد الملك وجيشه الى سبته لملاقاة زيرى بن عطية وبقي أبوه المنصور في الجزيرة الخضراء يراقب العمليات الحربية . وشاع خبر وصول عبد الملك الى زيرى بن عطية ، فقام وتأهب لملاقاته ، وكتب الى جميع انصاره من قبائل زناته يستنجدهم ، فأتته القبائل من ملوية ، وتلمسان والزاب ، وسائرهم بوادى زناته . وخرج عبد الملك والفتى واضح من طنجة في جيش لا يحصى عدده ، والتقى الجيشان بوادى منى من أحواز طنجة ، ودارت بينهم معارك قتالية عظيمة استمرت يوما وليلة قتل فيها من الجانبين عدد كبير من الرجال . وكان في معسكر زيرى غلام أسود اسمه كافور بن سلام كان زيرى قد قتل أخاه ، فوجد هذا الغلام الفرصة مواتية للانتقام من زيرى . واستطاع هذا الغلام الوصول الى خيمة زيرى ، وضرب زيرى بسكين في نحره ثلاث ضربات لم تمته . ثم أقبل الغلام مسرعا الى عبد الملك وبشره بقتل زيرى ، فلم يصدقه عبد الملك ، الى ان جاءه أحد من أصحابه وأخبره بأن زيرى قد جرح جرحا خطيرا ، فهجم عبد الملك على جيش زيرى وهزمهم ، واثخن عبد الملك في رجال زيرى قتلا ، واستولى على ما بيد زيرى من مال وسلاح . الا ان زيرى تمكن من الهرب وهو مجروح الى موضع يعرف بمضيق الحية قرب

---

(١) : مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٢٩- ٣٠

مكنـاس ، واجتمع حوله فلول قومه ، وعزم على العودة لمحاربة عبد الملك . ولما علم بذلك عبد الملك بعث اليه الفتى واضح ومعه خمسة آلاف فارس، فسار واضح بجيشه الى مضيق الحية ، وتوغل في جيش زيرى على غرة في الليل وقتل منهم أعدادا كثيرة ، وأسر منهم من أشراف مغراوة نحو الفي رجل ، وكانت تلك المعركة في منتصف شهر رمضان سنة ٣٨٨ هـ . ثم فر زيرى مع نفر من أصحابه وبني عمه الى فاس ، فأغلق أهل فاس أبواب المدينه في وجهه ، وكانوا قد علموا بهزيمته ، فطلب منهم زيرى أن يخرجوا اليه أسرته ، فأجابوا طلبه ، وسلموه أهله وزودوه بالزاد والدواب ، فانصرف بهم الى الصحراء قاصداً بلاد صنهاجة . (١)

وبعد هزيمة زيرى بن عطية ، دخل عبد الملك مدينة فاس يوم السبت نهاية شهر شوال سنة ٣٨٨ هـ ، وكتب الى أبيه المنصور يبشره بالنصر ، فقرئ كتاب عبد الملك على منابر الأندلس ، وأعتق المنصور بهذه المناسبة الف وثلاثمائة مملوكة انثى ، وخمسمائة عبد ، وذلك من جملة صدقات كثيرة أعدها بمناسبة فتح المغرب تحت قيادة ابنه عبد الملك . ثم كتب المنصور الى أبنه عبد الملك بولاية المغرب ، وأوصاه بحسن معاملة أهلها ، فقرئ كتاب المنصور على منبر القرويين في آخر جمعة من شهر ذى القعدة سنة ٣٨٨ هـ . ثم عاد الفتى واضح الى الأندلس ومكث عبد الملك في فاس ستة أشهر ، عاد بعدها الى الأندلس وكان أهل فاس قد أعجبوا بعدله وحسن معاملته لهم . ثم تعاقب على حكم فاس في المغرب ولاة كثيرون بعد عودة عبد الملك الى الأندلس ، فمنهم عيسى بن سعيد صاحب الشرطة الى ان عزله المنصور في شهر صفر سنة ٣٨٩ هـ ، وعين بدلا منه الفتى واضح . (٢)

---

(١) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ١٥٨ - ١٥٩
ـ السلاوي : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ٢١٤ - ٢١٥
(٢) : ابن الخطيب : نفس المصدر ، ق ٢ ، ص ١٥٩ - ١٦٠
ـ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٥١٢ - ٥١٣

وأمــا زيــرى بن عطيــة بعد هزيمته فــى مضيق الحيــة فقد فر هاربــا كما ذكرنــا الى بلاد صنهاجــة ، فوجــد أهلهــا قــد اختلفــوا على ملكهــم باديس بن منصــور بن بلكين الصنهاجــى صاحب افريقيــه ، فزحف زيرى بجيشــه وتوغــل فــى بلاد صنهاجــة وهــزم جيشهــم ، ودخــل مدينة تاهــرت ،وبعض بلاد الــزاب وملك تلمســان ، وشلف ، والمسيلــة ، وأقــام بهــا الدعــوة للخليفة هشام المؤيد . كما حاصــر مدينة آشــير قاعــدة بلاد صنهاجــة . ثــم كتب الى المنصــور بن أبــى عامــر يسترضيــه ويطلب منه الأمــان ، ويشترط علــى نفســه الرهــن والاستقامــة والولاء اذا أعــاده المنصــور الــى حكــم بلاد المغــرب فعفــا عنه المنصور وأعيــد الــى ولايتــه علــى المغــرب وبينمــا كان زيرى علــى حصــار آشــير انتفضت عليــه جراحــه القديمــة ، فمات زيرى بسببهــا فــى شهــر محــرم سنة ٣٩١هـ / ١٠٠١م فولــى زناتــه من بعده ابنــه المعــز بن زيرى كما أقــره المنصور على ولايته للمغرب .(١)

علاقة عبد الملك وأخيه عبد الرحمن مع المغــرب :-

اتبع عبد الملك سياسة أبيــه المنصــور الحازمــة فى العدوة المغربية مما جعــل زعماء زناتــة يبايعونــه ،ويدعــون لــه مع الخليفــة هشام على منابــر المغرب الأقصــى . كمــا ســار عبد الملك على نهج ابيــه فى استخدام رجال زناتة فى جيشــه(٢) ، وأحكم السيطــرة على المغرب الأقصــى ، وخاصــة المواقع الساحلية الهامة فيه ولذلك فى اكتساب محبة البربــر ، لا سيما قبيلة زناتــة الحليفــة القديمة للأمويين . بــل ان عبد الملك فى سبيل ابعاد شبح

(١) : السلاوى : المصدر السابق ،جـ ١ ،ص ٢١٦ - ٢١٧

ـ ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا ،ص ٣٤٩

(٢) : احمد العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ،ص ٢٦٨

الفاطميين عن المغرب الأقصى ، ذهب الى حد اكتساب بعض زعماء الزيريين من قبيلة صنهاجة والموالين للدولة الفاطمية الى جانبه ، فدعاهم الى الأندلس وأحاطهم بالحفاوة والتكريم . وكان على رأس هؤلاء زاوى بن زيرى الصنهاجي الذى عينه عبد الملك في خطة الوزارة (١) .

ولكى يكسب عبد الملك ثقة الزناتيين من بني مغراوة ، جدد البيعة للمعز بن زيري بن عطية على حكم المغرب الأقصى في سنة ٣٩٣هـ على ان يؤدى اليه كل سنة مالا معلوما ، وخيولا ودرقا ، فأجابه المعز بن زيرى الى ذلك ، وقدم ولده معنصر رهنا عند عبد الملك وبذلك عاش المغرب الأقصى خلال عهد عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر في أمن وأستقرار (٢) .

كما استمرت ولاية المعز بن زيرى بن عطية على المغرب الأقصى خلال حكم عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر في الأندلس. بل انه في فترة حكم عبد الرحمن بن المنصور توطدت العلاقات بينه وبين المعز بن زيري . فقد قدم المعز لعبد الرحمن بن المنصور هدية ثمينة فيها خمسون فرسا ، وحينما وصلت هذه الهدية لعبد الرحمن ، أطلق سراح معنصر بن المعز وأعاده الى أبيه في المغرب ، فرد المعز على ذلك الصنيع بأن بعث الى عبد الرحمن هدية ثانية ، وكانت تلك الهدية هي تسعمائة فرس. وبعد مقتل عبد الرحمن بن المنصور ، ظل المعز بن زيرى يحكم بلاد المغرب الى ان توفى في سنة ٤١٧هـ (٣) .

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٦٤٧ ، ٦٤٨
— ابراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص ٣٥٦

(٢) : مؤرخ مجهول : نبذة تاريخيه فى أخبار البربر في القرون الوسطى ، منتخبة عن المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر ، ص ٣٦ ، ٣٧

(٣) : السلاوى : الأستقصا ، جـ ١ ، ص ٢١٧ ، ٢١٩
— السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، جـ ٢ ، ص ٥١٣ - ٥١٤

العلاقات بين الأندلس والممالك الأسبانية النصرانية

نظرة عامة على أحوال الممالك الأسبانية النصرانية وعلاقاتها بالأندلس قبل عهد المنصور :-

في اواخر عصر الأمارة تهاوت سلطة أمراء بني أمية وأنقسمت الى أمارات مستقلة فيما يشبه عصر ملوك الطوائف ، وقام الصراع بين هذه الأمارات بعضها البعض وبين حكومة قرطبة . كذلك انقسمت مملكة جليقية النصرانية واستقل عنها الباسك أو النافاريون وكونوا مملكة نبرة (نافار) كما ظهرت أمارة قطلونية في الشمال الشرقي لأسبانيا النصرانية ، وقام الصراع ايضا بين هذه الدويلات المسيحية ، واستعان بعضها بالمسلمين في الأندلس ، واستعان البعض الآخر بالفرنجة في صراعهم ضد بعضهم البعض .

وأدى هذا التماثل في الأوضاع السياسية لكل من الأندلس الأسلامية وممالك شمال أسبانيا النصرانية في آواخر عصر الأمارة الأموية الى وجود توازن بينهما سواءا على الصعيد العسكري أو السياسي . الآ انه في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، اختل هذا التوازن ومال ميزان القوة الى جانب الممالك النصرانية ، حيث تحقق لبعض هذه الممالك بعض التقدم في أراضي المسلمين في الأندلس ، فوصلت حدودها الى نهر دويرة . ومع ذلك كانت الأمارة الأموية تقاوم هجمات النصارى في بلاد الأندلس . (١)

أما في عصر الخلافة الأموية في الأندلس ، فقد مال هذا الميزان السياسي والعسكري طوال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي

(١) : عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي، ص ٢٤٤ - ٢٤٥

فى جانب الاندلس الاسلامية ، وذلك لعدة أسباب منها ان الاندلس أصبحت فى عصر الخلافة دولة واحدة تسيطر على كافة أراضيها حكومة واحدة ،وهى الخلافة الأموية فى عهد عبد الرحمن الناصر الذى أخمد الثورات فى الاندلس ووحد الأراضى الاندلسية وجعلها تحت سيطرته (١) ، واستمرت وحدة الاندلس وتفوقها العسكرى على الممالك النصرانية طوال عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ،ثم فى عهد المنصور بن أبى عامر وابنه عبد الملك (٢) .

أما فى الشمال الاسبانى والخاضع للممالك النصرانية ،فقد كانت هناك مملكتان هما مملكة ليون ،ومملكة نبرة ، وأمارتان هما أمارة قطلونية (برشلونة) ، وأمارة قشتالة ،والأمر الجدير بالملاحظة انه فى الوقت الذى نجح فيه عبد الرحمن الناصر فى توحيد الاندلس تحت سلطان حكومة قرطبة ، نجد ان النبلاء فى أسبانيا النصرانية وبخاصة فى مملكة ليون كانوا لا يزالون عاملا من عوامل الاضطراب السياسى ، وقد بلغ الأمر بأحدهم

---

(١) : اقتضى توحيد الاندلس ان يقوم عبد الرحمن الناصر بالقضاء على الحركات الانفصالية التى شملت معظم أنحاء الاندلس فى أواخر عصر الامارة . وكان من أشهر هذه الحركات ثورة بنى حفصون التى قضى عليها عبد الرحمن الناصر عام ٣١٥ هـ ،وثورة أهل طليطلة التى قضى عليها عام ٣٢٠هـ وثورة بنى مروان الجليقى بغربى الاندلس والتى قضى عليها .. وكذلك الحركات الانفصالية التى قام بها بالثغر الأعلى بنو قسى ،وبنو الطويل ،وبنو تجيب . انظر فى هذا الصدد :

— ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ،ص ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠-٢٦١ ، ٢٦٧ - ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩- ٢٩٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣

— ابن عبد ربه : العقد الفريد ،جـ ٢ ، ص ٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥- ٣٧٦

— العذرى : نصوص عن الأندلس ،ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٦٦ - ٧٣

(٢) : المقرى : نفح الطيب ،جـ ١ ،ص ٩٩

وهو كونت قشتالة فرناند جونثالث (FERNAN GONZALEZ) ان يقيم أمارة جديدة وهي أمارة قشتالة منذ بداية النصف الثاني من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، وظل يصارع مملكة ليون ومملكة نبرة حتى وفاته في سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م وقد أجهد ذلك الصراع جميع الممالك الأسبانية النصرانية . فلم تكن الحروب بين هذه الممالك لتهدأ بعض الوقت حتى تعود أكثر أشتعالا ، أما بسبب التنازع على العرش أو بسبب التنازع على الحدود بين هذه الممالك ، أو الطمع في ضم مملكة أو أمارة الى أخرى بالقوة ، أو انفصال أمارة عن أخرى . وكانت المصاهرات عاملا قويا في أذكاء هذه الأطماع وفي اضطراب العلاقات بين ممالك الشمال النصراني بعضها البعض .

ومما ساعد الخلافة الأموية في أنتصاراتها على الممالك الأسبانية النصرانية انقطاع معظم المساعدات التي كان يقدمها ملوك الفرنجة للممالك النصرانية في شمال أسبانيا ، وذلك بسبب ما أبرموه من اتفاقيات مع أمراء بني أميه الأواخر ، والتي تنص على الا يتدخل أي منهما في شئون الآخر ، والا يساعد الفرنجة نصارى الشمال الأسباني نظير ان يتخلى المسلمون عن برشلونة . كما أدى نجاح عبد الرحمن الناصر في القضاء على الحركات الأنفصالية التي قام بها المولدون والعرب بالثغر الأعلى (سرقسطة) من بني قسي وبني الطويل ، وبني تجيب الى ان تدين مناطق الثغور للخلافة بالطاعة وان تتخذ منها الخلافة كقواعد لضرب الممالك الأسبانية النصرانية . وبذلك فقدت هذه الممالك الأسبانية النصرانية العون الخارجي سواء من المولدين والعرب بمناطق الثغور أو من الفرنجة .

كل هذه العوامل أدت الى سيطرة الخلافة وبخاصة في عهد

عبد الرحمن الناصر وفي عهد ابنه الحكم المستنصر ، ليس فقط على الأندلس الموحدة ،وانما على الممالك الأسبانية النصرانية .(١)

ورغم كثرة الفتن والحروب بين الممالك الأسبانية النصرانية بعضها البعض ،الا أنها كانت تتوحد في أهدافها لغزو بلاد المسلمين ،وكثيرا ما قامت بغارات على حدود الأندلس ، مما جعل الخليفة عبد الرحمن الناصر بعد اخماده للثورات والحركات الانفصاليه في داخل الأندلس ان يقوم بأعداد جيش قوى لغزو هذه الممالك ،وقد غزاها كثيرا وانتصر عليها في معظم غزواته الأمر الذى جعل هذه الممالك تطلب الصلح معه وتعمل على كسب رضائه .(٢)

وهكذا يتضح لنا انه اذا كانت غزوات الأمويين في عصر الأمارة على البلاد الأسبانية النصرانية بقصد صد هجمات النصارى على حدود بلاد المسلمين ، الا ان تلك الغزوات في عصر الخلافة على عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر أخذت طابع القوة والهجوم مما جعل تلك الممالك والأمارات النصرانية تخشى قوة الخلافة . ومع ذلك فلم يكن الخليفة عبد الرحمن الناصر وكذلك ابنه الحكم المستنصر يخطط في غزواته للأستيلاء على بلاد النصارى ،وانما كانت غزواته تستهدف اظهار قوة جيش الخليفة ، وارهاق الممالك النصرانية في عقر دارها لتدفعها الى المسالمة والتخلى عن العدوان على أراضى المسلمين .(٣)

(١) : انظر في هذا الصدد : رجب محمد عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس والممالك الأسبانية النصرانية منذ عصر الأمارة حتى القرن الخامس الهجرى . الفصل الثاني من الباب الثاني ،ص ١٤٢ - ١٥٨

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ،ج ٢ ،ص ٢٢٥
— ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ،ص ١٤٢

(٣) : عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ،ص ٢٩٨- ٢٩٩

فبعد الهزيمة التي حلت بملك ليون أردون الثالث وبحليفه كونت قشتاله فرناند جونثالث في عام ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م ، أرسل يطلب الصلح والسلام مع الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر ، وكان عبد الرحمن الناصر يرغب هو الآخر في السلام لكي يتفرغ لمواجهة الفاطميين الذين كان قد أزداد نفوذهم وقتئذاك في المغرب الأقصى ، ولذلك وافق على ما طلبه أردون الثالث ، وانتهت المفاوضات بينهما بأن يتنازل أردون الثالث عن حصون منيعة للخليفة نظير السلام . وفي العام التالي طلب أردون الثالث من عبد الرحمن الناصر أدخال كونت قشتاله فرناند جونثالث في أتفاقية السلام فرحب الخليفة بذلك .

الا انه بعد ان توفى أردون الثالث رفض أخوه شانجة الملك الجديد (٣٤٥- ٣٥٥ هـ / ٩٥٦- ٩٦٦ م) تنفيذ المعاهدة التي كان أخوه قد أبرمها في العام السابق مع عبد الرحمن الناصر فرفض تسليم الحصون المتفق عليها في هذه المعاهدة ، فاضطر الناصر الى شن الغارة عليه وسحق جيوشه في عام ٣٤٦ هـ . بالاضافة الى ذلك مالبث ان قام الصراع بين شانجة وابن عمه أردون الرابع على العرش ، وفي هذا الصراع انحاز كونت قشتالة الى أردون الرابع الذى كان صهرا له ، ونجح في ان يتغلب عليه وان يقيم أردون الرابع على عرش مملكة ليون مما أجبر شانجة على الفرار الى بلاط جدته الملكة طوطه والتي كانت تحكم مملكة نبرة بوصفها وصية على ابنها الطفل غرسية شانجة (٣١٤ — ٣٥٩هـ / ٩٢٦- ٩٦٩ م) .

وكانت الملكة طوطه من الد أعداء عبد الرحمن الناصر ، فقد حاربته

طوال ثلاثين عاما تحالفت أثناءها مع مملكة ليون وزوجت أبنتها أوراكه من ملك ليون رد مير الثاني وأشتركت معه في هزيمته للناصر في معركة الخندق عام ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م .

ولما لجأ شانجة الى جدته الملكه طوطه وجدت هذه الملكة انها لا تستطيع مواجهة مملكة ليون وأمارة قشتالة بمفردها ، لذلك لم يكن أمامها الا الخليفة عبد الرحمن الناصر تلجأ اليه كحليف قوى فتناست عداءها له وللمسلمين طوال الثلاثين سنة السابقة .

وقدمت الملكة طوطه مع حفيدها شانجة (ملك ليون المخلوع) الى قرطبة عام ٣٤٧ هـ / ٩٥٩ م ، ومعها ابنها غرسيه بن شانجة الأول ملك نبرة تطلب من عبد الرحمن الناصر المساعدة لأعادة حفيدها الى عرش ليون ولمعالجته من السمنة المفرطة على يد أطباء قرطبة الماهرين ، وذلك نظير التخلي عن عشرة حصون . وقد وافق عبد الرحمن الناصر على طلبها وعقد معها معاهدة اعترفت له فيها بالطاعة ودفع الجزية والتخلي عن هذه الحصون العشرة مقابل قيامه بمساعدتها في أعادة حفيدها شانجة الى عرش مملكة ليون . وبمقتضى هذه الأتفاقية قامت القوات الأسلامية بمهاجمة ليون ، ففر أردون الرابع ملك ليون الى جبال اشتريس ، كما قامت قوات نبره بمهاجمة قشتالة وأسر كونت قشتالة فرناند جونثالث صهر أردون الرابع . وبذلك أصبح الخليفة عبد الرحمن الناصر السيد الفعلي لشبه الجزيرة الأيبرية كلها .

وقد تابع الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٦ م) سياسة أبيه أزاء نصارى الشمال ، فوقف في وجه سياستهم التوسعية . أما

شانجة الذى عاد بفضل عبد الرحمن الناصر الى عرش مملكة ليون ، فقد سارع الى تقديم الاعتذارات للحكم المستنصر لتأخيره فى تسليم الحصون التى نصت عليها الاتفاقية بينه وبين أبيه عبد الرحمن الناصر . وأما غرسية ابن شانجة الأول ملك نبرة فقد قام بأطلاق سراح كونت قشتاله فرناند جونثالث ، الذى ما لبث أن انضم الى صهره أردون الرابع ملك ليون المخلوع وأخذا يعيثان فى الأراضى الاسلامية .

ولذلك أعد الحكم المستنصر حملة كبرى للقضاء على أردون وكونت قشتالة ، فخاف أردون على مصيره ، ووفد الى قرطبة عام ٣٥١هـ / ٩٦٢ م ضارعا الى الحكم أن يعيده الى عرشه ، وانه ليس مثل ابن عمه شانجة الذى خالف شروط الاتفاقية مع أبيه عبد الرحمن الناصر ، وأنه يضع نفسه وأرضه وشعبه تحت أمر الخليفة . فأكرمه الحكم المستنصر ووعد بأعادته الى عرشه على شرط أن يتعهد بحفظ السلام بينه وبين الخلافة ، والا يخالف كونت قشتالة وأن يترك إبنه رهينة لديه ضمانا لتنفيذ الاتفاق . وما ان وقع أردون هذا الاتفاق حتى وضع الحكم المستنصر تحت امرته جيشا على رأسه القائد غالب .

ولما أدرك شناجة ملك ليون مدى حرج موقفه بادر بالذهاب الى قرطبة حيث قابل الخليفة الحكم المستنصر وتعهد له بتنفيذ كل بنود الاتفاقية التى كان قد عقدها مع أبيه ، فوجد الحكم المستنصر أنه حصل على كل ما يريده وأنه لا فائدة من الوعود التى بذلها له أردون اذا ما عاد الى العرش . ومالبث أن مات أردون بعد ذلك بقليل فحلّت مشكلة الصراع

علـى عـرش مملكـة ليـون .

الا أن شانجـة ملك ليـون بعد أن اطمأن علـى عرشـه بعد موت منافسـه أرد ون الرابـع ، نكث وعوده وأتفاقـه مع الحكـم المستنصـر وأخـذ يستعين بحلفائـه القدامـى من أخوالـه ملوك نبره ،وكونتات امـارة برشلونة بوريـل (BORRELL)وميرون MIRON ، وكذلك كونـت قشتالـة العـدو اللدود للخـلافـة . واضطـر الخليفـة الحكـم المستنصـر لقتالهـم ،وبدأ أولا بقشتالـة واستولـى علـى قلعـة شنت اشتين عـام ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م ، وأجبر حاكمهـا فرناند جونثالث علـى طلب الصلح . واستطـاع القائـد غالـب أن يهـزم جيوش ليـون ونبره في موقعـة تينسـه (ATENZA) ،وكذلك هزمهـم قائـد الثغـر يحيى بن محمـد التجيبى حاكـم سرقسطـه واستولـى علـى مدينـة قلهـرة الهامـة ، وقـام قائـد وشقـة واستولـى علـى مطونيـة ،وعاثت قوات الثغـور الاسلاميـة فـى برشلونـة . وقـد غنم المسلمـون فـى هـذه الغـزوات من الأموال والسلاح والدواب والأطعمـة والسبى مالا يحصـى . وبذلك أجـبر الحكـم المستنصـر أعداءه ملوك وأمراء الاسبـان النصـارى على طلب السلامة .

وقـد حالف الحظ الحكـم المستنصـر بوفـاة شانجـة ملك ليـون عـام ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م وخلفـه ابنـه الطفـل رد مير الثالث (٣٥٥ - ٣٧٢ هـ / ٩٦٦- ٩٨٢ م) وتولـت عمتـه الوصايـة عليـه . وكان لتولـى هذا الطفـل الصغير عـرش ليـون أثـر فـى أنتشـار الفوضـى وانقسـام الدولة الى أمارات صغيرة وأخـذ كـل أمير من أمرائهـا يتوجـه الـى قرطبـة للاستعانـة بخليفتهـا الحكـم المستنصـر ضـد خصومـه ،فيما يشبـه عصـر ملوك الطوائف الذى ظهـر فـى الأندلس بعـد انهيـار الخلافـة الأمويـة أثـر سقوط الدولة العامريـة فيها وتوالـت

السفارات المسيحية من جميع دول الشمال الأسباني النصراني على بلاط الحكم المستنصر تطلب السلام وتجدد معاهدات الصلح منذ عام ٣٥٥هـ / ٣٦٦ هـ وقد امتد هذا السلام بين الأندلس وهذه الممالك الأسبانية النصرانية حتى وفاة الحكم المستنصر في عام ٣٦٦هـ / ٩٧٦م (١) .

هذا ويمكن تقسيم العلاقات بين الأندلس وممالك وأمارات الأسبان النصارى في عصر الخلافة الى أربع فترات : فترة الصراع المتوازن وتبدأ من بداية عهد عبد الرحمن الناصر في عام ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م وتنتهي بعام ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م ، وهو عام السلام الذى تم فيه عقد معاهدات السلم بين عبد الرحمن الناصر ونصارى الشمال الأسبان . والفترة الثانية ، وهي فترة السلام وتبدأ من هذا العام وتنتهي بوفاة الحكم المستنصر عام ٣٦٦ هـ / ٩٧٦م . وفي هاتين الفترتين استخدم عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر الأساليب الدبلوماسية في معظم الأحيان لفض تحالف نصارى الشمال حتى أصبح كل منهما السيد الفعلي لشبه الجزيرة الأيبرية كلها . والفترة الثالثه هي فترة الحرب التي قادها المنصور ابن أبي عامر في عنف وشراسة ضد نصارى الشمال ،وحطم فيها دولهم وخرب بلادهم وأذل كبريائهم . وكان هدفه من جهاده لو أمتد به العمر هو تطهير أسبانيا من هذه الدول النصرانية . وبمعنى آخر كان المنصور يريد ان يقضي على دول الشمال الأسباني النصراني وان يخضعها جميعا لسلطة الخلافة . وقد خالف في ذلك خطة من

---

(١) : عن العلاقات بين هذه الممالك الأسبانية النصرانية والأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ،انظر رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٦٣ - ١٧٢

تقدمه من خلفاء بنى أمية وأمرائهم . اذ كان هؤلاء جميعا يحاربون للدفاع ورد الغزوات ، أما هو فكان يبدأ بالحرب دائما تحدوه فى ذلك روح قوية فى الجهاد . ثم تأتى الفترة الرابعة ،وهى فترة سقوط الخلافة منذ بداية القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ،وفيها انقلب ميزان القوى لصالح نصارى الشمال وأصبحوا يتدخلون فى تولية الخلفاء الضعاف وفى عزلهم (١) .

العلاقات بين الممالك الأسبانية النصرانية والدولة العامرية :-

كانت علاقات المنصور بن أبى عامر مع الممالك النصرانية فى اسبانيا ، هى علاقات حرب طوال حكمه للأندلس ، اذ كانت لديه نزعة دينية قوية فى حربه مع هذه الممالك تتمثل فى حماية الدولة الأسلامية فى الأندلس وحدودها من أعدائها المسيحيين . ولذلك توسع المنصور بن أبى عامر فى غزو أراضى المسيحيين ،اذ كان يطمح فى الأستيلاء على بلادهم .

وكان المنصور يغزو فى السنه الواحده مرتين ،تعرف الأولى بالصائفة وتعرف الثانية بالشاتية . وتقدر عدد غزواته بأكثر من أثنين وخمسين غزوة خرج المنصور بن أبى عامر فنها منتصرا . الآ ان معظم الروايات الأسلامية لم تقدم الينا تفاصيل واضحة عن تلك الغزوات . هذا ومجمل أخبار تلك الغزوات وتفاصيلها ووقائعها ذكرت فى كتاب المآثر العامرية ، أو كتاب أخبار الدولة العامرية ،ولكن مع الأسف فقد هذا الكتاب كما

---

(١) : رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ،ص ١٥٩ - ١٦٣

تذكر المصادر التاريخيه الاسلامية . ويجمل ابن خلدون في ذكر غزوات المنصور بن ابي عامر بقوله : ورد د الغزو بنفسه الى دار الحرب فغزا اثنتين وخمسين غزوة في سائر ايام ملكه ، ولم ينكسر له فيها راية ، ولا فل له جيش ، ولا أصيب له بعث ، ولا هلكت سرية .(١)

وقد اختلف المؤرخون في عدد غزوات المنصور بن ابي عامر ، فالبعض يذكر انها اثنتين وخمسين غزوة ، والبعض الآخر يذكر انها سبع وخمسون غزوة .(٢)

كما كانت غزوات المنصور بن ابي عامر موضع الدراسة التحليلية ، فقد قام خالد الصوفي في كتابه (عصر منصور الاندلس) بدراسة لهذه الغزوات ولاحظ انها متفاوته من سنة الى اخرى او من فترة الى اخرى خلال حكم المنصور ، وخرج من هذه الدراسة بهذا الجدول :

التاريخ	ارقام الغزوات	مجموع الغزوات
من سنة ٣٦٦ - ٣٧١ هـ (٩٧٦ - ٩٨١م)	من ١ - ٤	٤ غزوات
ثم من سنة ٣٧١ - ٣٧٩ هـ (٩٨١ - ٩٨٩م)	من ٤ - ٤٥	٤١ غزوة
من سنة ٣٧٩ - ٣٨٧ هـ (٩٨٩ - ٩٩٧م)	من ٤٦ - ٤٨	٣ غزوات
من سنة ٣٨٧ هـ - ٣٩٢ هـ (٩٩٧ - ١٠٠٢م)	من ٤٨ - ٥٢ أو أكثر	٤ غزوات
		٥٢ غزوة

وفي رأيه ان هذا التفاوت في عدد الغزوات من فترة الى اخرى : انما يرجع الى ان المؤرخين لم يذكروا الا المهم من غزواته ، او انهم اهملوا غزواته الثانوية

(١) : ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٢٠

* JAN READ : OP..cit.,P.89

كما يرجع ايضا الى ان بعض المؤرخين حسبوا في عدد غزواته الغزوات الصغيرة الجانبيه التي كانت تتفرع أحيانا عن أحدى غزواته الأساسية الكبرى التي لا نعرف عددها على وجه اليقين . فاحدى غزواته التي جمع منها بين بنبلونة وبسيط برشلونه كانت صائفة ذات دخلات ثلاث .(١)

كما تصدى أيضا رجب محمد عبد الحليم في دراسته عن العلاقات بين الأندلس والممالك الأسبانية النصرانية الى دراسة تحليلية لغزوات المنصور ابن أبي عامر وعددها ، وقد اثبت في هذه الدراسة نقلا عن العذرى انه في خلال الفتره الأولى من حكم المنصور من سنة ٣٦٦ هـ حتى سنة ٣٧٦ هـ بلغ عدد غزواته أربعا وعشرين غزوة ، منها أربع عشرة غزوة فيما بين سنة ٣٦٦ هـ وسنة ٣٧١ هـ وليس أربع غزوات كما يذكر الصوفي .

كما أثبت ان غزوات المنصور لم تكن موجهة كلها الى نصارى الشمال - كما يعتقد البعض - وانما دخل فيها ما قام به المنصور من غزوات في الأندلس نفسها ضد بعض المتمردين ، ومن غزوات في جنوب الأندلس ضد نشاط الفاطميين هناك . مثال ما ذكره العذرى نقلا عن ابن حيان من ان المنصور خرج في غزوته الثامنه عام ٣٦٨ هـ لضبط شئون الجزيرة بسبب تزايد نشاط الفاطميين هناك .

ثم يخلص في هذه الدراسة الى القول بأن المنصور بن ابى عامر قام بأربع وعشرين غزوة في العشر سنوات الأولى من حكمه ،وان غزواته الباقيه والبالغة حوالى ست وعشرين غزوة أو أكثر كانت في السنوات الباقية من حكمه وهى ستة عشر عاما على أساس غزوتين كل عام كحد أقصى حسبما

---

(١) : رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٧٣ - ١٧٤ (نقلا عن خالد الصوفى : عصر المنصور الأندلسى ، ص ١١٧- ١١٩) .

أشـــار الـى ذلك معظـم المؤرخين (١) .

وتشير الروايات الاسلامية الى ان بواعث هذه الغزوات المتتالية هى نزعة المنصور بن أبى عامر للجهاد ، ويبدو ان المنصور بقيامه بتلك الغزوات على الممالك النصرانية كان يرمى الى غاية سياسية بعيدة المدى حيث لم يفكر أحد من قبله من حكام الاندلس فى القيام بمثل تلك الغزوات أو لم تكن لديهم القدرة القتالية للقيام بها . وذلك ان المنصور أراد من كثرة غزواته على الممالك المسيحية ان يقضى على استقلالها القومى ،وان يجعلها خاضعة لنفوذه وسلطانه . وكان المنصور قد خالف من سبقه من حكام الاندلس فى طريقة حرب المسيحيين ، حيث كان حكام الاندلس يحاربون للدفاع وصد غارات النصارى على حدود بلاد الاندلس الاسلامية ،ولكن المنصور كان على عكس هؤلاء فقد كان هو الذى يبدأ بالحرب عليهم فى عقر بلادهم . وكان لا يقبل من أعدائه المسيحيين صلحا أو مهادنة ،ولا يقنع الا بالنصر عليهم فى ساحة القتال . وعلى الرغم من انشغاله بالقضاء على خصومه فى الداخل ،الا ان تلك الامور لم تكن تشغله عن الجهاد فى سبيل الله (٢) .

كان المنصور دائما متأهبا للغزو ، وكانت اذا وقعت له نية فى الغزو وهو فى صلاته بالمسجد فانه لم يكن يرجع الى قصره ،وانما من المسجد كان يعلن الجهاد ويذهب للغزو. فحدث انه كان فى مصلى

---

(١) : رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ،ص ١٧٤ - ١٧٥

(٢) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٥٤٠- ٥٤١م
— على محمد حموده : تاريخ الاندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى ،ص ٢٣١

يوم العيد فعزم على الجهاد وخرج بعد انصرافه من الصلاة الى الغزو فتتبعته الجيوش حيث لحقت به أولا فأول ، فلم يصل الى بلاد الأسبان المسيحيين الا وقد لحق به كامل جيشه ، وقد فتح الكثير من المدن والحصون المسيحية ، ووصل الى معاقل مسيحية حصينة كان قد تعذر على من قبله من حكام المسلمين في الأندلس فتحها [١].

وكان المنصور بن أبي عامر يرى ان غزوه للممالك النصرانية يدعم سلطانه في الدولة ويكسبه شرعية في الحكم ويرغب الناس في الأندلس في ميولهم وولائهم له . فكان محافظا على القيام بغزوتين في كل عام في الربيع والخريف ، وهي ما تسمى بالصوائف والشواتي [٢] ، ويقودها بنفسه ويعود منها منتصرا محملا بالأموال والسبي . كما قام بتوسيع دائرة الجيش ورتب للجند المعاشات الشهرية المغرية التي جعلتهم يواصلون بكنف المنصور ، اضافة الى منحهم المكافآت بعد كل غزوة [٣]. كما ان الأندلس لم تبلغ قط ما بلغته في عهد المنصور بن أبي عامر من القوة العسكرية المعدة للجهاد ، ولم تبلغ أيضا أسبانيا النصرانية ما بلغته في عهده من التمزق والضعف ، فقد ملأ المنصور الأندلس بالغنائم ومن السبي من بنات وأولاد ونساء ورجال الأسبان النصارى [٤].

---

(١) : الحميدى : جذوة المقتبس ،ص ٧٩
ــ على أدهم : منصور الأندلس ،ص ١٢٣

(٢) : أحمد العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ،ص ٢٤٧

(٣) : البتنوني : رحلة الأندلس ،ص ٦٩

(٤) : الضبي : بغية الملتمس ، ص ١١٦
ــ عنان : تراجم اسلامية ،ص ٢٠٨

ويشير بعض المؤرخين في العصر الحديث الى ان من العوامل التي ساعدت المنصور بن أبي عامر في انتصاراته في غزواته على الممالك النصرانية المسيحية ،وانتصاراته في المغرب الاقصى ، هي انتقال مقر الخلافة الفاطمية الى القاهرة سنة ٣٦٢ هـ حيث أصبحت بعيدة عن التدخل في شئون المغرب الاقصى ، وبذلك سنحت للمنصور القيام بالكثير من الغزوات على المسيحيين . وكذلك ساعدته المنازعات الداخلية بين الممالك النصرانية في شمال أسبانيا في انتصاراته عليهم . ولكن على الرغم من هذه المنازعات بين الممالك النصرانية فقد التقى المنصور في أكثر من غزوة بملوك النصارى مجتمعين في تحالف مسيحي ضده ، ومع ذلك كان ينتصر عليهم في حروبه معهم (١) . فقد كانت خطته في الجهاد تأخذ طابع الهجوم وانتزاع المبادرة من أعدائه النصارى الذين ارغموا بدورهم على تغيير استراتيجيتهم العسكرية من الهجوم الى الدفاع ،وذلك ما لم يكن له مثيل في العهود السابقة حتى عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر (٢) .

وللمنصور بن ابي عامر شعر في غزواته على بلاد المسيحيين ، منه :

لم ترني بعت الاقامة بالسرى	ولين الحشايا بالخيول الضوامر
تبدلت بعد الزعفران وطيبه	صدا الدروع من مستحكمات المسامير
اروني فتى يحمي حماي وموقفي	اذا اشتجر الاقران بين العساكر
انا الحاجب المنصور من آل عامر	بسيف أقدم السهام تحت المغافر
فلا تحسبوا أني شغلت بغيركم	ولكن عهدت الله في قتل كافر (٣)

(١) : علي محمد حموده : المرجع السابق ،ص ٢٣٢

(٢) : ابراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا ،ص ٣٣٩- ٣٤٠

(٣) : ابن الابار: الحلة السيراء ،جـ ١ ،ص ٢٧٦

ويصف ابن الأبار غزوات المنصور بن ابي عامر لبلاد النصارى بقوله : " هو بقوة نفسه وسعادة جده ، يعد النصر ولا يتمرى في الظهور ، ويستعجل الأسباب المعينة على الفتح ، حتى أسعف ولقى العدو فهزمه . ووالى غزو بلاد الروم عالى القدم ، منصور العلم ، لا يخفق له مسعى ولا يؤوب دون مغنم – كرة بعد أخرى – الى ان صار صاحب التدبير ، المتغلب على جميع الأمور ، حتى أذعن له ملوك الروم فرغبوا في مصاهرته " (١) .

كما يصفه ابن عذارى نقلا عن ابن حيان بقوله :

" تمرس المنصور ببلاد الشرك أعظم تمرس ومحا من طواغيتها كل تعجرف وتغطرس ، وغادرهم صرعى البقاع ، وتركهم أذل من وتد بقاع ، ووالى على بلادهم الوقائع ، وسدد الى أكبادهم سهام الفجائع وأغص بالحمام أرواحهم ، ونغص بتلك الآلام بكورهم وأرواحهم " (٢) .

---

(١) : ابن الآبار : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ (نقلا عن ابن حيان) .

الغزوات ضد مملكة ليون :-

استغل ملك ليون ردمير الثالث (٣٥٥ - ٣٧٢ هـ / ٩٦٦ - ٩٨٢م) انشغال أهل الأندلس بعد موت الخليفه الحكم المستنصر وتولية ابنه الطفل هشام المؤيد الخلافة فزحفت جيوشه ومن ساندها من أهل قشتالة ، فغاروا على قلعة رباح بالثغر الأعلى لحدود الأندلس ، وعاثوا فيها وقتلوا عددا من أهلها المسلمين . وتقدمت جيوشهم فواصلت زحفها على مدن الأندلس . فصرخ أهل الثغر الأعلى مستنجدين بالحاجب جعفر المصحفى القائم بامر دولة الأندلس فى بداية عهد الخليفه هشام المؤيد بالله . وذلك لنصرتهم على جيوش ليون والقشتاليين ، الا أن الحاجب جعفر رغم توافر أعداد كبيرة من جيش الأندلس ورغم وفرة الأموال فى خزائن الدولة وقتها قد دخله الخوف والجبن من مواجهة جيوش النصارى ، فأشار الى أهل قلعة رباح بقطع سد نهر آنه لعمقه وسوء دجلته ، وذلك لحجز العدو من العبور اليهم ، حيث لم تتسع حيلته لأكثر من ذلك . وقد كان ذلك مما أخذ على الحاجب جعفر .(١)

وقد أشار عليه محمد بن أبى عامر بتجهيز جيش واستئناف الجهاد لصد عدوان النصارى على بلاد المسلمين ، وكان المنصور قد أنف تخاذل جعفر المصحفى فى نصرة أهل الثغر وأبدى أستعداده لقيادة الجيش .(٢) فجهز الحاجب جعفر جيشا بقيادة محمد بن أبى عامر الذى خرج

---

(١) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ م١ ص ٤٤ - ٤٥

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦٤

— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨

علـى رأس هذا الجيش من قرطبة فى الثالث من شهر رجب سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٧م مستهدفـا أراضى ليون وقشتالة ، فحاصـــر حصن الحامة فى جليقية (١) . وأنزل به ضربة قوية وفتـح ربضه الذى بناه رد مير الثالـــث (٢) . وكان ذلك الهجوم ردا على هجـوم ملك ليون على قلعـة رباح . وعاد بن أبى عامـــر الى قرطبة منتصـــرا ومحملا بالغنائـم والسبى ، وذلك بعـــد ثلاثة وخمسين يوما من خروجـه للغـــزو ، وهى الغزوة الأولى له . وكان لهذه الغزوة صدى أرتياح لدى أهل الأندلس ، حيث انها أتت بنتائج حسنة ، منها ارتداد جيوش ليون وقشتالـة الى بلادهم منهزمين ، ولم يجروءا بعدها على غزو بلاد المسلمين فى الأندلس على عهـــد المنصـــور بن أبى عامـــر ، وكذلك كشفت هذه الغزوة عن مواهب المنصور بن أبى عامـــر العسكرية وقدرته الفائقـــة فـــى القتال ، ومن ثم بدأ نجمـــه يظهـــر فى الأندلس (٣) .

ولم يمض وقت قصير على عودة المنصور بن أبى عامـــر من غزوتـــه الأولـــى حـــتى استعـــد للخـــروج لغـــزو أراضـــى ليـــون فى غزوته الثانية . فخرج من قرطبة يوم عيد الفطـر سنة ٣٦٦ هـ / مايو سنة ٩٧٧م ، واجتمـــع مع غالب قائد الثغـــر الأعلى الأندلسى فـــى مدينة مجريط (مدريد) على طريق وادى الحجارة (٤) ، ثم اخترق الجيشان أراضى ليون فاستوليا على حصن

(١) : حصن الحامة : مكانه اليوم محلة تسمى بالأسبانية " لوس بانيوس " (Los Banos)
أى الحمامات ، وهى على مسافة بعيدة من سلمنقة (ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٦٠) .

(٢) : ابن الخطيب : نفس المصدر ، ق ٢ ، ص ٦٠
— ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ٤٥

(٣) : انيس النصولى : الدولة الأموية فى قرطبة ، ج ١ ، ص ١٢٨ - ١٢٩

(٤) : وادى الحجـارة : على بعد مسافة ٥٧ كم من مدريـد (شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج ٢ ، ص ٦٩ - ٧٠) .

مولة ، وغنموا كثيرا من العتاد والسبي .(١) وكان جيش غالب في هذه الغزوة متفوقا في القتال ، الآن غالب نسب هذا النصر الى المنصور بن أبي عامر . وفي هذه الغزوة تحالف المنصور بن أبي عامر مع غالب قائد الثغر الأندلسي للاطاحة بالحاجب جعفر المصحفي فعاد غالب بجيشه الى الثغر الأعلى ، وقفل المنصور راجعا الى قرطبة منتصرا ، فأزدادت شهرته ، وأصبح له نفوذ قوي لدى الخليفة هشام المؤيد بالله .(٢)

وقام المنصور بن أبي عامر بأعداد الجيش وتجهيزه ، وخرج في غزوته الثالثة في بداية شهر صفر سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م ، قاصدا طليطلة واجتمع فيها مع صهره غالب قائد الثغر الأعلى . فسار الأثنان بجيشهما فاقتحما حصن المال وحصن زنبق ، وفتح مدينة سلمنقة الواقعة جنوب غرب مملكة ليون وعاثا في أرباضها(٣) واستوليا على كثير من السبي والغنائم ، ثم عاد المنصور الى قرطبة بعد أربعة وثلاثين يوما من خروجه منها ، ومعه عدد كبير من رؤوس النصارى ، فأعجب به الخليفة هشام ورفعه الى خطة الوزارتين أسوة بصهره غالب ، ورفع راتبه الى ثمانين دينارا في الشهر وذلك تقديرا لأنتصاراته على النصارى ، وهذا الراتب هو راتب الحاجب في ذلك العصر .(٤)

ومن أهم غزوات المنصور بن أبي عامر ، غزوته الرابعة ، حيث سار بجيشه الى مملكة ليون النصرانية لمعاقبة ملكها ردمير الثالث على مساعدته لخصمه القائد غالب . وتقدمت جيوش المنصور فحاصرت سمورة الواقعة

(١) : ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦
-DOZY:OP.cit.,PP 476-477
(٢) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٢٨
(٣) : ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٦٧
(٤) : عنان : نفس المرجع ، ص ٥٢٩

شمال سلمنقة وذلك في شهر صفر سنة ٣٧١ هـ / يولية سنة ٩٨١م ، فهزم ملكها ردمير الثالث وهدمها واستباحها لجيشه . وقتل في هذه الغزوة أعدادا كبيرة من النصارى وأسر من المسيحيين عددا كبيرا . كما هدم المنصور قرى مسيحية في هذه الغزوة ، وعاد راجعا الى قرطبة بعد ان كسب أموالا وسلاحا وأسرى من هذه الغزوة .(١)

وبعد هزيمة ملك ليون ردمير الثالث في هذه الغزوة سار الى غرسية فرناند كونت قشتالة ودخل معه في تحالف وانضم اليهم فيه ملك نبرة شانجة بن غرسية المعروف بسانشو أباركا (SANCHO ABARKA) وبذلك عقد ملوك المسيحية الثلاثة تحالفا لمحاربة المنصور. ولما علم المنصور بذلك ، خرج للغزو فسار الى طليطلة ، ووصل الى وادى دويرة الأوسط حيث كانت تقيم فيه جموع جيوش التحالف النصراني ، ونشب القتال بينه وبين ملوك التحالف المسيحي في ظاهر بلدة روضه (RUEDA) في شهر أغسطس سنة ٩٨١م في مقاطعة بلد الوليد على بعد خمسة وعشرين كيلو مترا من جنوب غربي شنت منكش . ودارت هناك معارك عنيفة بين الجيش الاسلامي الاندلسي والجيش الاسباني المسيحي كتب النصر فيها لجيش المسلمين ، وهزم جيش التحالف الثلاثي المسيحي ، وقتل منه عدد كبير ، واستولى المسلمون على قلعة شنت منكش ، وأسر المنصور بن أبي عامر في تلك الغزوة ما يقرب من عشرة آلاف أسير نصراني .(٢)

ثم عاد المنصور الى غزو مدينة ليون وذلك في ربيع الأول سنة

---

(١) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٦٦ - ٦٧

(٢) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، ص ٣٣١ - ٣٣٢

٣٧٢ هـ / سبتمبر سنة ٩٨٢م . وحاول راميرو الثالث ملك ليون على رأس قوة من جيش ليون أعتراض المنصور ومنعه من دخول المدينة ، ولكنه لم يستطع مقاومة المنصور ، حيث هجم المسلمون على أبواب مدينة ليون ، ولكنهم لم يتمكنوا من فتحها وذلك لدخول الشتاء عليهم وكان قاسيا في هذا الفصل ، مما جعل المنصور يعدل عن فتح مدينة ليون ، ويعود بجيشه الى قرطبة منتصرا على التحالف المسيحي ضده . وبعد هذه الغزوة تلقب بالمنصور (١)

وبعد عودة المنصور بن أبي عامر من غزوة ليون ، ساءت الأحوال الداخلية في مملكة ليون ، وذلك لكثرة هزائم ملكها رامير الثالث. فقد قامت ضده ثورة في جليقية أهم ولايات مملكته حيث هزمهم برمود الثاني (٣٧٢ - ٣٨٩ هـ / ٩٨٢ - ٩٩٩م) - ابن عمه - عندئذ فر راميرو الثالث الى استرقة ، والتمس مساعدة المنصور بن أبي عامر ، الا انه توفي في عام ٣٧٤ هـ / يونيه ٩٨٤ م ، فحاولت أمه ان تحكم البلاد بمساعدة المنصور ابن أبي عامر ، ولكن المنصور رفض مساعدتها ، وعند ذلك أدرك برمود انه لا يستطيع وحده أخضاع النبلاء النصارى الذين رفضوا الاعتراف بحكمه على عرش مملكة ليون . لذلك لجأ الى المنصور بن أبي عامر ووضع نفسه تحت حماية المنصور الذى ساعده على مقاومة بعض نبلاء ليون . وأبقى المنصور حامية كبيرة من الجيش الاسلامي في ليون ، كما وافق برمود على دفع جزية سنوية للمنصور ، وبذلك أصبحت مملكة ليون أول مملكة نصرانية تابعة للدولة العامرية الاسلامية في الاندلس وتتقيد بأوامرها . (٢)

---

(١) : ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ٣٤٠

(٢) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٤٢

لم يدم السلم طويلا بين المنصور بن أبي عامر وملك ليون برمود الثاني . وذلك بعد ان ترك المنصور حامية من الجيش الاسلامي في مملكة ليون النصرانية في حملته سنة ٣٧٤ هـ / ٩٨٤م ، اذ أنه لم تستقر الأحوال في مملكة ليون نظرا لما كان يحدث من شغب مستمر بين الحامية الاسلامية فيها والنصارى . فلما استتب لبرمود الثاني أمر مملكة ليون أخذ يترقب الفرصة لاخراج الحامية الاسلامية من ليون ، فتم له ذلك ، حيث أعد جيشا من النصارى استطاع بفضله طرد المسلمين الى خارج حدود مملكته ، وعند ما علم المنصور بن أبي عامر بخبر طرد الحامية الاسلامية من ليون ، قام بأعداد الجيش وتأهب لغزو مملكة ليون ، وذلك ردا على طرد المسلمين منها فاتجه شمالا مخترقا أراضي ليون ، وسار غربا الى مدينة قلمرية الواقعة شمال البرتغال وهي على مقربة من المحيط ، فاستولى عليها في سنة ٣٧٧ هـ/ ٩٨٧م ، ثم دمرها حتى أصبحت قاعا صفصفا مدى سبع سنوات .

وفي العام التالي (٣٧٨ هـ / ٩٨٨م) عاد المنصور لغزو ليون حيث خرج في ربيع هذا العام في جيش ضخم عبر به نهر دويرة وأخترق أراضي ليون . وعند ما سمع برمود الثاني ملك ليون بوصول المنصور على رأس جيشه ، رابط بقواته في سمورة (١) اعتقادا منه ان المنصور سيبدأ بالهجوم عليها . ولكن المنصور اتجه رأسا الى مدينة ليون فقاومته حينا لمناعتها ، الا انه استطاع اختراق أسوارها بعد قتال عنيف ، وقد قتل في هذه المعركه قائد مدينة ليون الكونت جونز الفو كنتثالث ، ودخلها المسلمون فخربوها وقتلوا معظم من فيها ، وتركها المنصور أطلالا . ثم اتجه

(١) : مدينة سمورة : تقع على هضبة عالية يجري تحتها الوادي الجوفي ، وقد استولى عليها العرب في عهد عبد الرحمن الداخل وسكنها المسلمون ، وبعد موت الحكم المستنصر استرجعها النصارى الى ان جاء المنصور بن ابي عامر فاستولى عليها سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨م . (شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، جـ ٢ ، ص ٥٧) .

الى سمورة ، وفى طريقه اليها أحرق عددا من الأديرة المسيحية منها دير اسلونزا ، وسهاجون العظيمين ، وحاصر سمورة مما اضطر برمود الى مغادرتها سرا ، وقام سكانها بتسليم المدينة الى المنصور بن أبى عامر الذى أمر بنهبها معاقبة لأهلها على حمايتهم لبرمود الثانى ملك ليون ، كما اضطر معظم نبلاء مملكة ليون الى الاعتراف بسيادة المنصور بن أبى عامر عليهم ، وبذلك لم يبق فى حوزة برمود الثانى من مملكته سوى الرقعة الجبلية الشمالية الغربية من جليقية (١) .

ظل السلام قائما على الجبهة الليونية الأندلسية ، كما استطاع برمود الثانى بعد فترة طويلة اخضاع مملكة ليون لحكمه . واستمر الهدوء على مملكة ليون حتى خريف عام ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م حيث اكتشف المنصور مؤامرة ابنه عبد الله وعبد الله بن عبد العزيز المروانى للاطاحة به . وكان عبد الله بن المنصور قد فر الى قشتالة ، وفر عبد الله بن عبد العزيز المروانى الى برمود الثانى ملك ليون الذى منحه الحماية . وكان برمود الثانى قد ساءت أحواله فى ليون ، حيث أصبح النبلاء الاقطاعيون مسيطريين على سائر أراضى ليون وضياعها . ولم يبق لبرمود الثانى سوى الاسم فقط ، فاضطر الى مغادرة ليون الى استرقة وجعلها عاصمة لملكه . فغزاها المنصور فى تلك السنه وتقابل مع برمود الثانى فى استرقة ، ونشبت بينهما معارك قتالية ، هزم فيها برمود الثانى ، وطلب الصلح والسلم مع المنصور ، وسلمه عبد الله بن عبد العزيز المروانى ، وتعهد بدفع الجزية

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٤٧ - ٥٤٨
— على أدهم : منصور الأندلس ، ص ٩٣

للمنصور . واستمر المنصور مواصلا غزواته ،فاستولى على مدينة سمورة ، واسكن بها المسلمين ، وولى عليها أبو الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبى عاملا له عليها .(١)

أما أشهر غزوات المنصور بن أبي عامر على الاطلاق فهي غزوة شنت ياقب . حيث أعد لها جيشا ضخما مزودا بالسفن الحربية . ومدينة شنت ياقب ، قاصية غليسية ، وأعظم مشاهد النصارى الكائنة بأسبانيا ، وما يتصل بها من الأرض الكبيرة (٢) . وهذه الغزوة هى غزوته الثامنة والأربعون . وعزم المنصور أولا السير الى جليقية ،وهى منطقة فى قاصية أسبانيا الغربية وتعتبر لنأيها ووعورتها أمنع مناطق أسبانيا النصرانية وأبعدها عن متناول الفاتحين ، ولم يفكر أحد من المسلمين الفاتحين منذ أيام طارق بن زياد ان يقصد تلك المنطقة الجبلية الوعرة ، لما يعترض الوصول اليها من صعاب هائلة .

ولكن المنصور قرر ان يغزو جليقية لسببين ، الأول انها كانت ملاذا وملجأ لملوك ليون يلجأون اليها كلما أرهقتهم الغزوات الاسلامية . والسبب الثانى انها كانت مستقرا لمدينة شنت ياقب الدينية ، وكنيستها (عظمى) أسبانيا النصرانية ومزارها المقدس ، ورمز علاقاتها الروحية .(٣) واليها يحجون من أقصى بلاد رومة وما ورائها ، ويزعمون ان القبر المزار فيها قبر ياقب (يعقوب) أحد الحواريين الاثنى عشر ،وكان أخصهم بعيسى عليه السلام،

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ،ج ٢ ، ص ٢٨٩
ـــ عنان : المرجع السابق ، ص ٥٥٢
(٢) : أى بلاد الغال
(٣) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٥٩

وهم يسمونه أخاه للزومة أياه ، وقد زعم جماعة منهم انه ابن يوسف النجار. ومدينة شنت ياقب (أى القديس يعقوب) بها مدفن ياقب ، وياقب بلسانهم يعقوب ، وكان أسقفا ببيت المقدس ، فجعل يستقرى الأرضين داعيا لمن فيها ، فجاز الأندلس حتى انتهى الى هذه القاصية المسماه بشنت ياقب ، ثم عاد الى أرض الشام ، فقتل بها ، وله من العمر مائة وعشرون سنة ، فحمل أصحابه جثته ودفنوها بهذه الكنيسة التى كانت أقصى أثره ، ولم يطمع أحد من ملوك وأمراء الاسلام فى الأندلس فى قصدها ولاء الوصول اليها لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها وبعد شقتها.(١) وبعد دفن يعقوب أقاموا على قبره تلك الكنيسة العظيمة التى يحجون اليها من جميع أنحاء العالم المسيحى ، ولا تزال مدينة شنت ياقب هى القاعدة الدينية للأسبان. والأساطير الأسبانية القديمة تشير الى ان شنت ياقب كان يخرج للجنود المحاربين الأسبان على شكل ملاك بيده سيف ويمتطى فرسا أبيض ، ثم يأخذ فى معاونتهم على قتال المسلمين فى المعركة حتى يكتب لهم النصر ، ولذلك أطلق عليه الأسبان Matamoros أي (قاتل المسلمين) . وعلى الرغم من ان بعض المؤرخين الأسبان المحدثين قد أبدوا شكا كبيرا فى ان شنت ياقب مدفون فى اسبانيا ، الآن الأسبان فى العصر الوسيط قد آمنوا بهذا القديس وبمعجزاته وأتخذوه رمزا قوميا فى حروبهم مع المسلمين . وعلى هذا الأساس كانت نظرة الأسبان الى شنت ياقب تخالف بعض الشيء نظرة العالم المسيحى له ، فالأوربيون بصفة عامة ينظرون اليه على انه القديس الذى يحجون اليه أما الأسبان فينظرون اليه على انه شنت ياقب الملاك المحارب(٢) .

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٤
— ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٦٧-٦٨
2-JAN READ: OP. cit., PP 89-91

ومن هنا ندرك حرص المنصور بن أبي عامر في هذه الغزوة على الوصول الى كنيسة شنت ياقب (سنتياجو) وهدمها ، وكان غرضه بدون شك هو تحطيم الأسطورة الحربية لشنت ياقب المزعوم ، وطعن الأسبان في صميم زعامتهم الدينية والقومية (١) .

فخرج المنصور بن أبي عامر لهذه الغزوة في الثالث والعشرين من جمادى الثانية سنة ٣٨٧ هـ / ٣ يوليه سنة ٩٩٧م ، على رأس جيش عظيم من رجال الأندلس ، ودخل مدينة قورية وواصل زحفه الى مدينة غلسية ، حيث وفد عليه عدد كبير من القوامس (الكونتات) المتمسكين بطاعته فصاروا في عسكر المسلمين يجاهدون معه في هذه الغزوة ، ثم تحرك المنصور بن أبي عامر على رأس هذا الجيش . وفي الوقت نفسه تحرك الأسطول البحري الأندلسي الذي أعده المنصور لهذه الغزوة الكبرى من مرساه أمام قصر أبي دانس على ساحل الأندلس الغربي ، مجهزا برجاله البحريين وصفوف المشاة ، والأقوات والأسلحة التي ملأه بها استظهارا على نفوذ العزيمة (٢) . فخرج المنصور الى موضع برتقال على نهر دويرة ، فدخل في النهر الى المكان الذي أعده للعبور منه ، فعقد هناك من هذا الأسطول جسرا بقرب الحصن الذي هناك ، ووزع المنصور ما كان فيه من الميرة على الجند ، فتوسعوا في التزود منه الى أرض العدو ، ثم تابع سيره قاصدا شنت ياقب فوصل الى بسائط جليلة من بلاد فلطاريش ومباسيطه والدير وما يتصل بها ، ثم أفضى الى جبل

(١) : أحمد العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩

(٢) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢١٧

شامخ شديد الوعورة لا مسلك فيه ، ولا طريق ، ولم تهتد الأدلاء الى سواه ، فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه ، فقطعه الجيش وعبروا بعده وادى منية ، وساروا فى بسائط عريضة ، وقصدوا دير قسطان وبسيط بلبنوط على البحر المحيط ، وفتحوا حصن شنت بلاية ، وعبروا الى جزيرة من جزر البحر المحيط ، لجأ اليها خلق عظيم من أهل تلك النواحى من النصارى ، واسر المسلمون من فيها ممن لجأ اليها (١) .

وواصل المنصور بجيشه مسيرته الى جبل مراسية المتصل من أكثر جهاته بالبحر المحيط ، فتخللوا أقطاره ، وأخرجوا من كان فيه ، وغنموا منه غنائم كثيرة ، ثم أجتاز المسلمون بعد ذلك خليج اورقى فى معبرين أرشد الأدلاء اليهما ، ثم الى نهر أيلة ، ثم دخلوا بعدها فى بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة ، منها بسيط أوبنة وقرجيلة ودير شنت برية ، ثم انتهوا الى خليج ايلياء ، وهو من مشاهد ياقب صاحب القبر ، يتلو مشهد قبره عند النصارى فى الفضل ، يقصده نساكهم من أقاصى بلادهم ، ومن بلاد النوبة وبلاد القبط وغيرها ، فغادره المسلمون قاعا (٢) . وأشرف المسلمون على مدينة شنت ياقب فى يوم الأربعاء من شهر شعبان سنة ٣٨٧ هـ / ١١ أغسطس سنة ٩٩٧م ، فوجدوها خالية من أهلها وكانوا قد غادروها حين أقترب المنصور بجيشه منها . فدخلها المسلمون وأستولوا على غنائم ضخمة فيها ، وهدموا أسوارها ومصانعها وكنيستها العظمى ، وأستولوا على سائر ما فيها من الذخائر والتحف ، وأمر

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٥
ـ على أدهم : منصور الأندلس ، ص ١٢٣ - ١٢٦ -JAN READ: OP. cit., P 89

(٢) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٣٣٢
ـ شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، جـ ٢ ، ص ٦٥ - ٦٦

المنصور بصون قبر القديس ياقب القائم وسط الكنيسة ، والمحافظة عليه .
ولم يجد المنصور في الكنيسة سوى رجل واحد من شيوخ الرهبان
جالسا عند القبر ، فسأله المنصور عن مقامه ، فأجابه الراهب بقوله :
أونس يعقوب . فتركه وأمر بالكف عنه . واستمر المنصور في زحفه على
بلاد النصارى فوصل جزيرة شنت مانكش منقطع هذا الصقع على البحر المحيط ،
وهي غاية لم يبلغها قبله أي مسلم ، ولا وطأها لغير أهلها قدم ،
فلم يكن بعدها للخيل ولا وراءها انتقال .(١)

وأخذ المسلمون أبواب كنيسة شنت ياقب ونواقيسها وأجراسها(٢) وحملها
أسرى النصارى على رؤوسهم حتى وصلوا بها قرطبة ، حيث وضعت الأبواب
فيما بعد في سقف الزيادة التي أنشأها المنصور في المسجد الجامع
بقرطبة ، وعلقت النواقيس ثريات للمسجد(٣) ، كما أستخدمت أجراس الكنيسة
مشاعل ينيرون بها على منازلهم ، ولم يعرف عهد في تاريخ الأندلس -
اذا استثنينا عهد عبد الرحمن الناصر - تألق فيه نجم الأسلام
كما تألق في عهد المنصور بن أبي عامر مؤسس الدولة العامرية في الأندلس(٤)

وقد نظم الشاعر بن دراج القسطلي في تهنئة للمنصور
بغزو شنت ياقب قصيدة مطولة مطلعها :

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٦
(٢) : يقول جان ريد : انه عند ما سقطت قرطبة في أيدى المسيحيين الأسبان ، أعيدت هذه الأجراس مرة أخرى الى كنيسة شنت ياقب : أنظر
-JAN READ:OP.CIT.,P91
(٣) : أحمد العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٤٩
(٤) : فليب حتى : تاريخ العرب ، جـ ٢ ، ص ٦٣٤ - ٦٣٥

اليوم أنكص ابليس على عقبه | مبرءا سبب الغاوين من سببه
واستيقنت شيع الكفار حيث نأت | في الشرق والغرب ان الشرك من كذبه
بشنتاقة لما ان دلفت له | بالبيض كابد ريسرى في سنا شهبه
وجلة الدين والاسلام عاطفة | عليك كالفلك الجارى على قطبه [١] .

ولم يلبث ان مات برمود الثانى ملك ليون عام ٣٨٩ هـ / ٩٩٩م وترك طفلا صغيرا يسمى الفونس الخامس الذى قام الصراع بين النبلاء على الوصاية عليه . وبتولية الفونس الخامس الطفل عرش مملكة ليون انتقل مركز الثقل السياسى الى قشتاله التى أصبح بلاطها أقوى البلاطات فى شمال أسبانيا النصرانية فى ذلك الوقت . ومن جهة ثانية لم يلبث ان مات المنصور بن أبى عامر سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠٢ م ، فتنفس ملوك النصارى جميعا الصعداء لانهم كانوا يكرهونه من أعماق قلوبهم وذلك لما سبب لهم من غزو وتخريب بلادهم وقتل وسبى الكثير من الاسبان النصارى [٢] .

وتولى بعده حكم الاندلس ابنه عبد الملك (٣٩٢- ٣٩٩هـ) . الذى واصل سياسة أبيه فى غزو بلاد النصارى ، التى كانت قد نقضت عهد الصلح الذى أبرمته مع أبيه ، فغزاهم عبد الملك أثناء حكمه للاندلس سبع غزوات [٣] .

وأول ما قام به عبد الملك بعد توليته مقاليد الحكم فى الاندلس أن وطد الأمن والاستقرار ، ثم قام بأعداد الجيش الاندلسى لمواصلة غزوات أبيه فى الممالك النصرانية ، حيث كانت تأتيه أخبار الثغور عن خروج

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٥٦١
(٢) : ابن بسام : الذخيرة ،ق٤ ،ص ٦٤ - ٦٥
(٣) : ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٣ ،ص ٤
— السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٣٦

بعض ملوك النصارى من السلم الذى عقدوه مع أبيه .(١)

وكان عبد الملك قد عقد صلحا فى سنة ٣٩٣ هـ مع كونت قشتاله سانشو غرسية الذى كان دافعه الى عقد هذا الصلح كراهيته الشديدة لكونت جليقية الذى فاز بالوصاية على الفونسو الخامس ملك ليون الطفل . وفى سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٥ م جرد عبد الملك حملة لغزو ليون ، ولما وصل الى طليطلة لحق به الفتى واضح على رأس قواته ، وايضا سانشو غرسية فى بعض قواته القشتاليين . ومن طليطلة سار عبد الملك بجيشه شمالا نحو أراضى ليون ، وبعث فتاه واضح فى جيشه الى سمورة ففتحها ، وكانت قد خربت فى عهد المنصور . وواصل عبد الملك زحفه الى جليقية والى جانبه كونت قشتاله سانشو غرسية ، وفى طريقه اليها أقتحم أراضى بني غومس ، ودمر القرى والمدن التابعة الى مملكة ليون وأهمها بلدة لونة الحصينة . وقد استولى عبد الملك فى هذه الغزوة على كثير من الغنائم والسبى ، وعاد بعدها الى مدينة الزاهرة عاصمة الدولة العامرية .(٢)

وفى سنة ٣٩٩ هـ مات عبد الملك وتولى بعده حكم الدولة العامرية أخوه عبد الرحمن المعروف بشنجول الذى لم يكن فى مقدرة أخيه أو كفاءة أبيه . وقد ارتكب عبد الرحمن غلطة العمر عندما أجبر الخليفة هشام المؤيد بالله على تعيينه وليا للعهد ، فأثار بذلك الأمويين وعامة أهل الأندلس .

---

(١) : ابن بسام المصدر السابق ، ق ٤ ، ص ٦٣- ٦٤

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١١ - ١٢
— علي محمد حموده : تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ، ص ٢٣٤-٢٣٥

وكانت غزوة عبد الرحمن في جليقية أول وآخر غزوة له أثناء حكمه للأندلس . وقد توغل في جليقية ، ولكن جيشها لم يتقدم للقائه وأوقف زحفه بعد أن اكتفى كونت جليقية باعتصامه بالجبال القريبة من جليقية ، ولم ينقذه من أيدى القوات الاسلامية الا أنباء الثورة التى قامت فى قرطبة ضد عبد الرحمن وضد الخليفة هشام المؤيد بالله ، الأمر الذى أجبر عبد الرحمن على العودة الى قرطبة . وهناك قتل ثم صلب على أحد أبواب قرطبة سنة ٣٩٩هـ ، وبمقتله أنتهت الدولة العامرية (١) .

الغزوات ضد مملكة نبرة

فى أثناء غزوة المنصور لمملكة ليون سنة ٣٧٨ هـ / يونيه سنة ٩٨٧م قام البشكنس (النافاريون) بقيادة ملكهم سانشو بالاغارة على أراضى الثغر الشمالى للأندلس ، فعاد المنصور لقتالهم ، وزحف الى مدينة بنبلونة عاصمة مملكة نبرة . وهنا تقول الروايات النصرانية ان البشكنس هاجموا المسلمين ثم انتصروا عليهم فى آخر هذه السنة . وتضيف هذه الروايات الى ذلك ان جيشا من الفرنسيين سار فى نفس الوقت الى برشلونة تعززه السفن من البحر ، فأستولى عليها من المسلمين . وسنرى فيما بعد ان المنصور عندما غزا برشلونة لم يكن يقصد الأحتفاظ بها ، وانما أكتفى بتأديب كونتها بأن خربها وأحرقها .

الا ان الرواية الاسلامية تحدثنا عن غزوة المنصور بن أبى عامر هذه لمملكة نبرة النصرانية دون ان تشير أية أشارة الى هزيمة المسلمين فيها .

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٩
— ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، المجلد الثامن ، ص ٦٧٩

وهذه الغزوة تسمى بغزوة البياض ، وقد حدثت سنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩م عاد بعدها المنصور ابن أبي عامر بجيشه الى سرقسطه حيث التقى بولده عبد الملك أثر عودته منتصرا من حروبه في المغرب الاقصى .(١)

وواصل المنصور بن أبي عامر الجهاد . وكانت له في كل غزوة من غزواته التي تزيد عن الخمسين غزوة مفخرة من المفاخر الاسلامية . ومن أمثلة ذلك الدالة على قوة بأسه وشدة مهابته في قلوب النصارى انه حدث في أحدى غزواته ان أحد الجند في جيشه نسي رأيته مركوزة على جبل بقرب أحدى مدن النصارى ، فبقيت عدة أيام . وكان النصارى يعتقدون ان المنصور لا زال مقيما بجيشه خلف الجبل ، فلم يجروءوا على الاقتراب من المكان الذى نصبت عليه الراية ، وهذه مفخرة من مفاخر أهل التوحيد على أهل الشرك النصارى .(٢)

ومن مفاخره ايضا انه في بعض غزواته على بلاد النصارى اجتاز بجيشه في طريق ضيق بين جبلين عظيمين في طريق بريد في بلاد الافرنج(٣) فأوغل في بلادهم وشن الغارات عليها ، فغنم وسبى منها الكثير ، وخرب أكثر مدنها النصرانية ، ولم يجروء أحد من الافرنج على لقائه . وعندما أراد الخروج من ذلك الممر ، رأى ان النصارى قد سدوا عليه الطريق الضيق الذى بين الجبلين ، وكان وقت شتاء ، ولما رأى المنصور ما عمله الافرنج ، قام فأظهر انه يريد المقام في بلادهم ، فأمر ببناء المنازل وزرع الأرض ، وبث السرايا لشن الغارات على المدن المجاورة من مكانه ، وغنمت

---

(١) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٤٧ ، ٥٤٨ .

(٢) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٥٩٥ - ٥٩٦

(٣) : أي الأسبان النصارى .

جيوشه كثيرا من المال والسلاح ، وقتل عددا كبيرا من الافرنج ، والقى جثثهم حتى سد بها مدخل الممر من جهته [١] .

وعند ما طال بقاء المنصور فى الممر ، بعث اليه الافرنج النصارى رسلهم لتفاوضه ، وتطلب الصلح معه على ان يخرج من بلادهم محملا بغنائمه وسبيه . فأجابهم المنصور بقوله : ان أصحابى أبوا ان يخرجوا ، وقالوا أننا رأينا ان الوقت لا يتسع للعودة الى قرطبة ، لأن موعد الغزوة التاليه أصبح قريبا ، لهذا عزمنا على الاقامة هذه الفتره القصيرة . ففزع الافرنج من بقاء المنصور وأحتلال المسلمين لبلادهم ، فواصلوا مفاوضاتهم مع المنصور [٢] . فطلب منهم ان يحملوا على دوابهم ما معه من الغنائم والسبى ، وان يمدوه بالميرة حتى يصل الى بلاده ، وان ينحوا له جيف قتلاهم عن طريقه بأنفسهم ، فوافقوا على طلبه ، وعاد الى قرطبة محملا بالأموال والسبى . وكان المنصور لا يعود من غزوة الا ويستعد لتجهيز غزوة أخرى . ومن أخباره أثناء عودته من هذه الغزوة ان لقيته أمرأة وشكت اليه ان لها أبنا أسيرا فى بلاد الافرنج ،وعرفته بأسم تلك البلاد فطمأنها المنصور ، وأعد جيشا لغزو تلك البلاد المسيحية ، وأطلق سراح أسرى المسلمين منها [٣] .

وتولى عرش مملكة نبرة بعد وفاة شانجة إبنه غرسية (٣٨٤ - ٣٩٠ هـ / ٩٩٤ - ١٠٠٠ م) . ولم يكن هذا الملك فى مقدرة أبيه فقد أطلقت عليه الروايات النصرانية لقب غرسية المرتعد . ولم يحاول هذا الملك ان يرفع

---

(١) : ابن الاثير : المصدر السابق ، المجلد الثامن ،ص ٦٧٨
(٢) : لين بول : قصة العرب فى أسبانيا ،ص ١٥٠ - ١٥٢
(٣) : المقرى : المصدر السابق ، ج ١ ،ص ٥٩٧

راية العصيان على المنصور بن أبى عامر ، واكتفى بأن أقام معه ومع جيرانه من أمراء قشتاله علاقات الصداقة والسلم.(١)

ولم تمض فتره حتى توفى غرسية ملك نبرة وتولى الملك من بعده أبنه الصغير المسمى شانجة الأول (٣٩٠- ٤٢٩ هـ / ١٠٠٠ - ١٠٣٩ م) ، وكان قد رحل مع امه الى برغش عاصمة قشتاله وتربى هناك . وبعد سنتين توفى المنصور ، وخلفه على حكم الأندلس ابنه عبد الملك . وفى سنة ٣٩٦ هـ /١٠٠٦م قام عبد الملك بغزوته الرابعة لمملكة نبره.وقد خرج من الزاهرة يوم الجمعة ١٢ شوال قاصدا بنبلونة عاصمة نبره ، وبدأ بالاغارة على بسيط حصن بنيونش ، وشنت يوانش ، وعاث جيش المسلمين فى أراضى نبره وقتل عددا كبيرا فيها ، وكتب الله النصر لعبد الملك . وبينما كان عبد الملك يواصل الغزو فى هذه الغزوه انقضت على المسلمين عاصفة رعد وبرق ومطر غزير ، تخللها قصف ورعد مفزع وبرد شديد قارس ، ألبست المسلمين خشوعا واستكانة ، فدعوا الله ضارعين فى كشف ما بهم ، والا يشمت بهم عدوهم وعدو الاسلام ، فاستجاب الله لدعائهم ورحم تضرعهم ونشر رحمته عليهم فى هذه الغزوة ، فعادوا الى بلادهم وهم منتصرون على عدوهم .(٢)

ولم يسفر هذا الصراع الطويل بين مملكة نبره وبين حكام الدولة العامرية فى الأندلس ومن قبلهم الأمويين فى القرن الرابع الهجرى ، الا عن تدمير شامل للعاصمة بنبلونة ولكثير من المدن والحصون فى مملكة نبرة وصارت نبرة مملكة خاضعة لحكومة قرطبة طوال القرن الرابع الهجرى.(٣)

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٤٤
(٢) : ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ١٢- ١٣
— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٣٤١- ٣٤٢
(٣) : رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٨٢- ١٨٤

الغزوات ضد امارة قشتاله :-

كان المنصور بن أبي عامر قد تمرس في بلاد المسيحيين وأوقع بهم هزائم عديدة وجعل بلادهم لا تنعم بالأستقرار . وأضافة الى غزواته على بلاد النصارى كان يبعث رسله الى الممالك النصرانية ليطلع على أخبار تلك الممالك أولا بأول ؛ ومن ذلك أن أحد رسله سار الى غرسيه كونت قشتاله فأكرمه . وبينما هو يتجول على كنائس قشتاله أوقفته أمرأة قديمة الأسر في الكنيسة ، وأخبرته بنفسها ، وقالت : أيرضى المنصور أن ينسى بتنعمه بؤسها ، ويتمتع بلبوس العافية وقد نضب لبوسها . وزعمت ان لها عدة سنيين مسجونة بتلك الكنيسة ، وناشدته الله في فك حبسها . ولما وصل المبعوث الى الأندلس أخبر المنصور بقصة تلك المرأة ، فقام المنصور وسار بجيشه غازيا بلاد قشتاله . وعندما علم غرسيه بمقدمه ، كتب اليه يخبره بأنه ما أرتكب ذنبا ولا خرج عن طاعته ، فاعلمه المنصور بقضية تلك المرأة السجينة في أحدى الكنائس ، فبعث اليه غرسيه بتلك المرأة ، وأقسم انه لم يبصرها ولا سمع عنها . وتحقيقا لطاعته للمنصور أمر غرسيه بهدم تلك الكنيسة (١) ، فعاد المنصور الى قرطبه .

الا ان غرسيه لم يستمر في ولائه للمنصور ، فقد لجأ اليه عبد الله بن المنصور الذي ثار على أبيه المنصور ، وهرب الى غرسيه الذي وجد الأمان عنده وحرضه على الثورة ضد أبيه . فما كان من المنصور بن أبي عامر الا ان أعد جيشا قويا لغزو قشتاله عقابا لأميرها غرسيه بن فرنانديز لمناصرته لأبنه عبد الله ، فاستولى على حصن أوسمه (وخشمه) وأسكنه بالمسلمين .

---

(١) : ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨

وعند ذلك أعلن غرسيه قبوله لشروط المنصور بتسليم ابنه عبد الله اليه ، حيث أمر المنصور بقتله وذلك في عام ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م .(١) ولم يصفح المنصور عن غرسيه كونت قشتاله لإيوائه ابنه عبد الله ، فقام بتحريض ابنه سانشو غرسيه على الثورة على أبيه ، وأمده المنصور بعدد من كونتات النصارى . وبينما كان غرسيه منشغلا في حرب أهليه مع ابنه سانشو ، قام المنصور وهجم على حصون سان ستيفان (شنت اشتين) وكلونيه ،واستولى عليهم . وبعد هذا تقابل جيش المنصور مع غرسيه على ضفاف نهر دويرة على مقربة من بلدة القصير ،وأسر غرسيه في تلك المعركه ، وذلك في ١٥ ربيع الثاني سنة ٣٨٥ هـ /٢٥ مايو سنة ٩٩٥م .(٢) وحمل غرسيه الى مدينة سالم لمعالجة جراحه التي حدثت له في تلك المعركه ،الا انه مات بعد ذلك متأثرا منها ، وحز رأسه وأرسل في تابوت الى قرطبة ،وأمر المنصور بتسليم جثته الى ولده سانشو الذى تولى حكم قشتاله (٣٨٥ - ٤٠٧ هـ / ٩٩٥ - ١٠١٧ م) وعقد مع المنصور صلحا تم بموجبه ان يدفع له الجزيه .(٣)

ومن عجائب القدر أن شاعر المنصور أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادى ،أهدى المنصور ايلا وفي عنقه حبل ، وسماه غرسيه باسم كونت قشتاله ، وبعثه الى قصر المنصور ،وذلك في ١٥ ربيع الثاني سنة ٣٨٥ هـ ،في اليوم الذى أسر فيه غرسيه ، وقد كتب عليه أبياتا شعرية . منها :

---

(١) : ابن عذارى : نفس المصدر ،ج ٢ ،ص ٤٢٤

(٢) : عنان : دولة الاسلام في الأندلس ، ع ١ ،ق ٤ ،ص٥٥١ - ٥٥٢

(٣) : ابن بسام : الذخيرة ،ق ٤ ،م ١ ،ص ٣٠ - ٣١

-JAN READ:OP.cit.,P.89

يا حرز كل مخوف وأمان كل — مشرد ومعز كل مذلل

يا سلك كل فضيلة ونظام كل — جزيلة وثراء كل معيل

عبد جذبت بضبعه ورفعت — من مقداره أهدى اليك بأيل

سميته غرسيه وبعثته — من حبله كيما يتاح تفاؤلي

فلئن قبلت فتلك أنفس — منه أسدى بها ذو منحة وتطول (١)

وقام المنصور بغزوات على بلاد النصارى ، بعد غزوة شنت ياقب، الا ان المصادر الاسلامية لم تذكر تفاصيلها ، كما قام بغزو نبره في عام ٣٨٩ هـ / ٩٩٩م . وفي العام التالي أي سنة ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م سار المنصور بجيشه قاصدا أراضي قشتاله ، وكانت هذه الغزوة من أشد الغزوات حربا على المنصور ، وذلك ان قشتاله نجحت في انشاء جبهة موحده ضد المنصور تشمل جميع ملوك النصرانية من بنبلونة الى استرقه في أقصى الغرب حيث تحالفوا على محاربته ، وذلك تحت زعامة سانشو غرسيه كونت قشتاله. وحشد أمراء نبره وقشتاله وليون قواتهم ، وكانت القيادة العليا للنصارى في يد أمير قشتاله ، ذلك ان ملك نبره كان طفلا صغيرا يعيش في بلاط قشتاله ، وكذلك الفونسو الخامس ملك ليون كان ايضا طفلا تحت وصاية أحد كونتات جليقيه. لذلك كانت قشتاله هي محور المقاومه ومركز الثقل في الصدام العسكري مع المسلمين منذ ذلك الحين . فجمع سانشو غرسيه سائر قومه في وسط قشتاله بوادي دويره الأدنى خلف الحاجز الجبلي الوعر المسمى بصخرة جربيره ، وتعاهد ملوك وأمراء النصارى على الثبات في القتال وعدم الفرار . وتجمع جيش النصارى

---

(١) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٦٨ - ٦٩

في جبل جربيره الذي اتخذوه معسكرا لهم . فرأى المنصور ان يبادر أعداءه بالقتال ،فاقتحم قشتاله من ناحية مدينة سالم ،ووجد سانشو في جمع عظيم ومعه جيوش النصارى وملوكها وأمراؤها . فهاله ما رأى من وعورة جربيرة ، وحصانة المراكز التي تحتلها جيوش النصارى ، ووفرة جموعهم وكثرة عددها . ورأى سانشو أن يعجيل بمهاجمة المسلمين قبل ان يوطدوا مراكزهم ، فاندفع النصارى في هجوم عنيف على المسلمين ، واشتعلت المعارك من كل ناحية فاندفع النصارى على الميمنة والميسرة دفعة واحدة ، ودارت الحرب واشتد القتال ، ونظر من خلف هؤلاء المحامين من المسلمين الى ضنك المقام ، فدهشوا وانحلت قلوبهم ، وقصر أكثرهم وعمد الى الفرار كثير منهم . وكادت الهزيمة تقع بالمسلمين لولا عناية الله ونصره أياهم ، ثم صبر المنصور حيث لم يبق معه سوى أشخاص قليلين من جيشه ،فرفع المنصور يده الى السماء وقال : اللهم انهم خلوني فانصرهم ، وافردني فاصحبهم . وكان ولداه عبد الملك وعبد الرحمن يقودان قلب الجيش الاسلامي الذي كان يتألف معظمه من البربر الذين صمدوا معهما في مواجهة النصارى وطلع المنصور الى رابية مشرفة على المعركة ، وأخذ يحث رجاله على الثبات ، فلم يمض سوى قليل حتى انقلبت موازين المعركة لصالح المسلمين فهزم جموع النصارى ، كما تمكن أحد البربر في الجيش الاسلامي من قتل أحد كونتات أمراء بني غومس ، وجاء برأسه الى المنصور ،فضاعف المسلمون هجومهم على النصارى ، وقتلوا منهم أعدادا كثيرة ، ونصر الله المسلمين في هذه المعركة بنصر ما سمع بأعظم منه ، كما استشهد في هذه المعركة ما يقرب من

سبعمائة جندى مسلم . وكان وقوع هذه المعركة يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر شعبان سنة ٣٩٠هـ / ٣٠ يوليه سنة ١٠٠٠ م (١) .

وتابع المنصور غاراته على أراضى قشتاله ، مدمرا كل شىء فى طريقه حتى اقتحم عاصمتها برغش فى يوم عيد الفطر المبارك الرابع من سبتمبر من نفس السنه . وواصل سيره الى سرقسطه ومنها قام بغزوة على أراضى نبره ووصل عاصمتها بنبلونية (٢) دون ان يعترضه أحد من النصارى . ثم قفل عائدا الى قرطبة ، بعد ان أمضى فى هذه الغزوات مائة وتسعة أيام . ووجه على أثر عودته كتابا الى قواده ليقرأوه فى الجيش ، وفيه ينحى المنصور باللائمة على جنده لما بدأ منهم من التخاذل والنكوص فى معركة جربيرة ، ويذكرهم بأنه لولا شجاعة فئة قليلة منهم ، علونت بثباتها على أحراز النصر ، ومحو العار ، لانتهى الأمر باقالتهم جميعا من الجيش الاسلامى (٣) .

وفى ذلك يقول صاعد شاعر المنصور بن أبى عامر يهنئه بالنصر فى معركة جربيرة من قصيدة مطولة ، وهى من أفخر شعره منها :

وقفت فى ثانى حنين وقفة	فرأيت صنع الله يوءخذ باليد
من فاته بدر وأدرك عمره	جربيرة فهو من الرحيل الأسعد
فوددت لو حتم القضاء بأننى	فى القوم أول طالع مستشهد

(١) : ابن الخطيب : نفس المصدر ، ق ٢ ، ص ٦٩ - ٧٢

(٢) : بنبلونة : عاصمة مملكة نبره ، وبينها وبين سرقسطه ١٢٥ ميلا وتقع على روافد أرغه أحد روافد الابرو (أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٣٤)

(٣) : عنان : نفس المرجع ، ق ٢ ، ص ٥٦٢ - ٥٦٣

ومنها أيضا :

حملت ميامنهم عليك نشيجة	كالسيل يحطم جلمدا عن جلمد
ورأوك فارتدوا على أعقابهم	مثل أرتداد تنفس المتهند
فانجزوك وفي الجوانح موضع	لتعبر ومكانه لتجلد
طال الشقاء عليهم وتبرموا	بالجيش في الذل المقيم المعقد
فتحالفوا المحنث وتجمعوا	لمغرق وتألفوا المبدد (١)

وآخر غزوة للمنصور بن أبي عامر سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م كانت على قشتاله . ففي هذه السنه جهز جيشه استعدادا للغزو كعادته ، ثم سار بجيشه غازيا أراضي قشتاله،وواصل زحفه حتى بلدة قناليش الواقعة جنوب ناجره ،ثم اتجه غربا الى برغش وعاث في تلك المنطقه وهزم فيها جيوش قشتاله .

ولم تقدم لنا الرواية الاسلامية عن هذه الغزوة تفاصيل أخرى ، كما لم تحدثنا عن أية موقعه حاسمة وقعت بين المسلمين والنصارى . ولكن بعض الروايات النصرانية الاسبانية القديمه تذكر في هذا الصدد ان الجيوش النصرانية المتحالفه ،والمكونه من جيش برمود الثاني ملك ليون ،وغرسيه فرنانديز كونت قشتاله ،وغرسيه سانشير . ملك نبره ، وقفت في وجه المنصور في ظاهر بلدة صغيرة تسمى " قلعة النسور" وتقع في غربي مدينة سرية ، وانه قامت معركة في هذه البلدة بين جيش المنصور وجيش النصارى . وفي هذه المعركة هزم المسلمون وقتل منهم عدة آلاف ، وان المنصور انسحب بجيشه تحت جنح الظلام ،

---

(١) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ،ق ٢ ،ص ٧٣

ثم توفي بعد ذلك بقليل حزنا وغما ، أو من الجراح التي أصابته في تلك المعركة (١) . ويضيف الأستاذ محمد عنان في تقديم خلاصة ما تذكره الرواية النصرانية من تفاصيل الموقعة قول المؤرخ لا فونتي الذي يرجع بدايه حوادثها الى سنة ١٠٠١ م ، أنه في هذا الوقت كان ملك ليون الفونس الخامس الطفل ولد برمود الثاني ، وكان تحت وصاية منتد و كونثالث كونت جليقيه وزوجته د وينا مايور ، وكان يحكم قشتاله الكونت سانشو غرسيس ، ولد غرسيه فرناند يز ، ويحكم نبره الملك سانشو غرسيس الكبير . ويقول لا فونتي ايضا : انه في هذه السنه أي سنة ١٠٠١ م بدأت في قلب أسبانيا المسلمة طلائع أستعدادات عظيمة ، وجمع ولاة شنترين وبطليوس وماردة كل قواتهم ، وعبرت حشود عظيمة من الجند البربر الى الجزيرة ، وكانت هي الأمدادات التي وعد بأرسالها المعز بن زيري بن عطية من المغرب الى المنصور . وجمعت جيوش افريقية والاندلس و البرتغال المسلمة في طليطلة ، فهل كان المنصور يزمع ان يضرب قشتاله التي اتعبته مقاومتها الضربه الأخيرة ؟ لقد تفاهم سانشو أمير قشتاله مع قريبيه ملكي ليون ونبره على التعاون على مقاومة الجيش الأسلامي العظيم ، وأدرك جميع النصارى ضرورة الأتحاد والتحالف ، واجتمعت الجيوش النصرانية المتحده في السهل الواقع جنوب سرية عند منابع نهر د ويره قريبا من مدينة نوماثيا القديمة ، وكان يقود جيوش ليون وجليقيه والأسترياس الكونت منتد و وصي الملك الطفل الفونسو الخامس ، ويقود قوات قشتاله ونبره ملكيهما . (٢)

وقدم المسلمون وقد انقسمت قواتهم الى شطرين ، قوات الاندلس وقوات

1-JAN READ:OP.cit., P.91

(٢) : عنان : دولة الأسلام في الأندلس ، ع ١ ق ٢ ، ص ٥٦٣ - ٥٦٤

البربر ، وساروا نحو ضفاف نهر د ويره حيث التقوا بالنصارى فى مكان يسمى قلعة النسور . وهناك وقعت بين الفريقين مناوشات ختمها مقدم الليل ، وفى فجر اليوم التالى تأهب كل فريق وحشد قواته ، واختلط ضجيج المسلمين بصيحات النصارى ، وأصوات المزامير بدوى الطبول ، واشتبك الفريقان بعنف ، وأخذ زعماء كل فريق يحثون رجالهم ويشجعونهم . وكان المنصور يثب هنا وهناك كأنه نمر ، وقد شقت فرسانه صفوف القشتاليين ،وساءه مالقى من مقاومه ، فاندفعت قواته الى الهجوم بعنف ،واستمر القتال تحت جو قاتم من الغبار المتصاعد حتى دخل الليل ، فانفصل الجيشان دون ان يكتب النصر لأحدهما . وأصيب المنصور خلال القتال بجراح عديده ،فأوى الى خيمته ، وقد علم ان كثيرا من قادته قتلوا ، وأدرك مبلغ الخسارة الفادحه التى حاقت بجيشه ، فأصدر أمره قبل الصبح بالارتداد ، وعبر نهر د ويره ، وهو على أهبة الحرب حتى لا يفكر النصارى فى مطاردته . ثم شعر المنصور خلال السير بالاعياء والخور ولم يستطع أن يستمر فوق صهوة جواده لخطورة جراحه ، فحمل على محفة الى مدينة سالم . ثم يقول لافنتى : ان بعض مؤرخينا ومنهم ماريانا ، يحاول أن يرد هذه الموقعه الى ماقبل ثلاثة أعوام ،وانه يوجد منهم من يقرنها بأخطاء ومغامرات خرافيه بل مضحكه .

تلك هى خلاصة التفاصيل التى ساقتها الرواية النصرانية على موقعة قلعة النسور. ويلاحظ ان هذه الرواية ترجع الموقعه الى سنة ١٠٠١ م ،وان المؤرخ يحدثنا هنا عن طبقة جديدة من ملوك النصارى ،

وهم خلف أولئك الذين تزعم الروايات النصرانية الأخرى تحالفهم على قتال المنصور بن أبي عامر.

ويستطرد عنان مضيفا الى قول لافونتي محاولة بعض الباحثين الأسبان المحدثين ، مثل سافدرا وكوديرا التدليل على صحة هذه الرواية وقبولها . ولكن فريقا آخر من أقطاب البحث الحديث وفي مقدمتهم دوزي ، يرون بطلان هذه الرواية ومخالفتها للحقائق التاريخية الثابتة . ذلك ان برمود ملك ليون كان قد توفي في سنة ٩٩٩م ، وتوفي غرسية فرناندیز كونت قشتالة في سنة ٩٩٥م ، وتوفي غرسية سانشير ملك نبره في سنة ١٠٠٠ م ، فكيف تتحدث الرواية هنا عن تحالف الملوك الثلاثة ، وقد ماتوا جميعا قبل الموقعة المزعومة ؟ هذا ومن جهة أخرى فأن الرواية الاسلامية لا تذكر شيئا عن هذه الموقعة ، وهي لا تضن علينا في مواطن كثيرة بالتحدث عن هزائم المسلمين وصمتها في هذا الموطن قرينة على انه لم يك ثمة موقعة ولا هزيمة . ويعلل مؤرخ أسباني معاصر وهو منتديث بيدال أصل هذه الأسطورة بما أحرزه سانشو غرسيه كونت قشتاله من نجاح جزئي في بعض المواقع ، وهو ما حرصت الأساطيل القشتاليه على تسجيله في شيء من المبالغة.(١)

وبعد معركة قلعة النسور عاد المنصور بجيشه الى مدينة سالم ، وقد اشتد المرض عليه . وكان من أعز أماني المنصور ان تدركه منيته خلال الغزو مجاهدا في سبيل الله ، وكان دائما يحمل

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٦٤ - ٥٦٦

معه أكفانه فى جميع غزواته ، وقد استجاب الله لدعائه ، و فتوفى غازيا فى ليلة الاثنين ٢٧ رمضان ٣٩٢ هـ / ١١ أغسطس ١٠٠٢م ، ودفن بقصره فى مدينة سالم عن عمر يناهز الأربعة والستين عاما (١) .

وما ان تولى عبد الملك الحكم بعد أبيه حتى بادر بأعداد جيش كبير لغزو كونت قشتاله الذى نقض الصلح الذى كان قد عقده مع أبيه كما قام بغارات فاشلة على أجزاء من حدود الأندلس .

وقد وصف ابن حيان هذه الغزوة التى قام بها عبد الملك لقشتالة فى رجب سنة ٣٩٣ هـ بقوله ان عبد الملك قام بدفع المصازيف الى طبقات الأجناد الغازين معه فيها . وقد وافت الحضرة طوائف كثيرة من المتطوعة فيهم جماعة كبيرة من رجال وأمراء العدوة المغربية وفقهائها ، وذلك لرغبتهم فى مشاهدة هذه الغزوة التى احتفل لها هذه السنة ، وكذلك انعم عبد الملك على أمراء قبائل المغرب بأن وزع عليهم خمسة آلاف دينار بحسب مقاديرهم ، معونة لهم على جهادهم . وقد كتب الله النصر لعبد الملك على كونت قشتاله ، فرجع عبد الملك الى الأندلس محملا بالغنائم والسبى (٢) .

وبذلك أرغم عبد الملك ملوك النصارى على ان يهابوه كما كانوا يهابون أباه ، وهذا ما دفعهم الى ان يحتكم اليه كونت قشتاله سانشو غرسيه وكونت جليقية منند يث كونثالث الوصى على ملك ليون الطفل الفونسو الخامس . وقد قضى عبد الملك بينهما بأن يستمر منند يث كونثالث وصيا

(١) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٠٩ .
— ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ٣٤٤ - ٣٤٥
(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٤ (نقلا عن ابن حيان) .

على ملك ليون الطفل ، وظل يباشر وصايته عليه الى ان قتل غيلة سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٨ م . الا ان سانشو غرسية كونت قشتالة لم يرضه هذا الحكم ، فبدأت منه أعمال عدوانية ، فقام عبد الملك بغزو بلاده في سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٤م ، وهي غزوته الثانية ، وأوغل في أرضه وعبث فيها . الا ان سانشو غرسية لم يجرؤ على التصدى له ، فعاد عبد الملك الى قرطبة ، وأضطر سانشو غرسية الى ان يفد بنفسه على عبد الملك في قرطبة وان يطلب الصلح معه ، كما تعهد بأن يساعد عبد الملك في غزوته على مملكة ليون . وفعلا سار مع عبد الملك سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م لغزو بني غومس الذين أخذوا الوصاية على ملك ليون والتي كان يطمع فيها كونت قشتاله (١) .

ولما نمى الى عبد الملك ان كونت قشتالة سانشو غرسية قد أعد جيشا لمحاربته ناقضا الصلح الذى عقده معه ، خرج اليه سنة ٣٩٧هـ /١٠٠٧م وهي غزوته الرابعة المعروفة بغزوة قلونية أو غزوة النصر . وفي هذه الغزوة تلاقى عبد الملك مع كونت قشتالة وجميع زعماء التحالف النصراني ، ملك ليون ، وملك نبره ، وعددا من زعماء النصارى وفي مقدمتهم بني غومس ، والتحمت الجيوش الاسلامية بالجيوش النصرانية وكتب الله النصر لعبد الملك وهزم هذا التحالف المسيحي في ظاهر مدينة قلونية الواقعة شمال نهر دويرة على مقربة من شنت اشتين . وعقب هذا الانتصار بعث عبد الملك بكتاب الفتح الى قرطبة حيث قرئ على الناس كما جرت عليه العادة في هذه

---

(١) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٥- ٦٦
— عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٦١١

المناسبات ثم قفل عائدا الى قرطبة حيث خلع عليه الخليفة هشام المؤيد بالله كل ألوان التكريم ولقبه بالمظفر .(١)

ولم تكن هذه الغزوة آخر حربه مع قشتالة ، فقد أضطر الى غزوها مرة أخرى في العام التالي . ففي يوم الاثنين الثامن عشر من شهر صفر سنة ٣٩٨ هـ خرج من قرطبة في غزوته السادسة هذه ، واخترق أراضي قشتاله الوسطى حتى ضفاف نهر دويرة ، وهاجم حصن شنت مرتين المنيع الواقع على مقربة من غربي قلونية . وحاول النصارى في البداية ان يقاوموا المسلمين في ظاهر الحصن ، ولكن المسلمين صدوهم بعنف ، فالتجأوا الى الحصن وحاولوا الدفاع من وراء الأسوار ، فهاجم المسلمون الحصن بشدة وثلموا أسواره بالمنجانيق والنار ، فاضطر النصارى الى التسليم وفتحوا الحصن للجيش الأسلامي . وبعد هذا الأنتصار عاد عبد الملك الى قرطبة في بداية شهر ربيع الثاني من نفس السنه .(٢)

وفي شهر شوال من نفس العام قام عبد الملك بغزوته الأخيرة لقشتالة ، وهي التي تعرف بغزوة العلة . ولم يفصل لنا المؤرخون أخبار هذه الغزوة ، وانما تحدثوا عن علة عبد الملك المظفر ومرضه وموته ، وانه قصد في هذه الغزوة كونت قشتالة ، ولكن المرض لم يمكنه من اتمامها وتحقيق هدفه . فما كاد يصل الى مدينة سالم حتى اشتد عليه المرض ، فمكث بها حينا يرقب تحسن صحته ، وأحس الجند بدنو أجله فتفرغ عنه أكثر المتطوعة . ولما أدرك ذلك عبد الملك صرف نظره عن تلك

---

(١) : ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٣ - ١٤
ـ ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٦
(٢) : ابن عذاري : نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ٢١ - ٢٢

الغزوة وعاد الى قرطبة فى منتصف شهر محرم سنة ٣٩٩هـ . وما كاد يشعر بقليل من التحسن فى صحته حتى خرج للغزو فى منتصف شهر صفر من نفس السنة لغزو قشتاله ، الا ان مرضه اشتد عليه وهو فى الطريق ، فحمل على محفة الى قصره فى الزاهرة ، وتوفى على أثر مرضه فى ١٦ صفر سنة ٣٩٩ هـ / ٢١ أكتوبر سنة ١٠٠٩ م ولم يكن يتجاوز الرابعة والثلاثين من عمره .(١)

الغزوات ضد أمارة برشلونة :-

تحول اهتمام المنصور بن أبى عامر الى شمال شرق الأندلس فجمع جيشا عظيما لهذه الغزوة والتى قصد بها برشلونة (٢) ،وهى غزوته الثالثة والعشرون . فخرج من قرطبة فى ١٢ ذي الحجة سنة ٣٧٤ هـ / ٥ مايو سنة ٩٨٥م ،فمر بالبيرة (غرناطة) ، وبسطه ،ومرسية ، ومكث فى مرسية ثلاثة وعشرين يوما فى ضيافة أحمد بن عبد الرحمن المعروف بد حيم بن مروان بن الخطاب ، وولده أبى صبغ موسى . وكان الخطاب من أعظم رجالات الأندلس ثراء ووجاهة وكرما ، استضاف المنصور بن أبى عامر وجيشه خلال أقامته عنده ، وتكفل بسائر النفقات ، وأصبح من أقرب أصدقاء المنصور بن أبى عامر .(٣)

---

(١) : ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣ - ٢٤ ، ٣٦ - ٣٧
 — عنان : المرجع السابق ، ص ٦١٥

(٢) : برشلونة : كانت أعظم مدينة تجارية وصناعية فى اسبانيا ،استولى عليها العرب سنة ٧١٣ م وكانت فى زمن العرب من المدن العظيمة وهى من المدن البحرية على البحر المتوسط : (شكيب أرسلان : الحلل السندسية ،ج ٢ ،ص ٢٧٢ ، ٢٨٠) (ياقوت الحموى : معجم البلدان ،ج ١ ،ص ٤٠ ١)

(٣) : عنان : نفس المرجع ،ص ٥٤٣

وسار المنصور بجيشه قاصدا برشلونة وذلك بعد شهرين من خروجه من قرطبة ، وكان حاكم برشلونة بريل الثانى Borreel 11 وكانت هذه المدينة قد انتزعت من أيدى المسلمين أيام شارلمان ، وأضبحت عاصمة لاقليم مستقل يعرف بأسم قطلونية [(١)] الذى اندمج فى وقت متأخر مع مملكة أرغونة (أحد الممالك الاسبانية المناوئة للمسلمين) [(٢)] . وأجتاح المنصور بجيشه برشلونة وفتحها يوم الاثنين منتصف شهر صفر سنة ٣٧٥ هـ / ٦ يولية سنة ٩٨٥ م ، وسبى الكثير من أهلها ، وقام بتخريبها بعد هزيمة حاكمها بريل الثانى ، وغنم منها أموالا كثيرة وسلاحا وعبيدا [(٣)] . ولم يجروء حاكمها بريل الثانى على مواجهة المنصور لانقاذ مدينة برشلونة ، وكان من بين الاسرى أودلر نائب كونت برشلونة ، حيث اقتيد مع أسرى برشلونة الى قرطبة حيث قضى أعواما طويلة فى الاسر . وكان المنصور بن أبى عامر يقصد من فتح برشلونة تأديب النصارى وتدمير قوتهم فى هذا الطرف النائى من شبه الجزيرة الاسبانية [(٤)] .

---

(١) : قطلونية : حدودها جبال البرانس من الشمال وبلاد أرغونة من الغرب وولاية بلنسية من الجنوب والبحر المتوسط من الشرق . (شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، جـ ٢ ، ص ١٩٩) .

(٢) : ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤

(٣) : ابن الكردبوس : الاكتفاء فى تاريخ الخلفاء ، ص ٦٣ - ٦٤
— ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٧٤
— عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ص ٢٣١ - ٢٣٢
3-JAN READ: OP. cit., P89

(٤) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٤٤
— أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٤٨

غير ان برشلونة لم تستمر طويلا في أيدى المسلمين اذ ان الفرنجة انتهزوا فرصة اشتغال المنصور بن أبي عامر في حملته على بنبلونة عاصمة مملكة نبرة النصرانية سنة ٣٧٦ هـ ، وساروا الى برشلونة تعاونهم السفن من البحر واستولوا عليها .

لذلك كان أول عمل قام به عبد الملك بن المنصور بعد توليته حكم الأندلس عام ٣٩٢ هـ . وهو الاستعداد لحملة يغزو بها قطلونية . فجهز جيشا عظيما لهذه الغزوة وأمده بالمال والسلاح كما وصلت اليه فرق المتطوعين في الجهاد من كل ناحية في الأندلس والمغرب الأقصى ، وقام بتوزيع خمسة آلاف درع وخمسة آلاف بيضة حديد على طبقات الأجناد في جيشه . وفي يوم الجمعة ٨ من شهر شعبان سنة ٣٩٣ هـ ، ركب عبد الملك الى المسجد الجامع في قرطبة لشهود عقد الألوية على عادة أمراء الأندلس قبله [1] ، ثم خرج للغزو بعدها بثلاثة أيام من باب الفتح الشرقي أحد أبواب مدينة الزاهرة عاصمة الدولة العامرية . وكانت هذه الغزوة هي غزوته الأولى وقد أجتمع الناس لرؤيته ، فخرج عليهم شاكي السلاح في درع جديد وعلى رأسه بيضة حديد مثمنة الشكل مذهبة شديدة الشعاع ، وقد اصطف القواد والموالي والغلمان الخاصة في أحسن تعبئة . وسار عبد الملك ونزل أرملاط ثم غادرها الى طليطلة فوصلها في الثالث والعشرين من شعبان من نفس السنه وبقي فيها الى يوم الجمعة ، ورحل في يوم السبت الى مدينة سالم . وهناك انضم اليه الفتي واضح ، ووفد عليه في نفس الوقت عدة زعماء من نصارى قشتالة وليون ، أرسلهم الكونت سانشو

---

(١) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٨٧

غرسية أمير قشتالة وفقا لمعاهدته مع المنصور وقد أحسن عبد الملك استقباله وضمهم معه في الغزو (١).

وخرج عبد الملك من مدينة سالم الى الثغر الأعلى ، فاحتل سرقسطة ، ثم رحل عنها ، وأخرج عبد الملك فتاه واضحا في نخبة من رجاله الى حصن مدنيش على مقربة من حصن ممقصر الذى عمل على قصده ، فسار واضح الى ذلك الحصن واستولى عليه . ورحل عبد الملك بعد ذلك فتلقته رسل واضح مبشرة بالفتح ، فاستبشر عبد الملك بذلك ،وأشرف المسلمون على حصن ممقصر فكبروا لما نظروا اليه تكبيرا عاليا وتتابع قرع الطبول من جميع جهات العسكر ، فذعر الفرنجة من المسلمين ، وأحتل عبد الملك وجيشه حصن ممقصر من جميع جهاته ، وصعد المسلمون الى الحصن أفواجا أثر أفواج ، وقد برز المشركون الى الربض يمنعوهم عنه ، فنشب قتال عنيف بين الفريقين ، وصبر المشركون في ساحة القتال ، ولكن المسلمين تفوقوا عليهم واقتحموهم خلف الأسوار واضطروهم الى التحصن به فنشب قتال عظيم بين المسلمين والنصارى الى ان جاء الليل فانفض الجيشان (٢). وكان المسلمون قد عملوا ثلما كبيرا في السور ، وفي اليوم التالي للقتال قام المسلمون فناهضوا عدو الله بأصح عزيمة ، وقامت الحرب وصبر المسلمون على مباشرتها أكرم صبر سمع به ، حتى كتب الله لهم النصر ، فهزم النصارى في هذه المعركة ، وأقتحم المسلمون الأسوار واستولوا على الحصن ،

---

(١) : شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج ٢ ، ص ٢١٣ ، ٢١٥

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٥-٦

وغنم المسلمون أموالا ضخمة ووقع في الأسر أعداد كبيرة من جيش النصارى .(١)

ثم رحل عبد الملك فأدركه عيد الفطر وهو بأرض برشلونة وذلك يوم الثلاثاء أول يوم عيد الفطر غرة شوال سنة ٣٩٣ هـ ، وأدركه وقت الصلاة وهم سائرون في فجاج سهل نزل المسلمون فيه للصلاة . وبعد ان انتهى عبد الملك من صلاة العيد ، جلس بمجلسه لاستقبال المهنئين من كبار قادة الجيش والناس على مراتبهم بما سن الله له من التعييد في سبيل جهاده وطاعة خالقه ، ثم رحل عائدا الى الاندلس . وقد أمر كاتب الرسائل أحمد بن برد بتدوين كتاب الفتح على ورقتين ، الأولى للخليفة هشام المؤيد بالله والثانية تقرأ على كافة المسلمين بقرطبة ، وتنفذ نسخته الى الاقطار الاندلسية . وقد ذكر في كتاب الفتح ان عدد السبي خمسة آلاف وخمسمائة وسبعون نفرا ، وعدد الحصون التي فتحت عنوة ستة حصون ، وعدد الحصون التي أخلاها العدو فخربت ودمرت خمسة وثمانون حصنا . ثم أذن عبد الملك للمتطوعة في العودة الى بلادهم ، ودخل قرطبة يوم الثلاثاء الخامس من شهر ذي القعدة سنة ٣٩٣ هـ حيث استقبل استقبالا عظيما ، وسلم على الخليفة هشام المؤيد بالله الذي هنأه بهذا النصر ، وبعد ذلك عاد الى مدينة الزاهرة حيث جلس للناس المهنئين بانتصاره وعودته من تلك الغزوة .(٢)

وقد نظم الشاعر ابن دراج القسطلي في تهنئة عبد الملك بهذه الغزوة قصيدة ، مطلعها :

---

(١) : شكيب أرسلان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٤ - ٢١٥

(٢) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٨ - ٩

- علي محمد حموده : تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ، ص ٢٣٤

بدا ريح السعد واستقبل النجح   فبالله فاستفتح فقد جاءك الفتح
وقد قدم النصر العزيز لواءه   وقبل طلوع الشمس ينبلج الصبح
فقد في سبيل الله جيشا كأنه   من الليل قطع طبق الأرض أو جنح
كتائب في أقدامها النجح والهدى   وألوية في عقدها اليمن والنجح (١)

وكانت هذه الغزوة درسا للفرنجة في برشلونة وغيرهم من نصارى الشمال الأسباني ، اذ انهم حافظوا على عهودهم مع عبد الملك ،وأتى رسول أمير برشلونة الى قرطبة يمد يد الطاعة ويطلب السلام من عبد الملك الذى استقبله استقبالا رائعا . وكان هذا آخر يوم من أيام العظمة والمجد في تاريخ بني عامر ، اذ لم يمض بضع سنوات حتى مات عبد الملك المظفر وخلفه أخوه عبد الرحمن الذى كانت نهاية بني عامر على يديه (٢) .

استقبال المنصور بن أبي عامر وولديه عبد الملك وعبد الرحمن لوفود الممالك الأسبانية النصرانية :ـ

وكان المنصور بن أبي عامر يقيم علاقات مع بعض ملوك النصارى المسالمين معه ،والذين أضنتهم الحروب معه ، الآ انه لم تفد اليه سفارات ملوك النصارى على نحو ما حدث في عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، وذلك ان عهد المنصور كان كله عهد حروب مستمرة بين المسلمين في الأندلس وبين نصارى أسبانيا ولم يقع بين الفريقين تهادن أو سلم طويل الأمد يسمح بكثرة توافد الوفود النصرانية على المنصور بن أبي عامر ،ولكثرة حروبه معهم أذعن النصارى الى طلب الصلح والود معه . ومع ذلك وفد عليه

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٦١١
(٢) : رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٩٩

ملك نبرة ، وملك ليون ، وكونت قشتالة .(١)

فقد وفد عليه شانجة الثاني بن غرسية ملك نبرة ، وكان المنصور بن أبي عامر قد تزوج ابنته ، والتي تطلق عليها المصادر الأندلسية أسم - عبده - والتي حسن أسلامها ، وكانت من خيرة نساءه ، فأنجبت له أبنه عبد الرحمن وسمي تدليلا بشنجول مصغرا لأسم جده شانجة الذي حضر الى قرطبة سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م لزيارة صهره المنصور بن أبي عامر الذي استقبله في احتفال كبير حشد له معظم الجيش أثناء دخوله مدينة الزاهرة . وأخرج المنصور في الموكب أبنه عبد الرحمن (حفيد شانجة) وكان لا يزال طفلا يرقد في السرج ، فنزل جده شانجة اليه وقبل رجله . ولما قدم موكب شانجة الى مجلس المنصور الذي كان جالسا على سرير الملك يحيط به رجال الدولة ، قبل يدي المنصور وقدم له الطاعة وجدد معه الصلح . وبعد انتهاء الزيارة عاد منصرفا الى بلاده . وكان أحتفال استقبال شانجة في الزاهرة من أيام الأندلس المشهودة .(٢)

ووفد عليه برمود الثاني ملك ليون سنة ٩٨٥ م ، مستجيرا به ليعاونه على مقاومة الأشراف الخارجين عليه ولتوطيد عرشه في ليون ، فأجابه المنصور الى طلبه وبادر بمعونته .(٣) كما وفد عليه سانشو كونت قشتاله طالبا الصلح معه بعد ان منى أبوه بهزائم على يد المنصور

---

(١) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٨٣

(٢) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٧٤
 - عبد الرحمن الحجي : أندلسيات ، ص ٧٩ - ٨٠

(٣) : عنان : نفس المرجع ، ص ٥٨٣

ومـــات فـــى أســـره .(١)

وفـــى عهـــد عبد الملك المظفـر أحتكـم اليـه فـى سنة ٣٩٤هـ / ١٠٠٤ م ـ كمـا سبق ان ذكـرت ـ أمـير قشتالــه الكونت سانشـــو غرسية ، ومنند يث كونتثالث زعيم جليقيـة والوصـى علـى الفونســو الخامس ملك ليـون الطفـل الذى كان يومئـذ مـا يـزال حد ثـا فـى العاشـرة من عمـره وذلك فـى الفصـل فـى الخلاف الذى نشـأ بينهمـا حـول أحقيـة كل منهمـا فـى الوصايـة علـى الفونســو الخامس وكانـت البيرة أم الفونســو الخامس أختـا لكونت قشتالـه سانشـو غرسيه ،ولذلك كان يرى انـه أحـق من منند يث كونثالث فـى الوصايـة علـى ابن أخته الملك الطفـل ، وقد قضـى عبد الملك فـى هـذا الخلاف لصالح منند يث كونثالث وقبل الطرفان حكمـه .(٢)

وأمـا فـى عهـد عبد الرحمـن بن المنصـور ،فلـم يحـد ث ان وفـد ت عليـه وفـود من قبـل أمـراء وملوك الأسبان النصـارى . غير انـه يذكـر ان أحـد أمـراء القوامس وفـد عليـه وهـو يغـزو فـى غزوتـه الأولـى والوحيدة ، فوافـاه وهـو فـى طريقـه لهـذه الغزوة يريـد منـه مساعدته . ولمـا وصـل عبد الرحمـن طليطلـة وسمـع بخـروج محمـد بن هشـام عليـه قفـل راجعـا الى قرطبـة مصطحبـا معـه هـذا القومس ، فلاقاهمـا جند محمد بن هشـام فـى الطريق وقتلاهما .(٣)

---

(١) : أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ،ص ٢٦٥ - ٢٦٦

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ،ج ٣ ،ص ١٠

ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس ،ص ٣٤٠ - ٣٤١

(٣) : أحمد العبادى : نفس المرجع ،ص ٤٦٤

(الباب الرابع)

أهم مظاهر التطور السياسي والحضاري في الدولة العامرية

- بنو عامر والخلافة الأموية .
- الحجابة .
- الجيش والأسطول .
- الوزارة .
- القضاء والخطط المتصلة به .
- الرخاء الاقتصادي والازدهار الاجتماعي .
- الحياة العلمية .
- العمران .

بنو عامر والخلافة الأموية :-

منذ أن دخل عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) الأندلس سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م ، أخذت الدولة الأموية تقوم في الأندلس وتستقر قواعدها تباعا ، وذلك بعد معارك طويلة متعددة بينها وبين الزعامات المحلية والعناصر الثائرة ، واستمرت الدولة الأموية عصرا تتخذ ثوب الأمارة ، الى ان جاء الى حكم الأندلس عبد الرحمن الناصر الذى أتخذ سمة الخلافة وأصدر بذلك مرسوما في ١٢ ذى الحجة سنة ٣١٦ هـ / يناير سنة ٩٢٩ م ، وبهذا تحولت الدولة الأموية من أمارة الى خلافة ، وكان عبد الرحمن الناصر هو أول من تلقب من أمرائها بأمير المؤمنيين .(١)

وبلغت الخلافة الأموية ذروة قوتها ونفوذها السياسى والحضارى فى عهد الناصر وولده الحكم المستنصر ، ولكن بعد وفاة الحكم المستنصر سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦ م تربع على الخلافة ابنه هشام المؤيد بالله وهو صغير السن لا يقدر على القيام بمهام الخلافة كأسلافه الأمويين ، فبدأت طلائع تقليص سلطة الخلافة يقودها محمد بن أبى عامر الملقب بالمنصور فقد أخذ نجمه يبزغ منذ اواخر عصر الحكم المستنصر ، وما كاد يتولى منصب الوزارة حتى كان قد جمع السلطة فى يده تدريجيا وخاصة بعد ان تربع على عرش الخلافة الأموية هشام المؤيد بالله الذى أصبح فيما بعد لعبة فى يده . وبعد ان قوى نفوذ محمد بن أبى عامر

---

(١) : انظر عن الخلافة الأموية وتطورها :
- ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د / مكى ، ص ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٦٥
- ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٥٣ ، ٧٢ ، ٨١ ، ١٠١ ، ١٣٣
- المسعودى : مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ١٠٠
- ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٩٢

في الدولة قام بأول عمل في سحق معارضيه وكل من يقف في سبيله . فبدأ بقتل المغيره بن عبد الرحمن الناصر عم هشام المؤيد بالله ، وذلك حتى لا يتمكن من تولية الخلافة بعد الحكم المستنصر ، وبمقتل المغيرة بن عبد الرحمن تمت البيعة بالخلافة لهشام المؤيد بالله . وبواسطة الخليفة هشام المؤيد بالله ، قام محمد بن أبي عامر بقتل معارضيه في السلطة أمثال الحاجب جعفر المصحفي وصهره غالب قائد الثغر الأعلى وغيرهم ، وانتهى به الأمر الى أن فرض نفسه حاكما مطلقا في الأندلس وأقام دولة نسبت اليه وتلقب بالمنصور وبألقاب الملك (١) وذلك بعد ان قام بالحجر على الخليفة هشام المؤيد بالله في قصره ومنعه من الخروج منه الا بأذن منه وتحت حراسة مشددة من قبله ، كما منع الناس من الدخول عليه . واستكمالا لمظاهر الملك بنى المنصور مدينة الزاهرة لتكون مقرا لحكمه ولاقامته هو وجنده وأتباعه (٢) .

وكان المنصور قد استشار أصحابه في مصير الخلافة فقد جالت بخاطره فكرة انتزاعها من هشام المؤيد بالله ، الا ان مستشاريه لم ينصحوه بأتخاذ هذه الخطوة نظرا لأن جميع السلطة في الدولة كانت بيده ، ولأن الخلافة الأموية في نظر معظم الأندلسيين كانت بمثابة السلطة الشرعية لما أجمع عليه الفقهاء من ان الخلافة في قريش وان التخلص من الخلافة الأموية سيظهر المنصور بمظهر الخارج على السلطة الشرعية ، ومن ثم أقتنع المنصور بمشورتهم . الا ان السيدة صبح حاولت أكثر من مرة أستعادة

---

(١) : انظر الباب الأول (ظهور محمد بن أبي عامر ووصوله الى السلطة)

(٢) : ابن بسام : الذخيرة ، ق٤ ، م ١ ، ص ٤٣
— ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٦٢

السلطة لأبنها هشام ، ولكن محاولاتها هذه باءت بالفشل مما دفع المنصور الى تجريد الخلافة من كل ما كان قد بقي لها من مظهر شكلي ، فحجر على الخليفة هشام المؤيد بالله كما أسلفنا ، كما أمر بنقل الأموال من قصر الخلافة الى مدينته الزاهرة . وهكذا بقيت الخلافة الأموية خلافة أسمية ، ولم يعترض المنصور بن أبي عامر لها بشيء أو برسومها ، حيث كانت الخلافة في ظل حكمه مجرد شبح باهت واسم بلا مسمى.(١)

وقد حرص المنصور في وصيته لأبنه عبد الملك على الأبقاء على الخلافة الأموية والتمسك بها ، وذلك على الرغم مما كان يعترف به بينه وبين نفسه من تعديه على سلطان الخلافة وأنفراده بالسلطة واستبداده بكافة شئون الدولة ، فقد كان يبرر ذلك كما جاء في وصيته بجهل الخليفة هشام المؤيد بالله وعجزه ، وفي نفس الوقت بتمسكه في حكم الرعية بالكتاب والسنة . وهذا يتضح مما ورد في هذه الوصية بخصوص الخلافة في قوله " وصاحب القصر قد علمت مذهبه وانه لا يأتيك من قبله شيء تكرهه والآفة ممن يتولاه ويلتمس الوثوب بأسمه ، فلا تنم عن هذه الطائفة جملة ، ولا ترفع عنها سوء الظن والتهمة ، وعاجل بها من خفته على أقل بادرة ، مع قيامك بحق صاحب القصر على أتم وجه . فليس لك ولا لأوليائك شيء يقيكم الحنث في يمين بيعته الا ما تقيمه لوليها من هذه النفقة . وأما الأنفراد بالتدبير دونه ، مع ما بلوته من جهله وعجزه عنه ، فأني أرجو أني وأياك منه في سعة ما تمسكنا بالكتاب والسنة " .(٢)

---

(١) : ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٥٨ - ٥٩
— ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٢١٢
(٢) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٨١ - ٨٢

وليس أدل على صدق نظرة المنصور الى أهمية الابقاء على الخلافة الأموية ، كما جاء في هذه الوصية ، ان ابنه عبد الرحمن لما انتزع من الخليفة هشام المؤيد بالله مرسوم ولاية العهد توطئة لتوليه الخلافة من بعده ، كان في ذلك هلاكه ومقتله وزوال الدولة العامرية (١).

وكانت هناك محاولة قام بها بعض الجند بعد وفاة المنصور بن أبى عامر سنة ٣٩٢ هـ إبان ولاية أبنه عبد الملك السلطة بعده للخروج من طاعة عبد الملك وأعلان ولائهم للخليفة هشام المؤيد بالله الذى واصل عبد الملك حجبته فى قصره ، الا ان عبد الملك قبض عليهم ونفاهم الى سبتة فى المغرب (٢).

الحجابة :-

لم تختلف نظم الحكم فى الأندلس أختلافا كبيرا عنها فى المشرق الاسلامى ، الا ان أهم ما يميز نظم الحكم فى الاندلس ، هو ان منصب الحاجب كان يختلف أختلافا كبيرا عن نظيره فى الدولة الأموية بالشام والخلافة العباسية فى بغداد . ففى المشرق كان الحاجب هو الذى يحجب الخليفة عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتحه (٣). أما فى الأندلس فقد كان الحاجب واسطة بين الأمير أو الخليفة وبين الوزراء ومن دونهم ، وفى هذا الصدد يقول ابن سعيد : " أما قاعدة الوزارة فى الأندلس فأنها كانت مدة فى بنى أمية مشتركة فى جماعة يعينهم صاحب

---

(١) : انظر الباب الثانى (عن مقتل عبد الرحمن بن المنصور)

(٢) : ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٢١٢
— ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٥٨ - ٥٩

(٣) : ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠٠ - ابن الابار الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢١٣
- ENCY.ISL., T.II P.219

الدولة للاعانة والمشورة ويخصهم بالمجالسة ، ويختار منهم شخصا لمكان النائب المعروف بالوزير بتسمية الحاجب" (١) . وفي هذا الصدد يقول ايضا ابن خلدون : " وأما في الدولة الأموية في الأندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم " (٢) .

ويمكن القول ان الحاجب في الأندلس هو الذي كان يرأس الوزراء ، فقد كانوا يجتمعون برئاسته في مجلس خاص – وهو ما يشبه في عصرنا الحاضر بمجلس الوزراء – والحاجب بهذه الصفة كان يقوم بممارسة سلطات الخليفة نيابة عنه ، ويقابله كل يوم ليعرض عليه شئون الدولة ويتلقى منه أوامره (٣) . وبهذه الصفة ايضا كان الحاجب الشخصية الأولى في الأندلس بعد الخليفة ، ولذلك كان يختار من أعرق الأسر (٤) . وقد كان الأمير عبد الرحمن الداخل أول من أنشأ منصب الحاجب في الأندلس ، (٥) غير ان هذا المنصب لم يكن موجودا بصفة دائمة في عهد الأمارة وكذلك في عهد عبد الرحمن الناصر (٦) ،

---

(١) : المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢١٦ (نقلا عن ابن سعيد) .
(٢) : ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠٠
3- LEVI-PROVENCAL. L'ESPAGNE MUSULMANE, T. III, P. 18
(٤) : ابن خلدون : نفس المصدر ، ص ٢٠٠
(٥) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٦٨٤ - ٦٨٥
(٦) : لقد ظلت الحجابة شاغرة بعض الوقت في عهد عبد الرحمن الثاني ، كما الغيت في عهد الأمير عبد الله (ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٥١) . كما ان عبد الرحمن الناصر لم يعين أحدا في الحجابة بعد موت حاجبه موسى بن أحمد بن حدير في شهر صفر سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٠ م ، وقد ظل هذا المنصب شاغرا حتى نهاية حكمه (ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٣٣ – ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢١٨) .

الا انه بتولى الحكم المستنصر الخلافة عاد منصب الحجابة ليظل موجودا حتى سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس [(١)].

ومن أشهر الحجاب فى الدولة الأموية فى الأندلس ، عيسى ابن شهيد حاجب الأمير عبد الرحمن الثانى ، والحاجب موسى بن أحمد بن حدير حاجب الخليفة عبد الرحمن الثالث ، وجعفر بن عثمان المصحفى حاجب الحكم المستنصر الذى كان يجمع فى يده أمور الدولة كلها ، ومحمد ابن أبى عامر حاجب الخليفة هشام المؤيد بالله ، والذى استبد بالسلطة لنفسه باسم الحجابة ، وأخذ يعين من يثق بهم فى المناصب الادارية للدولة [(٢)].

كما قام محمد بن أبى عامر بعد ان استبد بحكم الأندلس بتعيين ابنه عبد الملك فى منصب الحجابة والقيادة العليا ، وتلقب هو بالمنصور ، كما خوطب بالملك الكريم سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦م [(٣)] ، ثم ولى ابنه عبد الملك حكم الأندلس بعد موته . وقد تلقب عبد الملك فى سنة ٣٩٧ هـ بالحاجب المظفر سيف الدولة . ثم ولى الحجابة من بعده فى الدولة العامرية أخوه عبد الرحمن ، ولكنه سار على عكس سياسة أبيه المنصور وأخيه عبد الملك اللذين كانا قد حجرا على الخليفة هشام المؤيد بالله ومنعاه من الخروج من قصره . اذ تقرب عبد الرحمن من الخليفة هشام وصار يخرجه من قصره فى موكب ويسير فى ركابه ليرضيه ، وبذلك نجح عبد الرحمن فى ان يستصدر من الخليفة مرسوما بأن يدعى بالحاجب الأعلى المأمون ناصر الدولة ، وان يستصدر منه ايضا مرسوما بتعيينه وليا

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢١٨

(٢) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٤٤ - ابن سعيد : المغرب ، جـ١ ، ص ١٩٩

(٣) : ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٩٤ - ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٨٩ - عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٦٨٥ - ٦٨٦

للعهد من بعده . وبعد ذلك قام عبد الرحمن بتعيين ابنه الطفل[(١)] عبد العزيز في منصب الحجابة ، الا ان الدولة العامرية في عهده انهارت وذلك لسوء سياسته في ادارة شئون البلاد ، وغضب المروانيين عليه بسبب توليه ولاية العهد ، فقام محمد بن هشام بن عبد الجبار من المروانيين بالاطاحة بالدولة العامرية وقتل عبد الرحمن بن المنصور[(٢)] .

وكان الحاجب حتى قبل استبداد المنصور بن أبي عامر بالسلطة دون الخليفة مجرد أداة لتنفيذ سياسة الخليفة وتحقيق رغباته ، ولم يتميز عن باقي زملائه الوزراء الا بقرب منزلته من الخليفة ، ومقابلته بين الحين والآخر ، وتمتعه بلقب الحاجب بالاضافة الى لقب الوزير[(٣)] . كما كان للخليفة حق تعيينه وأقالته متى أراد ، اذ كان يخضع الحاجب للخليفة خضوعا مباشرا ، كذلك كان الحال في عصر الامارة[(٤)] ، ولذلك لم يكن الحاجب يملك سلطة تعيين الوزراء أو أقالتهم من مناصبهم ، بل كانت هذه السلطة بيد الخليفة نفسه[(٥)] .

ويمكن القول ان الحاجب حتى نهاية خلافة عبد الرحمن الناصر كان أشبه بوزير تنفيذ في الدولة العباسية ، الا ان سلطة الحاجب اتسعت في عهد الحكم المستنصر وبالذات في شخص الحاجب

---

(١) : ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٨٩ ، ٩٠
— ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٧ ، ٣٨ ، ٤٠ - ٤١

(٢) : ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٧٢ - ابن عذاري : نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٩

(٣) : ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٥٨
— ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٣٣ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨

(٤) : ابن الابار : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٣٣ ، ٢٥٣
— ابن عذاري : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٨٢

(٥) : ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٦٠
— ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦٥

جعفر المصحفى ، فقد أزدادت سلطات الحاجب جعفر المصحفى بانتقال جميع سلطات الخليفة اليه بالتدريج ، [١] وعلى وجه التخصيص خلال السنتين الأخيرتين من خلافته ، حيث كان يعانى الحكم المستنصر من المرض حتى وفاته سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٧م [٢] .

ولما أخذ الحاجب المنصور بن أبى عامر يعمل على الاستبداد بالسلطة دون الخليفة هشام المؤيد بالله وحجبه عن الخاصة والعامة ومنع الناس من الاتصال به ، أخذ يعين فى مناصب الدولة أنصاره ومن يثق بهم بعد ان عزل أنصار الخليفة الحكم المستنصر من مناصبهم ، وفى ذلك يقول ابن حيان (ان الحاجب المنصور بن أبى عامر غير دولة الحكم المستنصر ، وسلخ رجالها برجاله ، وعفى رسومها بما أوضح من رسومه ، وأسقط رجال الحكم من سائر الطبقات والكتاب والقضاة والحكام والعمال وأصحاب السيوف والأقلام ، ومزقهم وأقام بازائهم من تخريجه واصطناعه رجالا سدوا مكانهم ومحو ذكرهم) ، [٣] واستبد المنصور بالسلطة الكاملة فى الدولة دون الخليفة هشام المؤيد بالله متمثلا فى ذلك أمراء بنى بويه المستبدين بالسلطة دون الخليفة العباسى [٤] ، الا ان المنصور لم يسلك مسلكهم فى انزال الاهانة والاساءة والعزل بالخليفة الشرعى . وبذلك أصبح يمارس جميع سلطات الخليفة

---

(١) : ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٠٠ - ٢٠٣
— ابن سعيد : المغرب ، ص ١٨٦

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ - ٢٥٩
— ابن خاقان : مطمح الانفس ، ص ٤ - المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٠٢

(٣) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٤٤ (نقلا عن ابن حيان) .
— ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٩٩ (نقلا عن عذارى) .

(٤) : ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٦١
— ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٠
: عن استبداد الحاجب المنصور بالسلطة دون الخليفة هشام المؤيد انظر الباب الأول .

بدلا عنه بالإستثناء ، الا انه لم يخلع أسم الحجابة عن نفسه (١) .

كما قام المنصور ببناء مدينة الزاهرة استكمالا لمظاهر الملك واتخاذها مقر لملكه ، ونقل اليها كافة دواوين الدولة ، ورتب فيها قصورا لوزرائه ، ثم عطل قصر الخلافة بقرطبة وحجر الخليفة هشام فيه ، وأمر بأن لا يسمح بالدخول عليه دون أذنه ، وجعل عليه حرسا من رجال الشرطة ممن يثق بهم وذلك بعد ان أشاع انه قد فوض اليه تدبير شئون الدولة ، وتخلى له عن ممارسة أعمال الخلافة ليتفرغ لعبادة ربه (٢) .

وعلى الرغم من حجر الحاجب المنصور على الخليفة هشام المؤيد بالله واستبداده بكافة شئون الدولة على النحو الذى أشرنا اليه ، الا انه ترك له شارات الخلافة ، أى ظلت السكة تضرب بأسمه وظل يدعى له فوق المنابر (٣) . الا انه بجانب أسم الخليفة هشام المؤيد بالله على وجه العملة ، فقد سك المنصور أسمه بحكم توليه الحجابة منذ ١٣ شعبان سنة ٣٦٧ هـ ، وكان هذا قد أصبح تقليدا جرى العمل به منذ عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر . فقد كان يسك على وجه العملة أسم الخليفة وبجانبه أسم الحاجب (٤) . كما سك أسمه على العملة بوصفه حاجبا

---

(١) : عن معاملة البويهيين للخلفاء العباسيين أنظر / محمد جمال الدين سرور : الحضارة الاسلامية فى المشرق منذ ظهور الاتراك حتى منتصف القرن الخامس الهجرى ، ص ٥٣ - ٥٦ — أحمد امين : ظهر الاسلام ، جـ ١ ، ص ٥١

(٢) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٦٢ — الحميرى : الروض المعطار ، ص ٨١ - ٨٢
— ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٥ — ٢٧٦
— المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٥٧٨

(٣) : ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٩٧ — ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٧٦
— ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ — الحميرى : نفس المصدر ، ص ٨٢
-GEORGE C.MILES:OP.cit,PP 66-70
-HENRI LAVOIX:OP.cit.,PP.66-73

وقد سك ابنه عبد الملك اسمه على السكة بصفته حاجبا بجانب اسم الخليفة هشام المؤيد بالله - أنظر :

-GEORGE C.MILES:OP.cit.,P.69
-HENRI LAVOIX:OP.cit.,p.74,86-91

بجانب أسم الخليفة ، فقد نقش أسمه أيضا مع أسم الخليفة على الطرز . وهذا يفسر قول ابن خلدون والمقرى من انه " كتب أسمه فى السكة والطرز " . (١)

الجيش والاسطول :-

كان الجيش هو عماد الاستقرار السياسي فى الاندلس ، وقد ظلت الدولة الاموية قوية بقوة الجيش الاندلسى الذى أخذت قوته تزداد منذ عهد عبد الرحمن الناصر (٢) أمتدادا بعصر الحكم المستنصر والمنصور بن أبى عامر وابنه عبد الملك بن المنصور وكان المنصور بن أبى عامر الذى لم تر الاندلس مجاهدا فذا مثله ، قد كرس جهوده ومواهبه فى بناء قوتها وعظمتها وسحق أعدائها وتحقيق أمنها ورخائها ، فبلغت الاندلس فى عصره أوج مجدها وشهرتها فى التأثير السياسي والعسكرى فى شئون أوربا وأفريقيه المجاورة لبلاده ما لم تبلغه الاندلس من قبل ولا من بعد المنصور ، وكان المنصور ابن أبى عامر منذ ان تولى مقاليد حكم الاندلس قد أدرك انه يجب لتحقيق سلام الاندلس وأمنها

---

(١) : ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ١١٨ — المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢١٦

(٢) : اضطر عبد الرحمن الناصر إلى الاستعانة بالعناصر الاجنبية فى الجيش لكي يوازن بها العرب من ناحية وأهل الاندلس من ناحية أخرى حتى يضمن ولاء الجميع له ، وحتى لا يطغى عنصر على آخر . فقد أكثر عبد الرحمن الناصر من الصقالبة فى الجيش لكي يوازن بينهم وبين العرب والاندلسيين . غير ان عبد الرحمن الناصر بعمله هذا لم يقض على النظام القبلى فى الجيش ، وكلما فعله انه أوجد نظاما للجيش الدائم الذى كان يرابض بصفة دائمة فى قرطبة ، والذى كان يتكون أساسا من الصقالبة الذين أكثر منهم . وقد أخلص الصقالبة لعبد الرحمن الناصر ، فنالوا على يده أرفع المناصب وأعلاها . (أنظر لين بول : قصة العرب فى أسبانيا ، ص ٩٧) .

وردع الممالك النصرانية عن عدوانها المستمر على ثغور الاندلس قبل حكمه ان تكون للاندلس قوة عسكرية عظيمة تكفي لارهاب عدوها وأعزاز دينها .

وأول ما قام به المنصور من أصلاح ، هو تنظيم الجيش الاندلسي وتقويته وتزويده بأفضل المحاربين ، فأهتم بأمداده بعناصر كثيرة من قبائل البربر لدرجة انهم أصبحوا القوة الضاربة في جيشه ، وخاصة بعد ان قام بتسريح معظم الصقالبة من جيشه . كما ان القبائل البربرية بالعدوة المغربية قد سارعت بدخول الاندلس والانضمام الى جيش المنصور بعد ان بلغها جهاده ضد نصارى الاسبان في الشمال (١) .

كما اهتم المنصور بتنظيم الجيش تنظيما عسكريا جديدا يحقق الوحدة والتجانس بين طوائفه ويقضي على العصبية القبلية التي كانت سائدة بين هذه الطوائف . فقد كان الجيش الاسلامي في الاندلس قبل المنصور يتكون من نظامين :

١ - نظام عسكري دائم منظم ينزل العاصمة ويتقاضى أفراده عطاءا ثابتا ويمثله فرقة الحرس النظامية المعروفة بأسم الصقالبة .

٢ - نظام أقطاعي عسكري وتمثله القبائل العربية والبربرية التي وزعت على الاقاليم والمدن الاندلسية بعد الفتح العربي ، وأبيح لها حق استغلالها وجباية عطائها من أموالها في مقابل المساهمة في حروب الدولة كما هو معروف في النظام الاقطاعي الاسلامي .

---

(١) : الأمير عبد الله : مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٦
— ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٧٩
— عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٥٦٩

ولكن المنصور أبان حكمه رأى ان هذا النظام كفيل بخلق الحزازات بين عناصر الجيش وقواده ، فقام بتغيير هذا النظام بنظام آخر جديد يجعل الجيش كله في وحدة نظاميه متماسكة خاضعة لقيادته . فقام بالغاء القبلية في تنظيم الجيش، (١) كما الغى النظام الاقطاعي العسكري بحيث أصبح الجيش كله جيشا نظاميا دائما يتكون من فرق متعددة كل فرقة تتألف من جميع هذه العناصر المختلفة كالعرب والبربر والصقالبة ، وكان كل جندى من هؤلاء يتقاضى مرتبا شهريا من الدولة حسب رتبته العسكرية وذلك بدلا من استغلال الاقطاع له كما كان سابقا . ولكي يحد المنصور من سلطة العناصر العربية في الجيش فقد أخر زعماء العرب عن مناصبهم في الجيش وقام بتقديم البربر عليهم . وقد أفاد هذا النظام الجديد في بادىء الأمر في أزالة العصبية القبلية بين فرق الجيش ،كما تمكن المنصور بهذا النظام الجديد من ان يفرض نفوذه وسلطانه على الجيش . ومن جهة ثانية فقد أعطى هذا الجيش الموحد حبه وولاءه للمنصور الذى استطاع به ان يحرز انتصاراته الحربية في غزواته المستمرة على بلاد النصارى في الشمال الأسباني . (٢)

وكان المنصور يحث المسلمين عامة على الجهاد والغزو معه ،

---

(١) : المقرى : (نفح الطيب ،ج ١ ،ص ٩٣) - واليك ما ذكره المقري في هذا الصدد
" كان عرب الاندلس يتميزون بالقبائل والعشائر والبطون والافخاذ الى ان قطع ذلك المنصور بن أبى عامر الداهنية الذى ملك سلطة الاندلس ، ويقصد بذلك تشتيتهم وقطع أنخامهم وتعصبهم في الاعتزاء ،وقدم القواد على الأجناد فيكون في جند القائد الواحد فرق من كل قبيلة فانحسمت مادة الفتن والاعتزاء بالاندلس "

(٢) : الطرطوشي : سراج الملوك ،ص ١٠٠ - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ،ص ٦٨
- الامير عبدالله : مذكرات الامير عبد الله ،ص ١٧ عنان : المرجع السابق ،ص ٥٣١
- أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ،ص ٢٦٠ - ٢٦١

وقد حدث ذات مرة ان اشتكى اليه بعض أهل الأندلس ممن كان يغزو معه من كثرة غزواتهم معه ، وان تلك الغزوات أشغلتهم عن عمارة الأرض ، فوافقهم المنصور على البقاء في الأندلس ليتفرغوا في عمارة أرضهم على ان يعطوا من أموالهم كل عام ما يعينه على نفقات الجند أثناء قيامهم بالغزوات ، فوافقوه عن رضى منهم في دفع ما يخصص عليهم ليتمكن من صرف نفقات الجند وما يتطلبه الغزو .(١)

وكان المنصور قد شرع في تنظيم جيشه لسببين : الأول وطني ، وهو ان يكون من الأندلس مملكة أسلامية من أقوى الممالك في أوربا . والسبب الثاني شخصي بحت يرمي الى اذلال منافسيه وخصومه في الدولة .

وكان المنصور يعتمد اعتمادا كليا على الجيش الذي يقوده للغزو من عاصمة الأندلس ، ثم يلحق به جيش الثغور الأندلسية وينضم اليه ، فيكون بهذه الجيوش جيشا واحدا تحت قيادته ويغزو به بلاد النصارى .(٢) ويقول ابن الخطيب عن عدد جيوش المنصور بن أبي عامر " كان عدد جميع الأجناد العامريين من الفرسان خاصة من سائر الطبقات والأحرار وجميعهم مرتزقون في الديوان ، يقام لهم بالحملان والحلية والسلاح والمنازل والنفقة والعلوفة على مراتب مختلفة اثني عشر الف فارس ومائة زيادة " .(٣) وقد أزداد عدد هذا الجيش بمن ضمه المنصور اليه من أعداد كبيرة من البربر ، حيث كان عدد الفرسان في بعض غزواته ستة وأربعين الف فارس ، هذا عدا مأتين من الفرسان كانوا مكلفين بمهمات معينه . وأما عدد جيشه من المشاة فكان يتضاعف من غزوة لأخرى وقد يعد المائة الف رجل

---

(١) : الامير عبد الله : مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٦ - ١٧

(٢) : انيس النصولي : الدولة الأموية في قرطبة ، جـ ١ ، ص ١٣٤

(٣) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٩٩

أو يزيد (١) كما ورد انه في أحد الأيام قام المنصور باستعراض جيشه بظاهر قرطبة ، فكان عدد الفرسان ما يقرب من مأتي الف والمشاه ستمائة الف ، واذا كان هذا الرقم الأخير فيه الكثير من المبالغة ، الا انه يدل في نفس الوقت على مدى ما وصل اليه جيش المنصور من كثرة في العدد لم تتحقق في أية فترة من فترات التاريخ الأندلسي (٢).

وبعد موت المنصور بن أبي عامر ، تابع ابنه عبد الملك المظفر سياسة ابيه في تدعيم الجيش والمحافظه على قوته ، وأكثر من استخدام البربر في جيشه الذين كانت لهم منزلة رفيعه لديه . ومن البربر الذين أكرمهم عبد الملك المظفر ، زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي (٣).

وكما حدث تطوير في تنظيم الجيش فقد حدث ايضا تطور ملموس في الأسطول البحري الاسلامي في الاندلس . فقد أنشئت مدينة المرية في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي أمر ببنائها سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م ، واسم المريه مشتق من وظيفتها أو من الغرض الذي أنشئت من أجله ، اذ كانت في الأصل مرأى ومحرسا بحريا لمدينة بجاية القريبة منها والتي لا تبعد عنها أكثر من ستة أميال شمالا ، وكانت عدة مدن على الساحل الأندلسي تقوم بحراسة البلاد ويتم أعداد الأسطول الاسلامي منها (٤).

وكانت طبيعة بلاد الاندلس تحتم عليها ان تصبح الدولة فيها دولة بحرية حيث أنها تطل على البحر المتوسط من الشرق والجنوب ، كما تطل على المحيط الأطلسي من الغرب والجنوب ، وايضا تسيطر على الحوض الغربي للبحر المتوسط ،

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٦٨٦ - ٦٨٨

(٢) : ابن الخطيب : المصدر السابق ، ق ٢ ، ص ٨٦ ، ٩٩
— المقري : نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ٣١٦

(٣) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨

(٤) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٧ - ١٩

كما انها همزة الوصل بين قارتي أوربا وأفريقية . ولذلك قام الأمويون بأنشاء أسطول بحرى قوى في عدة مدن ساحلية في الأندلس ، حيث كان له دور عظيم في صد غارات الفيكينج (النورمان) . وقد بلغ الأسطول الأندلسي أوج مجده في عهد عبد الرحمن الناصر . كما احتفظ بقوته في عهد الحكم المستنصر وابنه هشام المؤيد بالله ، وذلك لأن المنصور قام بتقويته ليواصل مهماته البحرية في المحيط الأطلسي . وبهذا الأسطول الذى دعمه المنصور تمكن من صد الممالك النصرانية حين أعادوا الأغارة على السواحل الأندلسية الغربية سنة ٣٩٠ هـ / ٩٧١م (١) .

وكانت مدينة المرية منذ عهد عبد الرحمن الناصر قاعدة الأسطول البحرى الأسلامي حيث جمعت فيها دور صناعة السفن . وفي هذه المدينة جهزت السفن الأسلامية التي كونت البحرية النظامية للأسطول الأسلامي ، وكان عدد سفن الأسطول في عهده مأتي سفينة حربية ، وبعد ذلك تطور الأسطول البحرى الأسلامي وزاد عدد سفنه في عهد الحكم المستنصر الى ستمائة سفينة حربية (٢) ، ثم أضاف المنصور الى هذا الأسطول وحدات حربية جديدة (٣) . وقد وصف الشاعر ابن دراج القسطلي الأسطول البحرى الذى أنشأه المنصور بن أبي عامر بقوله :

تحمل منه بحرا من القنا	يروع بها أمواجه ويهول
بكل حملات الشراع كأنها	قد حملت أسد الحقائق غيل
اذا سابقت شأو الرياح	تخيلت خيولا مدى فرسانهن خيول (٤)

---

(١) : ابن حيان : المقتبس / تحقيق الحجى ، ص ٢٣ - ٢٤

(٢) : الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٨٣ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٩٥

(٣) : على حسني الخربطلي : الأسطول الأسلامي في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص ١١٥ - ١١٨ — مصطفى الشكعه : الأدب الأندلسي ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤

(٤) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الأسلامية ، ص ٤٨

وقد قام المنصور باستخدام بعض وحدات الأسطول في حملاته على قطلونية وجليقية سنة ٣٧٤ هـ / ٩٨٥م ، وايضا استخدم المنصور أسطوله البحري الذي أنشأه بقصر أبي دامس من ساحل غرب الأندلس في حملته الثامنة والأربعين سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧م على مدينة شنت ياقب أكبر مزارات الممالك المسيحية وذلك بعد ان قام بتجهيز ذلك الأسطول بالعدة اللازمة .(١)

ولكن قوة هذا الجيش وقوة الأسطول البحري الاسلامي في الأندلس ككل ضعفت بعد موت المنصور وابنه عبد الملك ، حيث لم يستطع عبد الرحمن بن المنصور الذي تولى مقاليد الدولة العامرية بعد موت أخيه عبد الملك دفع مرتبات الجند ، كما لم ينهج سياسة أبيه وأخيه الحكيمة في حكم البلاد ، فكثر في عهده شغب الجند ودب الفساد بينهم . هذا أضافة الى أهمال عبد الرحمن القيام بواجبات الحكم ، الأمر الذي أدى في النهاية الى زوال تلك الدولة في عهده ومقتله أثر الانقلاب الذي قام به محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموي .(٢)

الوزارة :-

كانت حكومة الأندلس في عصر الولاة تكون هيئة أدارية محلية قوامها الوالي وقادة الجيش ، ولم تكن هيناك مناصب وزارية بالمعنى المعروف ، اذ لم يكن الوالي سوى حاكم موقت لأدارة أقليم ، وكان الوالي في معظم

---

(١) : ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠ - ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٦٧

(٢) : ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٠١ ، جـ ٣ ، ص ٣٧
- ابن الخطيب : المصدر السابق ، ق ٢ ، ص ٨١ ، ٨٩ .
- احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨

الأوقات هو القائد الأعلى للجيش ، ولم تظهر المناصب الوزارية الآ في بداية عصر الامارة بالأندلس ، منذ ان قامت الدولة الأموية فيها على يد مؤسسها عبد الرحمن الداخل ، ولكنه لم يعين له وزيرا دائما ، وانما عين نفرا من الأشياخ للمؤازرة والمشورة ، ثم تطور هذا النظام وأصبح يطلق على هؤلاء الأشياخ لقب وزير . وفي هذا يقول المقرى : " أما قاعدة الوزارة في الأندلس فأنها كانت في مدة بني أمية مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة للاعانة والمشورة ويخصهم بالمجالسة " . (١)

ويعتبر الأمير عبد الرحمن الأوسط أول من جعل لهؤلاء الوزراء مجلسا خاصا في قصره ينتظمون فيه ، ويذهبون اليه كل يوم ويجلسون فيه على مقاعد خاصة لكل منهم ، ولم يعد عملهم مقصورا على المشاورة بل أصبح يبحث معهم الرأى فيما يبرمه من أحكامه ، وعليهم تنفيذ أمره ونهيه . (٢) وفيما بعد لم يقتصر أمر الوزراء على مشاورة الأمير لهم وتنفيذ أمره ونهيه ، فقد قسمت خطة الوزارة الى مجموعة من الخطط (الوزارات) وأصبح كل وزير ينظر فيما يتعلق بشئون خطته وتنفيذ أمر الخليفة فيما يصدر اليه كل في حدود اختصاصه . ومن بين هؤلاء كان الخليفة يختار أحدهم ليتولى الحجابة وليكون رسولا بينه وبين باقي الوزراء ، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون "وأما دولة بني أمية بالأندلس ، فأبقوا أسم الوزير في مدلوله أول الدولة ، ثم قسموا خطته أصنافا ، وأفردوا لكل صنف وزير ، فجعلوا لحسبان المال وزيرا ، وللترسيل وزيرا ، وللنظر في حوائج المتظلمين وزيرا ، وللنظر في أحوال أهل الثغور

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢١٦ - عنان : المرجع السابق ، ص ٦٨٤

(٢) : ابن حيان : المقتبس / تحقيق د . مكى ، ص ١٦٨
— ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٥

وزيرا ، وجعل لهم بيت يد رسون فيه على فرش منضدة لهم ، وينفذون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له ،وأفرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت فارتفع مجلسه عن مجالسهم وخصوه بأسم الحاجب ، ولم يزل الشأن هذا الشي آخر دولتهم ، فارتفعت خطة الحاجب على سائر الخطط" (١) ويمكن القول بأن نظام الوزارة في الاندلس يمكن تشبيهه بمجلس الوزراء في عصرنا الحاضر.

الا أنه بالرغم من ان المنصور بعد ان استبد بالسلطة أصبح هو الذي يعين الوزراء ويقيلهم ، الا ان مكانة الوزراء في عهده قد ارتفعت عما كانت عليه من قبل . فنرى ان الوزير أحمد بن سعيد بن حزم قد استخلفه المنصور بن أبي عامر لتدبير شئون البلاد في أوقات معينة خلال غزواته على الممالك النصرانية . وايضا الوزير عيسى بن سعيد فوض اليه الحاجب عبد الملك المظفر بن المنصور تدبير شئون الدولة العامرية وقدمه على سائر رجال الدولة العامرية (٢).

وكان المنصور بن أبي عامر قد لقبه الخليفة هشام المؤيد بالله في بداية خلافته بلقب ذي الوزارتين ، كما منح هذا اللقب للقائد الأعلى غالب، وايضا لقب عبد الملك المظفر ابان حكمه على الاندلس ابنه عبد العزيز بذي الوزارتين (٣).

---

(١) : ابن خلدون : المقدمة ،ص ١٩٩

(٢) : ابن عذاري : البيان المغرب ،ج ٣ ،ص ٢٤ ، ٣٧
— ابن الابار: اعتاب الكتاب ،ص ١٩١

(٣) : ابن عذاري : نفس المصدر ، ج ٢ ،ص ٢٦٥ ، ٢٦٧ ،ج ٣ ،ص ١٦ ، ١٧
— ابن الخطيب : اعمال الأعلام ، ق ٢ ،ص ٨٨

القضاء والخطط المتصله بـه :-

وكانت خطة القضاء في الأندلس من أعظم الخطط عند الخاصة والعامة ، وذلك لصلتها بأمور الدين ، كما كان منصب القاضي يعلو أى منصب آخر في الدولة ، وهي أحدى الاعمدة الهامة التي يقوم عليها نظام الحكم في الأندلس في عصر بني أمية . وكانت أهمية القضاء تساوى أهمية الثغر الأعلى بسرقسطه ، وكأهمية أمارة الأسطول البحرى الأسلامي في مدينة المرية . (١) ومن أهمية القضاء زمن الأمويين في الأندلس ان الخليفة أو الحاكم لو توجب عليه حكم أجبره الشرع بالمثول أمام القاضي . (٢)

ويقال للقاضي ، قاضي القضاة ، وقاضي الجماعة ، وكان يقيم في حاضرة الدولة . ويشترط في القاضي ان يكون متبحرا في الفقه الأسلامي ومشهودا له بالنزاهة والأستقامة ، وان يكون عربيا خالصا ومع ذلك فقد تقلد القضاء في الأندلس الموالي والمولدون والبربر (٣) ، وكان القضاء في الأندلس على مذهب الأمام مالك بن أنس منذ عصر هشام ابن عبد الرحمن الداخل ، وكان قبل ذلك على مذهب الأوزاعي . (٤)

وقد اهتم المنصور بن أبي عامر خلال حكمه على الأندلس بشئون القضاء ، وأظهر الشدة في تنفيذ الشرع والعدل ولو كان ضد أولاده أو كبار رجال دولته . مثال على ذلك قضية محمد فصّاد المنصور وخادمه وأمينه

---

(١) : عبد الحميد العبادى : صور وبحوث من التاريخ الأسلامي ، ص ٦٤ ، طبعة القاهرة ٤٣
(٢) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢١٧
(٣) : شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، جـ ١ ، ص ٢٥٢
(٤) : عنان : تاريخ العرب في اسبانيا ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ (طبعة أولى سنة ١٩٢٤ م)

على سره ، حيث احتاجه المنصور يوما الى الفصد ، وكان محمد هذا محبوسا في السجن لحيف ظهر منه على امرأته ، فأمر المنصور باخراجه من السجن مع رقيب من رقباء السجن يظل معه الى ان يفرغ من عمله في الفصد ثم يعيده الى سجنه ، وقد ظن الفاصد ان صلته بالمنصور سوف تحميه من العقوبة ، فقطع المنصور عليه ذلك وقال له : (لا يا محمد انه القاضي وهو في عدله ، ولو أخذ في الحق ما أطلقت الامتناع منه ، عد الى محبسك ، وأعترف بالحق فهو الذى يطلقك) . (١)

وفي عصر الدولة العامرية نبغ كثير من القضاة ممن كانت لهم شهرة في العدل والشدة في الحق ، أمثال القاضي أبو بكر محمد بن يبقى بن زرب ، وهو قاضي الجماعة في قرطبة . وكان فقيها توفي سنة ٣٨١ هـ ، وله كتاب في الفقه سماه " الخصال " وكان في أوائل عصر الدولة العامرية . (٢)

والقاضي عبد الله بن محمد بن يحيي بن زكريا المعروف بابن برطال ، والذى كان خال المنصور بن أبي عامر . وكان من بيت غني بالثروة ، ومشهورا بصلاحه ، ووقورا حليما ، تولى قضاء قرطبة بعد ابن زرب واستمر فيها حتى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١م . وقد عزله المنصور بن أبي عامر عن القضاء وذلك لكبر سنه ، وفي سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م ولاه المنصور خطة الوزارتين ، وقد توفي سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٤ م . (٣)

---

(١) : أحمد العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٦٢
(٢) : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢١٤
(٣) : ابن سعيد : نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢١٥

وكذلك القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن ذكوان (١) وهو من شيوخ أهل العلم ، مذكور بالفضل ، ومن أهل بيت فهيتم بالعلم ورياسة القضاء يتردد فيهم . قلده المنصور بن أبي عامر بعد ابن برطال القضاء ، واتصلت رئاسته في القضاء الى قيام الفتنة ، وقد سعى عليه الوزير عيسى بن القطاع فعزل ثم رد اليها ، وعلت منزلته في عصر عبد الملك المظفر بن المنصور ، توفي يوم الأحد ٢٩ رجب سنة ٤١٣هـ (٢) .

والقاضي أبو المطرف عبد الرحمن بن فطيس ، الذى ولى القضاء بين مدتي أبي العباس بن ذكوان ، وهو من جهابذة المحدثين وكبار العلماء المسندين ، حافظا للحديث وعلله ،وكان مشهورا بالصلابة في الحق ،وكانت وفاته في صدر الفتنة يوم الثلاثاء ١٥ ذى القعدة سنة ٤٠٢هـ (٣) .

وايضا القاضي خلف بن يامن ، وهو من أهل مدينة سالم وقاضيها ، وهو الذى قبض على طرف كم ثوب القائد غالب قائد الثغر الأعلى حينما أراد قتل المنصور بن أبي عامر فحقد عليه غالب وقتله سنة ٣٦٩هـ (٤) .

والقاضي أبو بكر بن يحيى بن وافد ، وقد جرت له خطوب طويلة مع المنصور بن أبي عامر ، كانت سبب نزوع نفس الخليفة هشام المؤيد بالله اليه وتوليته القضاء بعد ابن ذكوان ، وكان فقيها عالما ، حافظا ، عادلا ، وكان من أعلام الشورى في قرطبة ، توفي سنة

---

(١) : الناس في الاندلس ينسبون بني ذكوان الى برابر فحص البلوط الذى هو من نواحي قرطبة ،وبني ذكوان يزعمون أنهم من بني سليم من موالي بني أمية . (ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ،ج ١ ، ص ٢١٥ - ٢١٦

(٢) : ابن سعيد : نفس المصدر ، ج ١ ،ص ٢١٥ - ٢١٦

(٣) : ابن سعيد : المصدر نفسه ،ج ١ ،ص ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧

(٤) : ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة ،ج ١ ،ص ٢٩٣

٤٠٤ هـ . (١)

والقاضي أحمد بن حكم بن محمد العاملي ، ويكنى أبا عمر ، وهو من أهل قرطبة ويعترف بأبن اللبان ، ولي قضاء مورور وقرمونة هو وأخوه يحيى من أهل العلم ، توفي سنة ٣٩٠ هـ . (٢)

والقاضي عبد الله بن عبد الرحمن بن الحجاف المعافري ، وهو فقيه محدث من أهل بيت قضاء وعلم ، وهو من أهل بلنسية من أعمال شرق الأندلس ، وقد قال عنه أبو محمد علي بن أحمد انه روى الحديث عنه وانه أفضل قاض رآه ، مات قرابة سنة ٤٠٠ هـ . (٣)

والقاضي أبو مروان القرشي المعيطي ، وهو فقيه مشهور في الدولة العامرية ، وقد جمع من أقاويل الامام مالك بن أنس وروايات أصحابه في كتاب ، اجتمع على جمعه مع الفقيه أبو عمر أحمد بن عبد الله المعروف بأبن المكوى بأمر المنصور بن أبي عامر . (٤)

والقاضي عبد الله بن أبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الأموي المعروف بالأصيلي أبو محمد ، وهو من كبار أصحاب الحديث والفقه ، رحل لطلب العلم الى القيروان ومصر ومكة المكرمة وبغداد والكوفة ، وكان الحكم المستنصر قد طلبه من العراق ، فلما وصل المرية مات الحكم ، وظل حائرا ، ثم سار الى قرطبة

---

(١) : ابن سعيد : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٥٥- ١٥٦
(٢) : ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة ، جـ ١ ، ص ١٥- ١٦
(٣) : الحميدي : جدوة المقتبس ، ص ١٦٢
(٤) : الضبي : بغية الملتمس ، ص ٥٢٩

وبقى فيها حتى عرف المنصور بن أبى عامر مكانته فى العلم فقدمه الى الشورى ، ثم ولاه قضاء سرقسطة ، توفى سنة ٣٩٢ هـ أثر موت المنصور ابن أبى عامر ،(١)

وكان كثير من القضاة يرفضون مناصب القضاء حين تعرض عليهم ، وربما كان السبب فى رفضهم اما انهم يعتقدون ان من فى القضاء أحسن منهم لهذا المنصب ،أو انهم غير راضين عن الحاكم . فلقاضى أبو عيسى أحمد بن عبد الملك رفض القضاء مع ان المنصور بن أبى عامر عرض عليه ذلك المنصب مرتين بأمر الخليفة هشام المؤيد بالله .(٢) وكان بعض القضاة يقبلون مناصب القضاء بعد ضغط من كبار رجال الدولة .(٣)

وقد برز من القضاة كثير منهم فى قيادة الجيوش الاسلامية بالاندلس . فقد كان يعقد للقاضى على جند بلده المنضم للجيش الاسلامى ، مثل القاضى الحسن بن عبد الله الخرافى قاضى ريّة فى عهد المنصور بن أبى عامر . وهذا يدل على الدور الهام للقضاة فى الغزو وذلك لرفع الروح المعنوية للجيش وأعلاء كلمة الجهاد فى سبيل الله .(٤)

ومن صلاحيات القاضى بتفويض من الخليفة أو حاكم الدولة كالمنصور بن أبى عامر ، أمامة صلاة الجمعة التى كانت تؤدى فى المسجد ، كذلك صلاة العيدين الفطر والاضحى . كما كان من عمل القاضى ممارسة

---

(١) : الضبى : بغية الملتمس ،ص ٣٤٠ - ٣٤١
(٢) : النباهى : المرقبة العليا ، ص ١٢
(٣) : ابن سعيد : المغرب ،ج ١ ،ص ١٥٩
(٤) : النباهى : نفس المصدر ،ص ٥٣ - ٥٤ ، ٥٩ - ٦٠

ارتقاب الأهلة كالقاضي محمد بن يبقي بن زرب في دولة المنصور بن أبي عامر ، حيث يحدد أول يوم في صوم شهر رمضان وآخره .(١)

ومن الخطط القضائية الأخرى ، خطة الرد . واختصاص صاحب الرد انه كان يحكم فيما استرابه الحكام وردوه عن أنفسهم اضافة الى ان لصاحب الرد الحق في الاطلاع على رعايا الكور والوقوف على أحوالهم . ومن الذين تقلدوا هذه الخطة عبد الملك بن منذر بن سعيد البلوطي الذي قتله المنصور بن أبي عامر ، اذ اتهمه مع جماعة من الفقهاء والقضاة بالتآمر عليه سرا ومبايعة عبد الرحمن ابن عبد الله بن الناصر .(٢)

كما يتصل بخطة القضاء خمسة خطط أخرى ، وهي التي كان يجري على يد أصحابها الأحكام ، وهي خطط : المظالم ، والحسبة ، والمدينة ، والسوق ، والشرطة .(٣) وكانت خطة الشرطة قد قسمت في عهد عبد الرحمن الناصر سنة ٣١٧ هـ الى ثلاثة مراتب : الشرطة العليا ، والشرطة الوسطى ، والشرطة الصغرى . وفي عهد المنصور بن أبي عامر تطورت تلك الخطط بما يلائم الوضع الأمني للبلاد .(٤)

---

(١) : النباهي : المرقبة العليا ، ص ٧٨

(٢) : ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، رقم ٨٢١

— ابن حزم : طوق الحمامة ، ص ٤٢ (وخطة الرد تشبه في وقتنا الحاضر هيئة التمييز)

(٣) : النباهي : نفس المصدر ، ص ٥

(٤) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٦٨٥- ٦٨٦

الرخـاء الاقتصادى والازدهار الاجتماعـى :-

يرجـع الـى الامـراء الامويين وضـع أساس النظـام المالـى للاندلـس، كمـا يرجـع اليهـم استغلال موارد البـلاد وثرواتهـا الزراعيـة والمعدنية استغلالا جيدا ، فضـلا عـن تنظـيم جبايـة المكوس علـى التجارة الداخليـة والخارجية . وقـد بلغت الاندلس شأوا كبيرا من الرخـاء الاقتصـادى والازدهـار الاجتماعـى فـى عهـد الاميرعبد الرحمـن الاوسـط.(١)

وقـد ازداد هـذا الرخـاء الاقتصـادى وهـذا الازدهـار الاجتماعـى فـى الاندلس أكثر من ذى قبـل فـى عهـد الرحمـن الناصـر وبخاصـة بعد ان تمكن من توحيـد البلاد وتلقب بالخلافـه .

واذا مـا تتبعنـا مقدار الجبايـة فـى الاندلس منذ عهـد الامـير عبد الرحمـن الاوسـط حـتى عهـد المنصـور بن أبـى عامـر لادركنـا مدى مـا كانت عليـه الاندلس فـى عهـد الدولـة العامريـة من رخـاء اقتصـادى وأزدهـار أجتماعـى . فقـد كانت الجبايـة فـى الاندلس فـى عصـر الولاة نحـو ثلثمائـة الف دينـار كـل سنة ، وكـان علـى كل مدينـة من مـدن الاندلس مال معلـوم يـوزع جـزء منه علـى الجند ، وينفـق منه ايضـا جزء على ما تتطلبـه احتياجـات البـلاد ، والباقـى كان يدخـر لحوادث الايـام . وفـى عهـد الحكـم الاول بلغت الجبايـة ستمائـة الف دينـار . وفـى عصـر الامـيرعبد الرحمـن الاوسـط بلغت الجبايـة مليـون دينـار فـى السنه .(٢)

---

(١) : عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٦٨٩ - ٦٩٠
— ليفى بروفنسال : حضارة العرب فى الاندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، ص ٥٣ - ٥٤
(٢) : شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج ١ ، ص ١٨٥

وازدادت الجباية في عهد عبد الرحمن الناصر أكثر من ذي قبل لدرجة ان المقري يذكرانه عند ما توفي عبد الرحمن الناصر كان في خزائنه من الأموال خمسة آلاف الف الف .(١) ويبدو ان هذا المبلغ كان من الدراهم وليس من الدنانير لأن ابن حوقل يذكر لنا انه خلف من الأموال في خزانته ما يقرب من العشرين مليون دينار .(٢) هذا عدا ما صرفه من الأموال الطائلة في الغزوات ، وفي النفقة على مختلف المنشئات الباذخة التي أقامها ، بمدينة الزهراء الملوكية ، مما يدل على ضخامة الموارد المالية للأندلس في عهده .(٣)

وفي عصر المنصور بن أبي عامر حققت موارد الدخل في الأندلس زيادة عظيمة ، حيث وصل محصل الجباية في عهده أربعة آلاف دينار سوى رسوم المواريث بقرطبة وكور الأندلس ، وسوى مال السبي والمغانم . وقيل ان المنصور رغب مرة أن يتعرف على مقدار ما يدخل قرطبة من جهاتها من احمال الحطب في اليوم الواحد ، فوكل باحصاء ذلك بعض ثقاته ، فعدوا له راصدين بسائر مداخل الطرق المؤدية الى قرطبة ، وكتب كل واحد منهم ما أحصاه ، ورفعوا جميعه الى المنصور ، فكان مجموع ما أحصوه في ذلك اليوم ستة آلاف وستمائة حمل حطب على اختلافها .(٤)

وقد زاد أزدهار الحالة الأقتصادية في الأندلس في عهد المنصور ابن أبي عامر نتيجة لكثرة غزواته وانتصاراته فيها ورجوعه منها محملا بالغنائم والأموال والسبي ، اضافة الى عنايته بالزراعة والصناعة والتجارة .

---

(١) : المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٧٩

(٢) : ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١١٢

(٣) : عنان : المرجع السابق ، ص ٦٩٠

(٤) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٩٨ ، ١٠٤

ولذلك توفر المال لدى عامة الناس وخاصتهم في الأندلس . وليس أدل على هذا الرخاء الذي تمتعت به الأندلس في عهد المنصور بن ابى عامر ان الناس في أيامه تغالوا فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلي والدور ترغيبا في زواجهن ، وذلك لرخص بنات الروم ، فكان أهل الأندلس يرغبون في تجهيز بناتهم بالملابس والحلي والذهب ، ولولا ذلك لما تزوج بعضهن. وحكى انه نودى على ابنة عظيم من عظماء الروم بقرطبة ، فكانت ذات حسن وجمال فلم تساو أكثر من عشرين دينارا عامرية . هذا وقد ازدهر المجتمع الأندلسي وبانت عليه معالم الثراء والبذخ في عهد المنصور بن ابى عامر بسبب كثرة غزوات المنصور وما تمخضت عنه من كثرة الغنائم والأموال والسبي . وفي هذا يقول ابن عذارى انه عقب وفاة المنصور بن ابى عامر خرج الناس صائحين : (مات الجلاب ، مات الجلاب) والجلاب كلمة كانت تطلق على بائع الدواب أو على النخاس بائع الرقيق ، ولكنها أطلقت هنا بمعنى مجازى مستحب يراد به مدح المنصور كقائد عظيم غمرهم بالسبايا عقب عودته من غزواته العديدة .(١)

ومن اخبار الازدهار الاقتصادى والترف الاجتماعي في الاندلس على عهد المنصور ابن ابى عامر ، انه لما قدم اليه مبعوث الامبراطور البيزنطي بازيل الثاني (٢) ليطلع على احوال المسلمين وقوتهم امرا ان يغرس في بركة عظيمة ذات أميال نيلوفر ، ثم أمر بأربعة قناطير من الذهب وأربعة قناطير من الفضة ، فسكت قطعا صغارا على قدر ما تسع النيلوفرة ، ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذى كان بالبركة ، وأرسل

---

(١) : عبد الواحد المراكشي : المعجب / تحقيق محمد سعيد العريان ، ص ٨٤
— احمد العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٥٠

(٢) : احمد العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦

الى مبعوث ملك الروم فحضر بين يدى المنصور قبل طلوع الفجر فى مجلسه فى الزاهرة حيث كان يشرف على موضع البركة . فلما اقترب طلوع الشمس ، جاء الف من الصقالبة عليهم أقبية من الذهب والفضة ومناطق ذهب وفضة ، وبيد خمسمائة منهم أطباق الذهب ، وبيد الخمسمائة الآخرين أطباق فضة ، فتعجب مبعوث ملك الروم من حسن صورهم ، وجمال شارتهم ، فحين أشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة ، فبادروا لأخذ الذهب وجاوءا به فوضعوه بين يد المنصور حتى صار كوما بيده ، فتعجب الرومى من ذلك ، وطلب من المنصور المهادنة . وعاد المبعوث الرومى الى بلاده ، وقال لملكه : " لا تعاد هوءلاء المسلمين ، فانى رأيت الأرض تخدمهم بكنوزها" . وقد استمر هذا الأزدهار الاقتصادى فى الأندلس فى عصر الدولة العامرية حتى نهاية عبد الملك المظفر بن المنصور ، ثم انحسر وتقلص فى عهد أخيه عبد الرحمن بن المنصور ، الذى زالت دولة العامريين بمقتله . (١)

ومما يدل على أستمرار الرخاء الاقتصادى فى عهد عبد الملك المظفر بن المنصور انه قام فى بداية حكمه للأندلس باسقاط سدس الجباية فى جميع أقطار الأندلس ، فنال بذلك محبة الناس على مختلف مراتبهم ، وكانت الأندلس فى عهده قد بلغت درجة كبيرة من الرخاء والأزدهار الاقتصادى والترف الأجتماعى ، حيث تنافس الناس فى الزخارف والترف وزينة اللباس . (٢) وكان أبوه المنصور قبله فى بداية خلافة هشام الموءيد بالله فى سنة ٣٦٦ هـ قد نسب اليه اسقاط ضريبة الزيتون بقرطبة ، وكانت الناس فى ذلك

---

(١) : المقرى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٨٥

(٢) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، جـ ١ ، ص ٥٩

الوقت مستكرهة تلك الضريبة .(١)

كان المجتمع الأندلسي يضم أجناسا من البشر ، ذوى عقائد عديدة وعادات مختلفة . وهذا المجتمع يتكون من العرب والبربر الذين ساهموا في فتح هذه البلاد بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير ، ومن المولدين والمستعربين (النصارى) واليهود . وكان عرب الأندلس من القبائل المضرية واليمنية ، وكذلك البربر كانوا ينتمون الى قبائل مختلفة .(٢) وهناك طبقة اجتماعية أخرى أخذت تلعب دورا هاما في حياة الأندلس السياسية والاجتماعية ، ولاسيما في قرطبة وهم الموالي المنحدرون من اصل أجنبي ويسميهم العرب بالصقالبة المجلوبين من الأرض الممتدة بين القسطنطينية وبلاد المجر . وقد أزدادت مكانة الصقالبة في المجتمع الأندلسي في عهد عبد الرحمن الناصر حيث بلغوا ما يقرب عن ١٣٧٥٠ صقلبيا ، وتقلدوا مناصب كبيرة في الدولة في عهده وفي عهد ابنه الحكم المستنصر لدرجة انه أصبح يعتمد عليهم اعتمادا كليا . هذا ويرجع دخولهم في خدمة الدولة منذ عصر الحكم الربضي . وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر قد استكثر عددهم واعتمد عليهم في قيادة الجيش وذلك ليحد من الاعتماد على القبائل العربية في الجيش .(٣)

ولكن المنصور بن أبي عامر في بداية حكمه للأندلس قلل من أهمية الصقالبة بأن نفى الكثير منهم خارج البلاد ، وسرحهم من مناصبهم .

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩

(٢) : عن التكوين الاجتماعي في الأندلس ، انظر / السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١١٩ - ١٣٣ - مصطفى الشكعه : الأدب الأندلسي ص ٢١ - جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ص ٣٥ - ٣٦

(٣) : جودت الركابي : نفس المرجع ، ص ٣٨ - ٤٠

كما أدخل في الجيش الأندلسي طبقة جديدة هي طبقة البربر الذين اعتمد عليهم في غزواته ، وقد أزداد عدد البربر في الأندلس في عهد المنصور بن أبي عامر وفي عهد ابنه عبد الملك الذى زاد من استجلاب البربر وتشجيعهم على الهجرة من العدوة المغربية الى الأندلس لالحاقهم بالجيش العامرى ، فأصبحوا يشكلون طبقة كبيرة فى المجتمع الأندلسي لهما مكانتها في السياسة والمجتمع الأندلسي .(١)

ويقول ابن غالب في رسالته " فرحة الأنفس" والتى ذكرها المقرى في وصف المجتمع الأندلسي ، حيث وصف لنا الأندلسي رجلا مهتما بلباسه وطعامه ، محبا للهو والغناء والموسيقى ، حسن التدبير ، محبا للعلوم ، ويستطرد ابن غالب في وصفه لأهل الأندلس بقوله : " أهل الأندلس عرب في الأنساب والعزة والأنفة وعلو الهمم وفصاحة الألسن ، وطيب النفوس، واباء الضيم ، وقلة احتمال الذل ، والسماحة بما في أيديهم ، والنزاهة عن الخضوع وأتيان الدنايا ، هنديون في أفراط عنايتهم بالعلوم وحسهم فيها وضبطهم لها وروايتهم ، بغداديون في نظافتهم وظرفهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائهم ولطافة أذهانهم ، وحدة أفكارهم ، ونفوذ خواطرهم . يونانيون في استنباطهم للحياة ، ومعاناتهم لضروب الفراسات ، وأختيارهم لأجناس الفواكه ، وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسين البساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر ، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة " .(٢)

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥١٤ - ٥١٥

(٢) : المقرى : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٧٦٣

الحيـــــاة العلميـــــه :-

لبث الأندلس عقب الفتح الاسلامي لمدة ردحا من الزمن بعيدا عن أن يكون مهدا لنشوء الحركة الفكرية . ذلك أنه خلال عصر الولاية لم تكن الأمور قد استقرت بعد ، كما لم تترك مشاغل الغزو وأشتداد العصبيات القبليه وكثرة تغيير الولاة واضطراب الأحوال الداخلية مجالا كبيرا لاشتغال الأندلسيين بالأدب .. هذا ويمكننا ان نرجع الحركة الفكرية الأندلسية الى عصر عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) المتوفى سنة ١٧٢ هـ ، فقد كان أول شخصية بارزة ظهرت في ميدان الفكر والأدب والشعر ، ولذلك يمكن أن يعتبر رائد النهضة العلمية والأدبية التي تفتحت فيما بعد ، وأزدهرت في عهد خلفاءه .

لقد كان عبد الرحمن الداخل فوق براعته الأدبية ، عالما بالشريعة الاسلامية . وكان ولده هشام المتوفى سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م مبرزا في الحديث والفقه ، وفي عصر هذا الأمير ظهرت طلائع النهضة الأولى في ميدان الفكر والأدب والتي كان يغلب عليها الطابع الديني في بداية الأمر . فقد رحل في عهد عبد الرحمن الداخل جماعة من فقهاء الأندلس الى المشرق ودرسوا في المدينة المنورة وقد أدى ذلك الى ذيوع مذهب الامام مالك في الأندلس منذ عهد ابنه هشام .

وفي عهد الحكم بن هشام أتخذت الحركة الفكرية طابعا أوسع ، وظهرت طوالع النزعة الأدبية الى جانب العلوم الدينية ، وظهر الأدباء والكتاب والشعراء الى جانب الفقهاء والمحدثين . وكان الحكم بن هشام

نفسه في مقدمة شعراء عصره وأدبائه ، وقد بلغ الشعر في عصره ذروته على يد شاعرين كبيرين هما العلامة عباس بن فرناس ، ويحيى الغزال الحياني . وكان الأول بالاضافة الى شاعريته عالما بالفلسفة والفلك والكيمياء الصناعية والموسيقي كما كانت له مخترعات علمية وهو أول من حاول اختراع طريقة لطيران الانسان . كما كان عالما بالفلسفة والفلك .

وفي عهد عبد الرحمن بن الحكم بلغت الحركة الفكرية في الأندلس أولى ذروتها ، ففي ميدان الكتابة أحتشد في بلاطه عدة من أكابر الكتاب المشهورين ، كما كان هو نفسه يتمتع بالمواهب الأدبية والشعرية (١) .

وكان من أبرز الظواهر الأدبية في عصر الخلافة الأموية أنتشار اللغة العربية وآدابها بين طائفة المستعربين أي النصارى المعاهدين ، ونبوغ الكثير منهم فيها ، وبلوغهم مرتبة البراعة في كتابتها . كما ظهر شاعر من أعظم شعراء الأندلس وهو الفقيه أبو عمر بن عبد ربه (٢٤٦-٣٢٨هـ) صاحب كتاب (العقد الفريد) الذي يعتبر من أعظم آثار الأدب الأندلسي . ويعتبر العقد الفريد بطابعه المشرقي على نقيض كتاب (الذخيرة) لابن بسام الشنترى المتوفي سنة ٥٤٢ هـ ، والذي يعتبر بمحتوياته وروحه مثلا ساطعا للأدب الأندلسي . وكان عصر عبد الرحمن الناصر من المع عصور الدولة الأموية في الأندلس ، فقد زهت فيه العلوم والآداب وظهرت فيه جمهرة من أكابر الشعراء والعلماء (٢) .

كما ظهر في عهده وفي عهد ابنه الحكم ثم في عهد المنصور

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٦٩٤ - ٦٩٦
— علي حسني الخربطلي : الاسلام في حوض البحر المتوسط ، ص ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٩

(٢) : عنان : نفس المرجع ، ص ٦٩٥ ، ٦٩٦
— محمد كرد علي : الاسلام والحضارة العربية ، ج ١ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦

ابن أبي عامر أعلام المؤرخين الذين وضعوا أسس الرواية الأندلسية ، أولهم أحمد بن محمد بن موسى الرازى المتوفى سنة ٣٤٤ هـ ومن تصانيفه " أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم " وكتاب " الاستيعاب فى أنساب أهل الأندلس" وكتاب " صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان فيها " . وقد كانت رواية الرازى مستسقى خصبا لمؤرخي الأندلس وفي مقدمتهم عميدهم ابن حيان ، وابن القوطية الذى كتب تاريخه المسمى " تاريخ افتتاح الأندلس" ، وأحمد بن موسى العروى المتوفى سنة ٣٨٨ هـ والذى الف كتابا عنوانه" تاريخ الأندلس" ، وحسين بن عاصم ، وهو من أهل العلم والأدب ، وله كتاب " المآثر العامرية " فى سيرة المنصور بن أبي عامر وغزواته وأوقاتها .

ومن أعلام الأدباء الذين ظهروا فى هذه الفترة محمد بن عبد الله بن يحيى بن أبي عامر ، وهو من أهل الأدب ومن أبناء البيت العامرى أمراء الأندلس ، وعبد الله بن محمد بن مسلمه ، وهو أديب وناقد من نقاد الشعر ، وكان رئيسا جليلا فى دولة المنصور بن أبي عامر ، وكان له ديوان يجتمع فيه الأدباء والشعراء ، والوزير أبو مروان عبد الملك بن يحيى بن أبي عامر ، وهو من أهل الأدب والشعر ، وهو ابن أخى المنصور ابن أبي عامر ، وكذلك الوزير أبو عمر بن حزم كاتب المنصور ، وكانوا اسع الأدب والمعرفة (١) .

وفى ميدان الشعر ظهر الوزير جعفر بن عثمان المصحفى ، الذى تولى الحجابة للحكم المستنصر ، وتوفى فى عهد المنصور بن أبي عامر فى سجن الزهراء سنة ٣٧٢هـ . وفى عصر الحكم المستنصر أزدهرت

(١) : الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٦٧
— الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٦٦ ، ٢٢٤

النهضة الفكرية نظرا لأن الحكم المستنصر كان أديبا وعالما ومشجعا للعلم والأدب ، بل كان رائدا للحركة الفكرية في عصره ، التي كان من أبرز ظواهرها جامعة قرطبة العظيمة ، وأحتشاد أكابر الأساتذة بين عقودها ، وأنشاء المكتبة الأموية الكبرى في قرطبة ، والتي بذل الحكم المستنصر في أنشائها من الجهد والمال ما لم يسمع بمثله حتى بلغت محتوياتها زهاء أربعمائة الف مجلد من مختلف أصناف العلوم والفنون . كما كثرت في عهده المكتبات العامة والخاصة ، واحتشد حول بلاط الحكم المستنصر كبار العلماء والأدباء والشعراء وفي مقدمتهم الحافظ أبو بكر معاوية القرشي ، وأبو علي القالي .(١)

وقد كان الأندلسيون شغوفين بطلب العلم يقرأون ليعلموا ويتعلموا ، فالعالم منهم بارع لانهم يطلبون ذلك العلم بباعث من أنفسهم ، ويحمل البعض منهم ان يترك عمله الذي يستفيد منه ، وينفق ما عنده حتى يتعلم . وكل العلوم لها عندهم اعتناء الا علم الفلسفة والتنجيم التي لا حظ لها الا عند خواصهم ولكنهم لا يتظاهرون بها خوفا من العامة اذ كان العامة يطلقون على من يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أسم زنديق ، وكانوا يزجرون من تعلمها ويعاقبونه ،.(٢)

---

(١) : عنان : المرجع السابق ، ص ٧٠٠ - ٧٠١

(٢) : محمد كرد علي : الأسلام والحضارة العربية ، جـ ١ ، ص ٢٤٥- ٢٤٦
— جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ص ٢١
— على الرغم من كراهية الأندلسيين للفلسفة وأتهام من يشتغل بها وبالتنجيم بالزندقة فانه ينسب الى الامير عبد الرحمن الأوسط ادخال الفلسفة الى الاندلس ، فقد كان يبعث رجاله الى المشرق للبحث عن كتب الفلسفة وتصانيف الفكر اليوناني والهندي والفارسي (انظر ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس ، ص ٦٣) .

وقد أتاح الصلح الذى تم بين المسلمين فى عهد الحكم المستنصر والنصارى فى شمال أسبانيا أن يخصص الحكم المستنصر معظم أوقاته فى جمع الكتب . فقد كان يبعث برجاله الى المشرق الاسلامى لشراء المخطوطات النادرة ، والكتب الجيدة عند وراقى القاهرة ، ودمشق وبغداد والقيروان وفاس وأحضارها لقرطبة ، وكان الحكم نفسه يقوم بالتعليق على بعض الكتب ، أضافة الى تشجيعه للرحلات التى يقوم بها بعض علماء الاندلس فى طلب الحديث الشريف ممن متبعه فى المشرق الاسلامى فى مكه المكرمه والمدينة المنورة وغيرها .(١)

ولا شك ان حضارة الاندلس كانت أصولها من المشرق الاسلامى ، الا ان هذه الحضارة تمت فى الاندلس وتطورت فى تلك الأرض الخصبة وتوفر لها فى الاندلس على يد علمائه وأدبائه وشعرائه من الاضافات والخصائص الذاتيه ما جعلها تتسم بطابعها الاندلسى .(٢)

وقد كانت قرطبة حاضرة الخلافة الاندلسية ، أعظم مركز للدراسات الدينيه والعلمية والأدبية فى الاندلس ، كما أضحت جامعتها أى جامعة قرطبة الشهيرة منذ عهد الحكم المستنصر وعهد المنصور بن أبى عامر من أعظم الجامعات الاسلامية . ففى عهد الدولة العامرية برز الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء ، وكان للتشجيع والرعاية التى حظوا بها من قبل المنصور بن

---

(١) : جودت الركابى : فى الأدب الاندلسى ، ص ٢١
— شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج ٢ ، ص ٢٥٤
— لين بول : قصة العرب فى اسبانيا ، ص ١٣٩- ١٤٠

(٢) : عباس العقاد : أثر العرب فى الحضارة الاوربية ، ص ١١٦
— عبد الرحمن الحجى : أندلسيات ، ص ١٥٦- ١٥٩

أبي عامر ، ومن بعده ابنه عبد الملك ، أكبر الأثر في أثراء الحياة العلمية في الأندلس في هذه الفترة .[١] وفي الصفحات التالية أحاول أبراز هذه الاضافات في ميداني الدراسات الاسلامية والأدبية خاصة .

الدراسات الاسلامية :-

لقد أسهم العلماء والفقهاء الأندلسيون بجهود كبيرة في تفسير القرآن الكريم وتدريسه وفي الشروح الفقهية ، كما قاموا بدور كبير في تعليم الأندلسيين الشريعة الاسلامية وفي حثهم على عمل الخير ولذلك عظمت منزلة الفقهاء والعلماء في الأندلس .[٢] كما حرص كل أمير وخليفة في الأندلس في مختلف الأزمنة على احترام العلماء والفقهاء وأجلالهم ، ووضعهم في الموضع الذي يليق بهم ، وكان معظم أمراء الأندلس على مستوى من الثقافة الدينية تسمح لهم بمجالسة الفقهاء والعلماء الذين كانوا في العادة زينة مجالسهم . وكانت أهم العلوم التي يقبل عليها الأندلسيون قراءة القرآن الكريم وتفسيره ، والفقه والحديث ، وعلم أصول الدين والقراءات والنحو وعلوم اللغة العربية .[٣]

كان المنصور بن أبي عامر منال الأعجاب والتقدير من قبل رجال الدين في الأندلس ، وذلك لما يقوم به من جهاد كبير ضد الممالك النصرانية في شمال الأندلس . ومع ذلك كان المنصور بن أبي عامر يخافهم ، ويميل الى مهادنتهم

---

(١) : عنان : تراجم أسلامية ، ص ٢٧١
— عثمان الكعاك : الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص ٤
— علي أدهم : منصور الأندلس ، ص ١٣٨ - ١٣٩
(٢) : ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس ، ص ٥٥
(٣) : مصطفى الشكعه : الأدب الأندلسي ، ص ٧٢ - ٩٧

نظرا لما يتمتعون به من قوة الكلمة والتأثير لدى عامة المسلمين في الاندلس . فكثيرا ما قامت بين الفقهاء وبعض أمراء الاندلس مثل الحكم بن هشام وعبد الرحمن الاوسط مصادمات ، غير ان المنصور بن ابى عامر حرص على اقامة علاقة متكافئة مع الفقهاء ، فهو من جانبه لم يحاول التقليل من نفوذهم ومكانتهم ، الا انه في الوقت نفسه لم يتح لهم الفرصة للتدخل في شئون الحكم . فقد كان يضعهم موضع التقدير والاحترام ، وذلك يعود الى تربيته الاسلامية والى المنابع التي تشرب منها ثقافته وعلومه الاسلامية على أيدي علماء وفقهاء قرطبة .(١)

وعندما كانت تحدث مجادلة بين الفقهاء والفلاسفة ، كان المنصور ابن ابى عامر يساند فيها الفقهاء لينال رضائهم . وعلى الرغم من ذلك فقد اتهم بعض الفقهاء المنصور بالزندقة والوهن لتساهله في تشجيع الفلاسفة ، مما اضطره الى استدعاء الفقهاء ورجال الدين من امثال ابن زبيدى وغيره الى مكتبة الحكم المستنصر ، وامرهم باخراج كتب الفلسفة المؤلفة في علم المنطق والتنجيم والتي عارضوه في بقائها ، فأمر باحراقها . وليس ثمة شك في ان المنصور كان يهمه استرضاء الفقهاء والعلماء لكي لا يكونوا حجة عليه في قتله لمنافسيه ومعارضيه في الحكم .(٢)

---

(١) : ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٦٨
— لين بول : قصة العرب في اسبانيا ، ص ١٤٧ - ١٤٩

(٢) : ابراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩
— انيس النصولي : الدولة الاموية في قرطبة ، ص ١٣١ - ١٣٢

وقد زخر عهد المنصور بن أبي عامر وعهد ابنه عبد الملك بكوكبة كبيرة من أعلام الاعلام والفقهاء . فممن أعلام الحديث ، أحمد بن موسى ابن ينق ، ويكنى أبا بكر ، وكان رجلا صالحا ثقة في روايته . ويقال انه توفي في شهر ذى القعدة سنة ٣٧٩ هـ .(١) والفقيه عبد الله بن يونس ، وهو من أهل طليطلة ، ويكنى أبا محمد ، وكان من أهل العلم والرواية والتبتل والعبادة والاجتهاد ، كما كان من أهل الأدب واللغة العربية ، لحقته سعاية عند المنصور بن أبى عامر - في صدر أيامه - من قبل عامل بلدة لانقباضه عنه ، فاسكنه المنصور فى قرطبة ، وكان منطويا على نفسه ، توفي سنة ٣٧٥ هـ .(٢) والفقيه أحمد بن عبد الله بن محمد بن شريعة اللخمي ، ويعرف بابن البامي ، وهو من أهل اشبيلية ، ويكنى أبا عمر ، وكان من أهل العلم عارفا بالحديث ووجوهه . وأمام مشهور نشأ فى العلم ومات عليه ، ويقول الخولاني " لم ترعين مثله في الحديث " ، تونفي ليلة الجمعه ، ودفن يوم الجمعه في الحادي عشر من المحرم سنة ٣٩٦ هـ . وكذلك الفقيه أحمد بن خلف بن فرتون المديوني ، من أهل مدينة الفرج ، ويكنى أبا عمر رحل الى الشرق ، وروى عن الكثير من الفقهاء ، توفي فى سنة ٣٩٧ هـ . والفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر بن عبد الملك العبسي ، من أهل اشبيليه ، يكنى أبا عمر ، رحل الى المشرق وعاد الى الأندلس ، وله موءلف فى الفقه سماه " الاقتصاد " وله تأليف فى الزهد سماه " الاستبصار" ، توفي سنة ٣٧٩ هـ . وايضا الفقيه أحمد بن أبان سيد صاحب الشرطة بقرطبة ، ويكنى أبا القاسم ، روى عن أبى على البغدادى وغيره ، وحدث بكتاب الكامل عن سعيد بن جابر ، توفي سنة ٣٨٢ هـ . والعالم أحمد

(١) : ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١، ص ١٣
(٢) : ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة ، جـ ٢ ، ص ٢٨١ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥

ابن محمد بن داود التجيبي ، وهو من أهل طليطلة ، ويكنى أبا القاسم ، توفى سنة ٣٨٣ هـ . والفقيه احمد بن محمد بن سليمان ابن خديج الأنصاري ، وهو من أهل قرطبة ، ويكنى أبا عمر ، وكان راويه للحديث داريا للفقه ، كثيرا لتلاوة القرآن ، شديد الانقباض عن الناس ، وكان لا يأكل اللحم ولا يسيغه ، الا ان يكون لحم الحوت ، توفى سنة ٣٩٠ هـ . (١)

كما برز في عهد المنصور بن أبي عامر وفي عهد ابنه عبد الملك عدد كبير من أعلام القضاة فمن أشهرهم أبو بكر محمد بن أسحاق ابن سليم ، وكان بصيرا بالاختلاف ، عالما بالحديث ، ضابطا لما رواه ، متعرفا في النحو واللغة ، حسن الخطابة ، وكان قاضي الجماعة بقرطبة ، توفي يوم الثلاثاء في شهر جمادى الأولى سنة ٣٦٧ هـ . كذلك القاضي أبو بكر محمد بن يبقى بن زرب ، وهو قاضي الجماعة بقرطبة ، كان فقيها توفي سنة ٣٨١ هـ ، وله كتاب في الفقه سماه " الخصال " وكان ذلك في أوائل عصر الدولة العامرية . وايضا القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن زكريا المعروف بأبن برطال ، وقال عنه ابن حيان في كتاب القضاة انه خال المنصور بن أبي عامر ، وكان من بيت غني بالثروة ، وكان مشهورا بصلاحه ، ووقورا حليما ، تولى قضاء قرطبة بعد ابن زرب الى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١م ، ثم عزله المنصور بن أبي عامر عن القضاء لكبر سنه . وفي سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م ولاه المنصور خطة الوزارتين ، وتوفى سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٤ م . وكذلك القاضي أبو العباس أحمد بن ذكوان ، وهو

---

(١) : ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ١٢ - ١٣
- ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة ، جـ ٢ ، ص ٤٨٤ - ٤٨٥

من شيوخ أهل العلم ، مذكور بالفضل ، ومن بيت فيهم علم ورياسة القضاء يتردد فيهم ، قلده المنصور بن أبي عامر القضاء بعد خالته واتصلت ولايته في القضاء الى قيام الفتنة . وقد عزل عن القضاء في عهد عبد الملك بن المنصور وذلك لوشاية من الوزير ابن القطاع الا انه عاد اليها مرة أخرى ، ورفعت منزلته في عهد عبد الملك ، وتوفي يوم الأحد التاسع والعشرين من شهر رجب سنة ٤١٣ هـ . والقاضي أبو المطرف عبد الرحمن بن فطيس ، ولي القضاء بين مدتي أبي العباس بن ذكوان ، وهو من جهابذة المحدثين وكبار العلماء المسندين ، حافظا للحديث وعلله ، وكان مشهورا بالصلابة في الحق ، وكانت وفاته في صدر الفتنة ، فدفن يوم الثلاثاء الخامس عشر من شهر ذي القعدة سنة ٤٠٢ هـ . والقاضي أبو عمر بن سعيد بن ابراهيم الهمداني المعروف بابن الهندي ، ذكره ابن بشكوال في كتاب الأعلام انه روى عن ابي علي صاحب كتاب الامالي ، وكان حافظا للفقه وأخبار أهل الأندلس.(١) والقاضي خلف بن يامين ، وهو من أهل مدينة سالم وقاضيها ، وهو الذي قبض على طرف كم ثوب القائد غالب قائد الثغر الأعلى حينما أراد قتل المنصور بن أبي عامر ، فحقد عليه غالب وقتله سنة ٣٦٩ هـ ،(٢) والقاضي أبو بكر يحيي بن وافد ، وقد جرت له خطوب طويلة مع المنصور بن أبي عامر ، وكانت سبب نزوع نفس هشام المؤيد ، وتوليته القضاء بعد ابن ذكوان ،

---

(١) : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢١٤ ، ٢١٦ - ٢١٧

(٢) : ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة ، جـ ١ ، ص ٢٩٣

وكان فقيها عالما ، حافظا ،عادلا ،نزيها ، وكان من أعلام الشورى في قرطبة ، توفي سنة ٤٠٤ هـ .(١) والقاضي أحمد بن حكيم بن محمد العاملي ، ويكنى أبا عمر ، وهو من أهل قرطبة ، ويعرف بابن اللبان ، ولي قضاء موره وقرمونة ، وهو وأخوه يحيى بن حكم من أهل العلم ، توفي سنة ٣٩٠ هـ ،(٢) وكذلك القاضي عبد الله بن عبد الرحمن بن الحجاف المعافري ، وهو فقيه محدث من أهل بيت قضاء وعلم ، وهو من أهل بلنسية من أعمال شرق الأندلس ، وقد قال عنه أبو محمد علي بن أحمد انه روى الحديث عنه ، وانه أفضل قاضي رآه ، مات قرابة سنة ٤٠٠ هـ .(٣) والقاضي ابو مروان القرشي المعيطي ، وهو فقيه مشهور في الدولة العامرية ، وقد جمع من أقاويل الامام مالك بن أنس وروايات أصحابه كتابا اجتمع على جمعه مع الفقيه أبو عمر أحمد بن عبد الملك المعروف بابن المكوى ، وذلك بأمر المنصور بن أبي عامر .(٤) والقاضي عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الاموى المعروف بالاصيلي أبو محمد ، وهو من كبار أصحاب الحديث والفقه ، رحل لطلب العلم الى القيروان ومصر ومكه المكرمه وبغداد والكوفة ، وكان الحكم المستنصر قد طلبه من العراق ، وعند وصوله الى مدينة المرية مات الحكم ، وظل حائرا ،ثم سار الى قرطبة وبقي فيها ،حتى عرف المنصور بن أبي عامر مكانته في العلم

---

(١) : ابن سعيد : نفس المصدر ، جـ ١ ،ص ١٥٥ - ١٥٦

(٢) : ابن الابار : نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ١٥ - ١٦

(٣) : الحميدى : جذوة المقتبس ،ص ٢٦٢

(٤) : الضبي : بغية الملتمس ،ص ٥٢٩

فقدمه الى الشورى ، ثم ولاه قضاء سرقسطة . توفى سنة ٣٩٢ هـ أثر موت المنصور بن أبي عامر.(١)

ا لدراسات الأدبيه :-

كانت العربية لغة الأندلس بها تجرى المكاتبات والمراسلات ، وكان الأمراء والخلفاء في الأندلس ورجال الدولة يتنافسون في دراستها وأجادتها ويقربون من يحسن اللغة العربية وقواعدها وآدابها ، ويعملون على حسن أختيار كتابهم (٢) وقد ظهر عدد كبير من النحويين في عهد المنصور بن أبي عامر . فمنهم النحوى ابو بكر محمد بن الحسين الزبيدى الأشبيلي صاحب كتاب " الواضح " وهو الذى اختصر كتاب العين للخليل بن أحمد ، وكان مع ذلك مشهورا في الأدب والشعر.(٣) وكذلك النحوى محمد ابن خطاب الأزدى ، وهو من أهل قرطبة ، قال الحميدى فيه : انه كان يختلف اليه في علم العربية أولاد الأكابر ، وله مع ذلك شعر مأثور ، وكان على قيد الحياة قبل سنة ٤٠٠ هـ (٤) . وايضا محمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوى ، وهو من أهل قرطبة ، وصاحب التاريخ في الدولة العامرية ، ويكنى أبا الوليد ، وكان حافظا في اللغة مشاركا في الأدب ، ومن أعلم الناس بالكتب وعللها . والنحوى محمد بن مبارك ، وكان مولى المنصور ابن أبي عامر ، من أهل سرقسطة ، ويكنى أبا عبد الله ويعرف بابن الخباز ، وكان حافظا للغة بليغا في الأدب ، وله مؤلفات . وايضا الحسين بن الوليد أبو القاسم ، وكان أماما في اللغة العربية ، وأستاذاً

---

(١) : الضبي : نفس المصدر ، ص ٣٤٠ - ٣٤١

(٢) : جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ص ٦٤
— عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، ص ٨٩

(٣) : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦

(٤) : ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة ، جـ ١ ، ص ٣٧٧ ، ٣٨٤
— على أدهم : منصور الأندلس ، ص ١٧٨

فى الادب ، له فى الادب موءلفات ، وله كتاب يشتمل على مسائل من النحو أعترض فيها على ابن جعفر أحمد بن محمد النحاس النحوى وقد ذكرها أبو جعفر فى كتابه المعروف بـ " الكافى ". والنحوى محمد بن الطايف ، كان من أهل البلاغة والادب ، ذكره أبو عامر ابن شهيد ، وكان فى عصر المنصور بن أبى عامر.(١)

الشعراء ومجالس المنصور الادبية :-

وبلغت الاداب والعلوم العربية فى الدولة الاسلامية بالاندلس المثل الاعلى لاداب أمة وعلومها ، وذلك لتشجيع حكام الاندلس للادباء والشعراء ، ففى الاندلس وصل الادب والشعر الغاية فى الابداع والرونق ، والتى لم يصلها فى دولة أسلامية أخرى . وقد أضاف شعراء الاندلس وادباوءها بلاغة المشرق الاسلامى فى شعرهم وآدابهم ، وذلك ان الاندلسيين يرون عرب المشرق المثل الاعلى لشعرهم وادبهم ، ويجدونهم منبع علومهم وفنونهم ، وأضاف ذلك الى أدبهم أسمى ضروب الرقة والافتنان فى صنوف الاستعارة والتشبيه والتعبير عن الاحساس والمشاعر ووصف الاشياء والالام والمسرات وتقلبات الحياة فى المدح والهجاء والفخر والرثاء . وكان لطبيعة بلاد الاندلس وسمو حضارتهم وما ترتب على ذلك من رقة أمزجتهم وسلامة أذواقهم أن ظهر شعرهم وادبهم فى أروع كمال . وكان نبوغ الامراء والخاصة من رجال الدولة فى الادب والشعر أمرا عاديا ،

---

(١) : الضبى : بغية الملتمس ، ص ٨٣ ، ٢٦٧
- الحميدى : نفس المصدر ، ص ١٩٤

وذلك لولع معظم المجتمع الأندلسي بالأدب والشعر ، حيث ان طبيعة وجمال بلاد الأندلس قد أثر في أحساسهم . ويذكر ان بعض السوقه كانوا ينظمون الشعر باللغة العربية الفصحى وذلك لمجالستهم الشعراء في جلساتهم الشعرية .(١) وقد أثرت الطبيعة فيهم فجاء شعرهم خلابا بمعانيه وتصويره ، كأنه على نمط آخر من شعر المشارقة ، أحتفظ بجميع ضوابط الشعر وأصوله ! وقد منح الله الأندلس طبيعة فاتنة ، فكانت أغنى بقاع المسلمين منظرا وأوفرها جمالا ، فجاء شعرهم شعرا صادقا من أعماق القلوب يتميز بدقة الشعور والعواطف وبدقة وصفها في أسلوب بديع ممزوج بالخيال الواسع .(٢)

ومن خصائص شعر الطبيعة في الأندلس انه يتعلق ببيئتهم وتفضيلها عن غيرها من البيئات ، ويصف طبيعة الأندلس كما أبدعها الله في الحقول والرياض ، والأنهار ، والجبال ، والسماء ، والنجوم ، ويصفها ايضا كما صورها الفن مجلوة في القصور والمساجد والبرك والأحواض وأكمل بها أحساسهم بجمال الطبيعة .(٣)

وقد نظم شعراء الأندلس الشعر في مختلف الأغراض ، ولم يشذوا بوجه عام عن القواعد والأساليب التي اتبعها المشارقه في أشعارهم ، فكان شعرهم في المدح ، والرثاء ، والهجاء ، والزهد ، والتصوف ، والحماس ، والوصف .(٤)

---

(١) : جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ص ٥٩ - ٦٠ ، ٧٥
— عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، ص ٨٨ - ٨٩
(٢) : محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية ، جـ ١ ، ص ٤٥
— جودت الركابى : نفس المرجع ، ص ٣٠ ، ٦٠ ، ٧٥
(٣) : مصطفى الشكعه : الادب الاندلسى ، ص ١٣٠ ، ١٣٦
(٤) : جودت الركابى : نفس المرجع ، ص ١٤ - ١٥ ، ١١٨ - ١٢٢

ولهم ايضا شعر في الزجل يعالج الوصف والفخر والزهد والرثاء والمديح ، وقد ظهر الشعر الزجلي بلغة دارجة أي بتكرار القافية دون الألتزام بالأعراب .(١)

أما فن الموشحات فقد ظهر في الأندلس ، وحدد له الشعر وزنه وحرره من قيود الشعر التقليدي وقوالب الأوزان وضبط القافية ، وهو فن من فنون الشعر أتخذ قوالب في نطاق تعدد الأوزان الشعرية . وكانت الموشحات تنال أعجاب الأندلسيين وذلك لسلاستها وسهولة تناولها وقرب طريقها . وقد سمي هذا الفن بالموشح لما فيه من ترصيع وتزيين وتناظر وضعه .(٢)

وكان الخليفة الحكم المستنصر نفسه يحب مجالسة الأدباء والشعراء وذلك لحبه وتمكنه من العلوم الشرعية وتحقيق الأنساب ، كما كان أديبا ينظم الشعر . ثم كان الأنقلاب العظيم في مصاير الخلافة الأموية ، وتغلب محمد بن أبي عامر أو الحاجب المنصور بن أبي عامر على الدولة في الأندلس . ومن حسن الطالع ان المنصور كان عالما متمكنا من الشريعة والأدب بارعا في النثر والنظم ، وكان يتصدر مجالس العلماء والأدباء ، حتى انه خلال الغزو كان يصطحب معه طائفة من الشعراء ينظمون في مجلسه خلال السير .(٣)

كما وضع المنصور بن أبي عامر ديوانا يضم أسماء الشعراء وينزلهم فيه حسب مراتبهم في الشعر ، وكانت الصلات والأعطيات المرسومة

---

(١) : عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص ٢٥٤-٢٥٥
— مصطفى الشكعه : المرجع السابق ، ص ٤٤٧ ، ٤٥٠

(٢) : عباس أحسان : تاريخ الإدب الإندلسى ، ص ٢١٧
— جودت الركابى : في الادب الاندلسى ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٥

(٣) : الحميدى : جدوة المقتبس ، ص ٧٨ - عباس أحسان : نفس المرجع ، ص ٧٨

لهم ، تقدر حسب مراتبهم المذكورة ومواهبهم الشعرية . وقد أوكل أمر هذا الديوان والاشراف عليه الى الأديب عبد الله بن محمد بن سلمة الذى كان على جانب كبير من الأدب والمعرفة بالشعر وفنونه ، فكانت على يده تخرج عطايا الشعراء ، وبنظره ينزلون منازلهم فى الديوان . (١)

وكان من أعظم شعراء الأندلس فى عصر المنصور بن أبى عامر ومن جلسائه فى مجالس الأدب / الشاعر أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلى وكان ابن دراج القسطلى كاتبا بليغا من كتاب ديوان الانشاء وشاعرا لامعا ، وقد نبغ فى ميدان الشعر نبوغا جعله عمدة شعراء عصره . وكان من شعراء المنصور المقربين له ، وله فيه مدائح رائعة ومن حسن كتابات ابن دراج النثرية الرائعة وصفه لفتح المنصور لشنت ياقب وقد أبدع فى وصفه وحاز على سرور المنصور وأعجابه . ولما توفى المنصور بن أبى عامر سنة ٣٩٢ هـ ، تجول ابن دراج فى أنحاء الأندلس ، ومدح بعض أمراء الطوائف . وقد قال العلامة ابن حزم فى حقه : انه لم يكن بالأندلس أشعر من ابن دراج ، وتوفى ابن دراج سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م . (٢) ومن الشعراء المقربين للمنصور بن أبى عامر الشاعر أبو العلاء صاعد بن حسن البغدادى المتوفى سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م ، وكان قد قدم من المشرق الى الأندلس فى أوائل عصر المنصور بن أبى عامر ، وكان أبو العلاء صاعد عالما باللغة والأدب والتواريخ ، فقربه المنصور وعطف عليه ، وجمع له صاعد كتابا سماه " الفصوص فى الأدب والأشعار والأخبار" فأمر له المنصور بخمسة آلاف دينار ، وأمر ان يقرأه على الناس

---

(١) : الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٧٥
— ليفى بروفنسال : حضارة العرب فى الأندلس ، ص ٦٥

(٢) : الحميدى : نفس المصدر ، ص ١١٠ - ١١١ ، ١١٢
— الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٥٨ - ١٦٠
— عبد العزيز عتيق : الأدب العربى فى الأندلس ، ص ٨٩ - ٩٠

بمسجد الزاهرة .(١) ومن المقربين ايضا للمنصور بن أبي عامر، عبد الرحمن بن فطيس قاضي الجماعة بقرطبة ، وكان من أئمة المحدثين وكبارهم، وله مشاركة في مختلف العلوم والسير وكان يحضر بعض المجالس الأدبية لدى المنصور بن أبي عامر .(٢)

وكان المنصور يفتتح مجلسه للشعراء والأدباء ، وكان له في الأسبوع مجلس يجتمع بهم للمذاكرة والمناظرة في مختلف العلوم ، ويستأنس برأيهم وكان هؤلاء يتحدثون عن المنصور وتدينه وورعه وعدله وفيضه وبره ، ويقولون عنه بكل محمدة .(٣) ويحكى ان أبا محمد الباجي الراوية دخل على المنصور يوما ، وقال له " اصلحك الله ياحاجب ، وحفظك ووفقك وأحسن عونك " فرد عليه المنصور بن أبي عامر وقال له " كيف انت اليوم وحالك " فقال له بخير ما كنت به . واستمرت المناظرة بينهما وأخذ يلوم المنصور ، فقال له المنصور : يافقيه هكذا صاحب الدنيا لابد أن يخلط خيرا بشر ، ويأتي معروفا ومنكرا ، والله يثوب على من يشاء برحمته .(٤)

ومن المناظرات بين المنصور بن أبي عامر والشعراء تلك التي وقعت بينه وبين الشاعر أبو العلاء صاعد بن حسن الربعي اللغوى . فقد حدث انه دخل على المنصور يوما في مجلس أنس ،وقد كان تقدم ، فاتخذ قميصا من رقاع الخرائط التي وصلت اليه فيها صلاته ،ولبسه تحت ثيابه ، فلما خلا المجلس ، وجد أبو العلا فرصة لما أراد ، وتجرد وبقي في القميص المتخذ من الخرائط ، فقال له المنصور ، ما هذا ؟ فقال له أبو العلاء :

---

(١) : المقرى : نفح الطيب ، ج ٣ ،ص ٥٨

(٢) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ،ص ج ١، ص ٢٢

— عنان : المرجع السابق ، ص ٧٠٣ - ٧٠٥

(٣) : البتنوني : رحلة الاندلس ،ص ٦٩ - ٧٠

(٤) : ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤

هـذا رقاع صلات مولانا أتخذناها شعارا فبكى ، وأخذ يذكر محاسن المنصور عليه ، فأعجب المنصور منه ، وقال له : لك عندى مزيد من العطاء . وكان قد حظى عنده عند ما الف له كتاب " الفصوص" وهذا الكتاب على نحو النواد ر لأبى على القالى .(١) وقيل ان ابا العلاء صاعدا دخل على المنصور فى يوم مطير وعليه ثياب جدد فمشى على حاشية الصهريج ، وذلك لازدحام من حضر فى مجلس المنصور، فزلق وسقط فى الماء ، فضحك المنصور بن أبى عامر وأمر باخراجه ، فلما نظر اليه المنصور أمر بخلع ثيابه ، وقربه من مجلسه ، ثم قال له : ياأبا العلاء هل قلت فى سقطتك شيئا ، فأجاب صاعدا بقوله :

شيئان كانا فى الزمان غريبة ضرط ابن وهب ثم زلقة صاعد

فأستبرد المنصور ما أتى به . وكان الكاتب أبو مروان الجزيرى حاضرا ، فقال له ياأبا العلاء ، هلا قلت :

سروري بغرتك المشرقة وديمة راحتك المغدقة

ثنانى نشوان حتى هويت فى لجة البركة المطبقة

لئن ظل عبدك فيها الغريق فجودك من قبل ذا اغرقه

فقال له المنصور : لله درك ياابا مروان ، قسناك بأهل العراق ففضلتهم ، فبمن تقاس بعد ؟ فعينه يومئذ للشرطة .(٢)

وكان ابو العلاء كثيرا ما يستغرب له الألفاظ ويسأل عنها فيجيب فيها بأسرع جواب على نحو ما يحكى عن ابى الزاهد ، ولو ان أبا العلاء

---

(١) : الضبى : بغية الملتمس ، ص ٦٩ - ٧٠
(٢) : ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٢٣
— عبد العزيز عتيق : الادب العربى فى الاندلس ، ص ٨٧ - ٨٨

كان كثير المزاح لما حمل على التصديق ، وقد ظهر صدقه في بعض ما قال . ومما يحكى عنه انه دخل على المنصور بن أبي عامر وفي يديه كتابه ورد عليه من عامل له في بعض البلاد اسمه مبرمان ابن بريد ، يذكر فيه القلب والتربيل وهما عندهم من معاناة الأرض قبل زرعها ، فقال له أبا العلاء ، فأجابه أبا العلاء لبيك يامولانا ، قال : هل رأيت فيما وقع اليك من الكتب ، كتاب القوالب والدوالب لمبرمان بن بريد ، قال : أي والله يامولانا رأيت ببغداد في نسخة لأبي بكر ابن دريد بخط كاكرع النمل في جوانبها علامات هكذا ، فقال له المنصور : أما تستحي ابا العلاء من هذا الكذب ، هذا كتاب عاملنا ببلد كذا واسمه كذا ويذكر فيه كذا ، الذى تقدم ذكره ، وانما صنعت هذا تجربة لك . فجعل أبو العلاء يحلف انه ما كذب ، وانه أمر وافق . وقال له المنصور مرة أخرى وقد قدم طبق فيه تمر ، ما التمر في كلام العرب ، فقال أبو العلاء : يقال تمر كل الرجال يتمر كلا اذا التف في كساء . وسأل مرة أبو عبد الله العاصي النحوى أبا العلاء صاعد في مجلس المنصور مسائل في النحو غامضة ، فقصر فيها فلما رآه المنصور بن أبي عامر مقصرا في جوابه ، قال دعوه فهو من طبقتي في النحو ، انا أناظره ، قال ثم سألنا أبو العلاء صاعد ، فقال ما معنى قول أمرئ القيس :

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء لشيب مرجل

فقلنا : هذا واضح ، وانما وصف فرسا أشهب عقرت عليه الوحش فتطاير دمها الى صدره فجاء هكذا ، فقال أبو العلاء : سبحان الله نسيتم قوله قبل ذلك في صنعه :

كميت يـزل اللبد عن حـال متنـه كما زلت الصفراء بالمتنزل

فانبهتنـا والله كأننا لم نقرأ هذا البيت قط ، واضطررنـا الى سؤاله عنه ، فقال انما عني أحد وجهين ، اما انه تغشى صدره بالعرق وعرق الخيل أبيض ،فجامع الدم كالشيبى ، واما شيئا كانت العرب تصنعه ، وهو أنها كانت تسم باللبن الحار فى صدور الخيل فيمتط ذلك الشعر وينبت مكانه شعر ابيض ، فأيا ما عنى من احد الوجهين فالوصف مستقيم .(١)

ومن عجائب الصدف ان أبا العلاء صاعد أهدى الى المنصور ابن أبى عامر أيلا وسماه غرسيه ، وكان المنصور آن ذلك قد غذا غرسيه أحدى ملوك النصارى فى الشمال الأسبانى ، وكتب معه أبياتا شعريه نقتطف منها بعض الأبيات :

يا محرز كل مخوف وأمان كل	مشرد ومعز كل مذلل
عبد جذبت بضبعه ورفعت	من مقداره أهدى اليك بأيل
سميته غرسيه وبعثته	فى حبله ليصبح فيه تفاؤلى

فقضى فى سابق علم الله سبحانه وتعالى ، ان ملك الروم غرسيه بن شانجة أشره المنصور فى ذلك اليوم الذى بعث فيه بالأيل وسماه بأسمه على التفاؤل .(٢)

وفى يوم من الأيام قدم أبو العلاء صاعد على المنصور فلما وصل اليه وجد عودا بين يديه ، فقال له المنصور : قد تواتر الخبر وتحدث عنك البشر انك فرد فى علم الموسيقى ، وقد أردت غير مرة الانبساط معك سرا ، فشق الأمر على أبى العلاء ، ولم يجد مخرجا لطلب المنصور ،

---

(١) : الضبى : المصدر السابق ، ص ٣٢١ - ٣٢٢
(٢) : المقرى : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٨١ ، ٨٣

فأخذ العود وجس أوتاره وسوى تسوية أطربت المنصور بن أبى عامر، ثم أخذ أبو العلاء ينشده بيتي مجنون بني عامر :

أبى القلب إلاّ حبها عامرية ... لها كبية عمرو وليس لها عمرو

تكاد يدى تندى اذا مالمستها ... وينبت فى أطرافها الورق الخضر

فغضب المنصور لتوهمه عرض أبياته ، فقال له المنصور : ياأبا العلاء ، أبالأخوة عرضت ام بالأبناء ؟ وهذه أشارة رئيس أنف من ان يجاوبه على مفتري ما خاطبه ، فأخرج الجواب على التذكير همة أمام غيور.(١)

ومن مناظرات أبى العلاء مع المنصور بن أبى عامر ، ان أبا العلاء رأى فى أحد الأيام كتابا بيد المنصور ، وهذا الكتاب اسمه " النكت " تأليف ابى الغوث الصنعانى ، فأخذ أبو العلاء صاعد يقلب ورقاته ، وقال للمنصور أى والله قرأته بالبلد الفلانى على الشيخ فلان بن فلان ، فأخذ المنصور من يده الكتاب خوفا ان يقرأه ، وقال له : ان كنت قد قرأته كما تزعم ، فعلام يحتوى ؟ فقال : وأبيك لقد بعد عهدى به ، ولا أحفظ الآن منه شيئا ، ولكنه يحتوى على لغة منثورة لا يشوبها شعر ولا خبر ، فقال له المنصور : أبعد الله مثلك فما رأيت أكذب منك ، وأمر بأخراجه من المجلس وان يقذف كتاب " الفصوص" الذى الفه فى النهر . فقال فيه الشاعر أبو عبد الله محمد بن يحيى المعروف بأبن العريف بيتا من الشعر فى مجلس المنصور:

قد غاص فى النهر كتاب الفصوص ... وهكذا كل ثقيل يغوص

فضحك المنصور والحاضرين معه ، فأجاب الشاعر أبو العلاء صاعد مرتجلا لابن العريف :

---

(١) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ١٩- ٢٠

عـاد الى معدنـيـه انمـا   توجـد فـى قعـر البحار الفصوص (١)

وأد خـل علـى المنصـور بن أبـى عامـر ذات يوم وردة فى غير أيامهـا لـم تستتم فتح أكمامهـا والشاعـر أبو العـلاء صاعـد فـى مجلسـه ، فأنشـد أبو العـلاء مرتجـلا :

أتتك أبا عامـر وردة   يذكر المسك فى أنفاسهـا

كعذراء أبصرها مبصـر   فغطت بأكمامها رأسهـا

فاستحسن المنصـور ذلك ، وكان الشاعـر ابن العريف حاضـرا فى مجلس المنصـور ، فحسـد صاعـدا ، وجـرى الى مناقضتـه ، فقـال للمنصـور بن أبى عامـر ، ان هذين البيتين لغـيره ، وقـد أنشـد نيهـا بعـض البغداديين بمصـر لنفسـه ، وهمـا عنشدى علـى ظهـر كتاب بخطـه ، فطلب منـه المنصـور ان يـرى الكتاب ، فخـرج ابن العـريف قاصـدا مجلس ابن بدر ، وكـان أحسـن وقتـه بديهـة ، فوصف له مـا جـرى ، فقـال :

عشوت الى قصـر عباسيـة   وقـد جدّل النـوم حراسهـا

فالفيتهـا وهى فى خدرها   وقـد صّرع السكـر أناسهـا

فقالت : أسار على هجعة ؟   فقلت ذ بلى فرمت كأسهـا

ومدت يدها الـى وردة   تحاك لك الطيب أنفاسهـا

كعذراء أبصرها مبصـرو   فغطت بأكمامهـا رأسهـا

وقالت : خف الله لا تفضحنى   فى ابنة عمك عباسهـا

فوليت عنها على عفـة   وما خنت ناسى ولا ناسهـا

---

(١) : المقرى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٧٧ - ٧٨
- على أدهم : منصور الاندلس ، ص ١٣٩ - ١٤٠

فعاد ابن العريف بها ، وعلقها على ظهر كتاب بخط مصرى ودخل على المنصور فلما رآه اشتد غيظا على ابى العلاء صاعد ، وقال غدا امتحنه ، فان فضحه الامتحان لم يبق فى موضع لى فيه سلطان .(١) فلما اصبح اليوم التالى دعاه المنصور ، فحضر ابوالعلاء مجلس المنصور الذى كان يختص بندماء المنصور ، فأدخلهم المنصور الى مجلس حفل كان قد اعد فيه طبقا عظيما فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير ، ووضع على السقائف لعب من ياسمين فى شكل جوارى ، وتحت السقائف بركة ماء القى فيها اللآلى مثل الحصباء ، وكان فى البركة حية تسبح ، وامر المنصور بادخال ابى العلاء صاعد ، فلما دخل ، قال له المنصور بن ابى عامر ان هذا يوم إما أن تسعد فيه معنا واما ان تشقى بالغد عندنا ، لانه قد زعم قوم ان كل ما تأتى به دعوى ، وقد وقعت من ذلك على حقيقة ، وهذا طبق ما توهمت انه احضر بين يدى ملك قبلى فى شكله ، فصفه بجميع ما فيه ، فان وصفته بجميع ما فيه ، علمت صحة ما تذكره . فوصفه ابو العلاء صاعد بجميع ما فيه قائلا :

أبا عامر هل غير جدواك واكف	وهل غير من عاداك فى الأرض خائف
يسوق اليك الدهر كل عجيبة	واعجب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها ماهر الحيا	عليها فمنها عبقرى ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت	عليها بأنواع الملاهى الوصائف
كمثل الضباء المستكنة كنسا	تظلها بالياسمين السقائف
وأعجب منها انهن نواظر	الى بركة ضمت اليها الطرائف

---

(١) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٩

حصاهـا اللالى سابح فى عبابهـا   من الرقُش مسموم الثعابين زاحف
ترى ما تشاء فى جنباتهـا   من الوحش حتى بينهن السلاحف (١)

فاعجب المنصور منه ، واستغرب له تلك البديهة فى مثل هذا الموضع ، وكتبها المنصور بخطه ، وكان الى ناحية تلك السقائف سفينة فيها جاريه تجدف بمجاديف من ذهب لم يرها صاعد ، فقال له المنصور إلاّ أنك لم تصف هذه الجاريه ، فقال صاعد :

وأعجب منها غادة فى سفينة   مكللة تصبو اليها المهايف
اذا راعها موج من الماء تتقى   بسكانها ما انذرته العواصف
متى كانت الحسنا ربان مركب   تصرف فى يمن يدها المجاذف
فلم ترعينى فى البلاد حديقة   تنقلها الى الراحتين المناصف (٢)
ولا غرو أن شاقت معاليك رمضة   زهتها أزاهير الربى والزخارف
فأنت أمروء لو رمت نقل متالع   ورضوى ذرتها من سلط العواصف
اذا قلت قولا أو بدهت بديهة   فكلنى لها انى لمجدك واصف

وبعد أن سمع المنصور هذه الابيات الشعرية من أبى العلاء صاعد ، أمر له بالف دينار ومائة ثوب ، ورتب له فى اليوم ثلاثين دينارا ، اضافة الى الحاقه بديوان مجلس المنصور ، مع زياد الله بن مضر الطبنى وابن العريف وغيرهم من الشعراء والأدباء . (٣)

ومن الشعراء المقربين من المنصور ، الشاعر ابو احمد بن محمد بن العاص بن احمد بن سليمان بن دراج الأندلسى القسطلى (٣٤٧ - ٤٢١ هـ / ٩٥٨ - ١٠٣٠م)

---

(١) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ٨٠ - ٨١
(٢) : المناصف (أى الخدم)
(٣) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ١٠ - ١١

وكان شاعر المنصور وكاتبه وهو معدود في تاريخ الأندلس من جملة الشعراء المجيدين والعلماء المتقدمين . وذكره أبو المنصور الثعالبي في كتابه " يتيمة الدهر" وقال في حقه : (كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام ، وهو أحد فحول الشعراء ، وكان يجيد ما ينظم ويقول) وله طريقة في البلاغة والرسائل تدل على اتساعه وقوته وكان من جلساء المنصور في ديوانه الذي يجمع فيه الشعراء وأثبته في ديوانه . وقد تبوأ ابن دراج القسطلي مكانة رفيعة في بلاط المنصور ، وقد وصف بأنه لم يكن بالأندلس مثله في الشعر . وحدث ذات يوم ان المنصور بن أبي عامر أقره ان يعارض قصيدة ابي نواس الحكمي التي مدح بها الخصيب بن عبد الحميد صاحب الخراج بمصر والتي أولها :

أجارة بيتينا أبوك غيور ... وميسور ما يرجى لديك عسير

فعارضها القسطلي بقصيدة بليغة ، من جملتها :

الم تعلم ان الثواء هو التوى ... وان بيوت العاجزين قبور

تخوفني طول السفار وانه ... لتقبيل كف العامرى سفير

وعيني ارد ماء المفاوز آجنا ... الى حيث ماء المكرمات نمير

فان خطيرات المهالك ضمن ... لراكبها ان الجزاء خطير (١)

وايضا من شعراء عصر الدولة العامرية ، الشاعر عبد الملك بن احمد بن شهيد . وكان هذا الشاعر نقطة تحول كبير في تاريخ بني شهيد بعد الجلالة التي كانت لآبائه منذ أيام عبد الرحمن الداخل الى عصر عبد الرحمن الناصر . وكان عبد الملك هذا وزيرا من وزراء المنصور ، وجليسا من جلسائه ، بل كان أقرب هؤلاء اليه ،

---

(١) : الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١١٠ - ١١١
— ابن خلكان : وفيات الأعيان ، م ١ ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ، ١٣٨
— ديوان بن دراج : تحقيق محمود مكى ، ص ٥٨ - ٦٨

واكثرهم اجتهادا فى مرضاته (١) . وقد برع فى ميدان الأدب ، فألف كتبا منها " كشف الدك وايضاح الشك " وكذلك " حانوت عطار " وكتاب " التوابع والزوابع " (٢) . وتقلد فى عهد عبد الرحمن الناصر منصب الوزارتين ، وغزا البشكنس فى عهده . وقد توفى ليلة الأحد ٤ ذى القعدة سنة ٣٩٣ هـ / ٢٣ سبتمبر سنة ١٠٠٤ م ، وكان فى السبعين من عمره حين حضرته الوفاه.

ومن شعره :

قصرت عن شأوى فعاديتنى اقصر فليس الجهل من شانى

ان كان قد اغناك ما تحتوى بخلا فان الجود اغنانى

وكان المنصور كثيرا ما يرتاح لابن شهيد ويوللى الاحسان اليه (٣) .

---

(١) : ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٣٩
(٢) - الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٥٨ - ١٦٠

(٢) : احمد هيكل : الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافه ، ص ٣٨١ - ٣٨٣
- احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى ، ص ٣٤٠
(٣) : انظر ترجمته :
- ابن الابار : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠
- ابن بسام : الذخيره ، ق ٤ ، م ١ ، ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩
- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤
- المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٥٨٥ - ٥٨٦
- ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ١١٦ ، ١١٨ ، ٣٩٩ - ٤٠٠
- على ادهم : المرجع السابق ، ١٤٩

وكذلك الشاعر ابو مروان عبد الملك بن ادريس الجزيري ، وكان كاتب المنصور ووزيرا في دولته ، وهو اديب وشاعر غزير المادة ، معدود في اكابر البلغاء ، وله رسائل واشعار مدونة ، ومن مستحسن مطولاته قصيدة في الأدب والسُّنة كتبها الى بنيه ، قال الحميدي : لا اعلم لأحد مثلها في معناها ، انشدناها ابو محمد عبد الله بن عثمان بن مروان القرشي ، عن الكاتب ابي احمد عبد العزيز بن عبد الملك بن ادريس الجزيري ،عن ابيه عبد الملك ، قال فيها :

واعلم بأن العلم ارفع مرتبة ... واجل مكتسب واسنى مفخر

فأسلك سبيل المقتنين له ... تسد ان السيادة تقتني بالدفتر

تسمو الى ذي العلم ابصار الورى ... وتغضي عن ذي الجهل بل تزدري (١)

وذكره ابن بسام : انه كان يشبه بمحمد عبد الملك الزيات في البلاغة والعبقرية . عتب عليه المنصور بن عامر وسجنه في مطبق الزاهرة ،

---

(١) : الضبي : بغية الملتمس ، ص ٣٧٥
- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٣٢ — ٣٤
- المقري : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٥٨٦ — ٥٨٨ .

ثم عفا عنه ، وكتب له ، وقد اتبع العفو باحسان :

عجبت من عفو ابن عامر لابد ان تتبعه منّة

فرضى المنصور عنه واعاده الى مكانته عنده .(١)

دخل على المنصور بن ابى عامر ذات ليلة ، وكان القمر فى تلك الليلة يبدو تارة ويخفيه السحاب تارة أخرى ، فقال الجزيرى فى هذه المناسبه :

أرى بدر السماء يلوح حينا فيبدو ثم يلتحف السحابا

وذاك فانه لما تبدى وابصر وجهك استحيا فغابا

مقال لو نمى عنى اليه لراجعنى بتصديقى جوابا (٢)

وحدث ان المنصور صنع صنيعا وذلك لتطهير ابنه عبد الرحمن ، وكان عام قحط ارتفع فيه سعر الدقيق فى قرطبة ، فبلغ ربع الدقيق الى دينارين ، فلما كان يوم ذلك الصنيع ، ظهرت فى السماء سحابة عمت الافق ، ثم أتى المطر ، فاستبشر الناس ، وسر المنصور ، فقال الجزيرى بهذه المناسبه شعرا :

أما الغمام فشاهد لك انه لا شك صنوك بل أخوك الأوثق

وافى الصنيع فحين تم تمامه فى الصحو انشأ ودقة يتدفق

واظنه يحيك جودا اذ رأى فى اليوم بحرك زاخرا يتفهق

وقد وصف النرجس للمنصور بقوله :

---

(١) : ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٣٢١ - ٣٢٢
(٢) : الحميدى : المصدر السابق ، ص ٢٨٠ - ٢٨١

حيتك ياقمر العلا والمجالس ... أزكى تحيتها عيون النرجس
زهرا تريك بحسنها وبلونها ... زهر النجوم الجاريات الكنس
ملك الهمام العامرى محمد ... للمكرمات وللنهى والانفس

وله ايضا شعر فى بنفسج العامرية ، فمن تلك الأبيات :

شهدت لنوار البنفسج ألسن ... من لونه الأحوى ومن ايناعه
لمشابه الشعر الأثيث أعاره ... القمر المنير الطلق نور شعاعه
ولربما جمد النجيع من الطلى ... فى صارم المنصور يوم قراعه
فى سيفه قصر لطول نجاده ... وتمام ساعده وفسحه باعه
تلقى الزمان له مطيعا سامعا ... وترى الملوك الشم من أتباعه (١)

واستمر الشاعر عبد الملك الجزيرى فى مدح المنصور الى ان مات المنصور ، ثم مدح ابنه عبد الملك المظفر ، فلما قتل عبد الملك المظفر صهره عيسى بن سعيد القطاع ، اتهمه عبد الملك وسجنه فى برج حصن طرطوش ، ومات فى سجنه سنة ٣٩٤ هـ . (٢)

ومن شعراء المنصور فى مجلسه ، الشاعر وليد بن مسلمة المرادى ابو العباس . وقد رأى وليد بن مسلمة النهر فى أيام زيادته ، فقال مخاطبا المنصور بهذه المناسبة :

أما ترى النهر يامنصور كيف طفا ... وعم من جاور العبرين بالضرر
وأعجب لجودك لم يغن الورى غرقا ... فيه وقد عم البدو والحضر
ما ذاك الا لأن الجود عنصره ... صاف نمير وهذا بين الكدر
والله يبقيك ما غنت مطوقة ... وهزت الريح مخضرا من الشجر (٣)

---

(١) : ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٣١ - ٣٤
(٢) : ابن سعيد : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٢٢
(٣) : الضبى : المصدر السابق ، ص ٢٩٦ ، ٤٨٢

ومن شعراء المنصور بن أبي عامر ، الشاعر الأديب أبو بكر عبادة بن ماء السماء ، وذكره ابن بسام ، هو عبادة بن عبد الله الأنصاري ، من ذرية سعد بن عبادة ، وقيل له ابن ماء السماء لجدهم الأول ، وهو من قرطبة. وكان من فحول الشعراء في عهده ومن المقدمين في ديوان شعرائه . وقد نسب اليه الارتقاء بصناعة التواشيح حتى (كأنها لم تسمع بالأندلس الا منه ولا أخذت الا عنه ، واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته) ومما ينسب اليه من شعر في وصف الحاجب المنصور قوله :

لنا حاجب حاز المعالي بأسره ... فأصبح في أخلاقه واحد الخلق

فلا يغترر منه الجهل ببشره ... فمعظم هول الرعد في أثر البرق (١)

وقال الشاعر زياد الله بن علي في كتاب الحمام المؤلف للمنصور بن أبي عامر :

اذكر القلب بالتصابي فحنا ... ساجع في أراكه قد أرنا

اخضلت ريشة السماء بطل ... وأرى الروض مونقا فتغنى

غرد بالسرور فازت يداه ... بحبيب عليه لا يتجنى (٢)

وقال الشاعر محمد بن حسين ، العالم بأخبار الأندلس في مدحه للمنصور ابن أبي عامر :

وكل عدو وأنت تهدم عرشه ... وكل فتوح عنك يفتح بابها

وانك من عبد المليك الذي له ... حلى فتح قرطاجنة وانتهابها

جباها ابو مروان جدك قابضا ... بكف تليد طعنها وخرابها (٣)

---

(١) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ١٠٧
— ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٤٥٠
— الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤

(٢) : الضبي : المصدر السابق ، ص ٢٩٦ ، ٤٨٢

(٣) : ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٥٦

ومن الشعراء الذين مدحوا المنصور الشاعر ابو عثمان سعيد بن عثمان بن مروان المعروف بالبلينة ، والبلينة حوت كبير يعرف بدابة البحر ، وهو من نبهاء بني مروان في الاندلس . قال في مدحه للمنصور من قصيدة مطولة استحسنها المنصور :

من لي بمن تأبى الجفون لفقده · في الدهر الا تلتقى أو نلتقى
ريم يروم وما اجترمت جريمة · قتلي ليتلف من بقائي ما بقي
واذا رماني عن قسي بجفونه · لم أدرك من أي الجوانب أتقي

وقيل ان المنصور تذكر هذه القصيدة في يوم السبت ١٢ من شهر رمضان سنة ٣٨١ هـ ، أو ذكرت بين يديه ، وقد كان مدحه بها قديما فأعجبته ، واستحسنها من كان معه في المجلس ، فأمر له المنصور بثلاثمائة دينار . وقيل انه دخل على المنصور في مجلسه ذات يوم فانشده :

مولاى مولاى أما آن أن · تريحني الأيام من هجركا
وكيف بالهجروأني به · ولم أزل اسبح في بحركا (١)

ومن الشعراء البارزين في الخلافة الأموية والدولة العامرية ، الشاعر ابو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ، ويعرف بالطليق من بني امية ، وكان اديبا وشاعرا ، واكثر شعره قاله في أثناء سجنه . وابو عبد الملك مروان في بني امية كابن المعتز في بني العباس ، ملاحة شعر وحسن تشبيه ، وقيل ان سبب سجنه قتله لأبيه ، فسجن وهو ابن ست عشرة سنه ، ومكث في السجن ست عشرة سنه ، وعاش بعد اطلاقه من السجن ست عشرة سنه ، وكان سجينا في زمن المنصور بن ابي عامر ، ثم اطلق بعد ذلك فسمي بالطليق . (٢)

---

(١) : الضبي : بغية الملتمس ، ص ٣١٠
— ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ١٩٧ - ١٩٨
(٢) : الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣
— ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢

الشعراء في عهد عبد الملك المظفر :-

لم يبلغ عبد الملك مبلغ ابيه المنصور في الاهتمام بالعلم والادب الا انه يحمد له كما يذكر ابن بسام انه (تمسك بمن كان استخلفه ابوه من طبقات اهل المعرفه من خطيب وشاعر ونديم وشطرنجي ومعدل وتاريخي وغيرهم حفظا لصنائع والده وقياما برسومه فقررهم على مراتبهم ، ولم ينقصهم سوى الفوز بخصوصيته)[1] .

ولذلك استمرت الحياه العلميه والادبيه في عهد عبد الملك كما كانت في عهد ابيه ، وقد ذخر عهده بعدد لا بأس به من العلماء والادباء والشعراء[2] . وكان عبد الملك شغوفا بالشعر ، وخاصة الشعر الذى يصف الأزهار المسماه بالنوريات ، وكان يقترح على الشعراء بأن ينظموا الشعر في وصف الحدائق والحقول[3] .

ومن أشهر شعراء عهد عبد الملك المظفر ، الشاعر سليمان بن مهران السرقسطي ، وهو اديب وشاعر مشهور وكان ينشد شعره في مجلس عيسى بن سعيد القطاع ، وزير عبد الملك المظفر . ومن شعره :

خليلي ما للريح تأتي كأنها　　يخالطها عند الهبوب خلوق

أم الريح جاءت من بلاد أحبتي　　فأحسبها ريح الحبيب تسوق

سقى الله أرضا حلها الأغيد الذى　　لتذكاره بين الضلوع حريق[4]

---

(١) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٠

(٢) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٨٤

(٣) : جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ص ٧٧

(٤) : الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢١٨

ومـن شعـراء عبد الملك شاعـر ابيـه ابى العلاء صاعـد بن الحسـن اللغـوى ، الذى انشـد قصيدة أمسام عبد الملك بن المنصـور بمناسبـة عيد الفطـر المبارك سنـة ٣٩٦ هـ ، قـال فيهـا :

اليك حدوت ناجيسة الركـاب	محملـة أمانـى كالهضـاب
وبعت ملـوك أهل الشرق طـرا	بواحـد ها وسيد ها اللبـاب

وفيهـا يقـول :

الى الله الشكيـة من شكـاة	زمت ساقى فجـل بها مصابـى
وأقصتنى عن الملك المرجـى	وكنت أرم حالـى باقـترابـى

ومـن قصائـده فـى مدح عبد الملك المظفـر :

زمان جديد وضـع جديـد	ودنيـا تـروق ونعمـى تزيـد
وغيث يصوب وعيش يطيـب	وعـز يدوم وعيـد يعـود
ودهـر ينير بعبد المليـك	كشمس الضحـى ساعدتها السعود (١)

وايضـا الوزير الشاعـر عبد الله بن عبد العزيز القرشـى المعـروف بالحجر ، من اولاد الحكم الربضـى وهـو من اهـل قرطبـة ، وهـو طليـق عبد الملك المظفـر ، وكـان غزيـر الأدب وحسـن الشعـر والخطابـه ، وهـو أحـد رجالات بنى مروان بالأندلس توفـى بمدينـة لارده وهـو راجعـا مع عبد الملك المظفـر بن المنصـور من غزوتـه الأولـى سنة ٣٩٣ هـ (٢)

---

(١) : المراكشـى / عبد الواحـد : المعجب ، ص ٧٨ - ٧٩
- ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢١
(٢) : ابن الابار : التكمله لكتاب الصلة ، جـ ٣ ، ص ٧٨٦

وقد مدح عبد الملك المظفر الشاعر المطرف بن عمر الهشيمي من ولد هشيم بن عبد الملك بن المغيرة بن الوليد بن معاويه بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وهو بليغ في شعره ، ومن قوله في مدح عبد الملك المظفر:

ان المظفر لا يزال مظفرا　　حكما من الرحمن غير مبدل

تلقاه صدرا كلما قابلته　　مثل السنان بمحفل وبجحفل

ومن شعراء عهد عبد الملك ، الشاعر ابو عبد الله محمد بن شخيص ، وكان من أهل الأدب المشهورين ، وكان ممن يحضر مجلس عبد الملك المظفر. وقد قال شعرا حسنا في وصف ورد رآه في بستان وانشده امام عبد الملك بن المنصور فاستحسنه وقربه من مجلسه الذى كان يضم كبار الأدباء والشعراء ، مثل أبي حفص احمد بن برد ، الذى ولاه عبد الملك بن المنصور ديوان الانشاء بعد ان قبض على ابى مروان الجزيرى .(١)

ومما يذكر عن عهده ايضا انه وفد على الأندلس في سنة ٣٩٣ هـ العلامة المقرئ مكي بن أبي طالب حموش بن أحمد بن مختار القيسي (٣٥٥ - ٤٣٧ هـ / ٩٦٥ - ١٠٤٥ م) . وقد استقبله عبد الملك بكل ترحيب وتكريم ، ثم عينه للتدريس بجامع الزاهرة حيث تهافت على مجالسه العلميه طلبة العلم ، وطار صيته في الأندلس في علم القراءات . ومن تصانيف مكي كتاب " الهداية الى بلوغ النهاية" وكتاب تفسير اعراب القرآن ، وكتاب " التبصرة في القراءات السبع" وكتاب "البيان عن وجوه القراءات في كتاب التبصرة " .(٢)

---

(١) : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٠٨

(٢) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ١٧٩

وموجز القول فان شعراء الدولة العامرية كثيرون وقد ابدعوا في شعرهم في عهد المنصور بن ابى عامر وفى عهد ولده عبد الملك . اما فى عهد عبد الرحمن بن المنصور ، فلم يظهر فى بلاطه شعراء يذكرون ، وذلك لقصر فترة حكمه ، ولسوء ادارة حكم البلاد .

كما يتضح من خلال هذه التراجم للعديد من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء الذين زخرت بهم الاندلس في عهد الدولة العامرية مدى ما اسهموا به في اثراء الحياة العلمية والأدبية . ومن ابرز شعراء الدولة العامرية الشاعر موسى بن الطائف وعبد الله بن الحسين ابو بكر، وكان مرموقا فى الدولة العامرية ، والشاعر احمد بن جهور ، والشاعر الكاتب ابن نصير ، والشاعر ابراهيم بن محمد الشرفي ابو اسحاق صاحب الشرطه ، وكان خطيبا في قرطبة في زمن المنصور بن ابى عامر واصله من اشبيليه ، وكذلك الشاعر عبد الرحمن بن ابى الفهد ابو المطرف ، وهو من اهل مدينة البيرة ، وسكن قرطبة ، وكان نجما فى البلاغة والشعر ، والشاعر محمد بن اليسع ، والشاعر احمد بن محمد بن عبد الله بن بدر ، وقيل ابو مروان ، و هو من اهل بيت وأدب وشعر ورياسة ، وكان أثيرا عند المنصور بن ابى عامر ،وله شعر جميل .(١) ومن أعيان قرطبة وممن كان يحضر مجلس المنصور الشاعر ابو بكر عبد الله بن الحسن ، والشاعر عبد الرحمن بن محمد بن نظام ، والشاعر ابو مضر محمد بن الحسين التميمي ، وقد شكن قرطبة وكان شاعرا عالما بأخبار العرب ، وقد ولى الشرطة فى الدولة العامرية ، ومات سنة ٣٩٤ هـ .(٢) كذلك الشاعر أميه بن غالب الموروذى والشاعر

---

(١) : الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٤٣ ، ١٥٤ ، ١٧٣ ، ٢١١ ، ٣٢٦ ، ٣٦٩ ، ٣٤٣ ، ٤٥٦ ، ٥٤٠

(٢) : ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٣١٢

الوزير الكاتب ابو المغيرة بن حزم ، وكان ممن يجلس في مجالس المنصور الشعرية ،(١) وايضا ابراهيم ابن ادريس الحسني ، وهو من أبناء الأدارسة الحسنيين ، واصله من المغرب ، وسكن قرطبة ، وكان أديبا وشاعرا ، وقد نفاه المنصور ، وهو القائل يخاطب المروانيين بقرطبة ، لما رأى غلبة المنصور بن ابي عامر على الخليفة هشام المؤيد بالله ، واستبداده بمقاليد حكم الدولة : فقال في ذلك :

فيما أرى من عجب لمن يتعجب ... جلت مصيبتنا وضاق المذهب

اني لأكذب مقلتي فيما أرى ... حتى أقول غلطت فيما أحسب

أيكون حيا من بني أمية واحد ... ويسوس هذا الملك هذا الأحدب

ابني امية اين أقمار الدجى ... منكم وما لوجهها تتغيب (٢)

والشاعر عبد الملك بن أخي نفيل ، وهو شاعر من شعراء الدولة العامرية وفارس من فرسانها ، ويقال عبد بن نفيل ، والصواب انه ابن أخيه ، وايضا الشاعر ابو حفص بن عسقلاجه ، وهو اديب وشاعر من الرؤساء في الدولة العامرية (٣)

---

(١) : المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٦١٧ - ٦١٨

(٢) : ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧

(٣) : الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ، ٢٨٧ - ٢٨٨

العمـــــــــــــران :-

وصـف مدينة قرطبــة :-

قرطبــة مدينــة قديمــة البنــاء ولا يعــرف علــى وجــه التحقيـــق المـدى التاريخــى لجذورهــا القديمــة ، واغلــب الظــن أنهــا أيبيرية الأصـل استنــادا علــى التماثيــل البرنزيــه الصغيرة ذات الطابــع الايبيرى التى أسفــر عنهــا البحث الاثــرى فــى بقعتهــا [١]. وهــى من أعظــم مدن الاندلس وعليها ســور ضخــم مــن الحجــر ، ويدخــل اليهــا من سبعــة أبواب فــى هذا السور، ومنذ أن نقــل والــى الاندلس الحــر بن عبد الرحمــن الثقفــى العاصمــة مــن اشبيليــه الــى قرطبــة فــى أول شهــر رجــب سنة ٩٧ هـ / ٧١٥م ظلت قرطبــة عاصمــة الاندلس حــتى سقوط الخلافــة الأموية سنة ٤٢٢ هـ [٢]. وكان الأمير عبد الرحمن الداخــل أول من أقــام فيهــا روائــع المنشآت والمبانــى العمرانيــة كقصــر الأمــارة ، والمسجــد الجامــع [٣].

واتسعت الدور والقصــور فــى قرطبــة علــى عهــد عبد الرحمــن الناصر وابنــه الحكــم المستنصــر . ويروى ان دور قرطبــة فــى عهديهمــا بلــغ عددهــا نحــو مائتى الف دار وهــى دور الأهالــى ، أما دور الوزراء والعمــال والكتاب والأجناد وخاصــة الملك فقــد بلغــت ستين الف دار ، هــذا عــدا الحمامــات والخانـــات والدور المخصصــة للضيوف ، والحوانيت الــتى كانت نحــو ثمانين الف حانوت [٤]. وقد بلغت

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، جـ ١ ، ص ١٦-١٧

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٤ ، ٢٥
— السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص ٣١

(٣) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس ، ص ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠٧ ،

(٤) : شكيب ارسلان : الارتسامات اللطاف ، ص ١٠٠ - ١٠١
— ليو بولد و توريس بلباس : الابنية الاسبانية الاسلامية . مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، العدد الأول - السنة الاولى ، ص ١٠٨

قرطبة من الاتساع والانبساط درجة كبيرة لدرجة ان عدد أرباضها بلغ لتعدى وعشرين ربضا منها ما كان يعد بلدة فيها منبر تقام فيها صلاة جمعة. كما قيل ان الطرقات من قرطبة الى جميع هذه الأرباض كانت تضاء ليلا بالقناديل. (١)

كما بلغ عدد سكان قرطبة في عصر الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر ما يقرب من نصف مليون نسمة وفقا للأحصائيات التى قام بها المستشرقون. وقد نعمت قرطبة في عهد الحكم المستنصر برخاء وثراء لم تبلغه حاضرة أخرى من قبل، وقد وصفها مؤرخو العرب وجغرافيوهم أبدع وصف، وأشادوا بعظمتها وتفوقها على سائر مدن الأندلس. (٢)

وفي عهد المنصور بن أبي عامر أحصيت دور قرطبة فبلغت مائتين وثلاثة عشر الف وسبعة وسبعين دارا، وهي دور الرعية. أما دور الأكابر والوزراء والكتاب والأجناد وخاصة الملك فبلغ عددها في عهده ثلاثة وستين الف دار عدا الحمامات التى بلغت تسعمائة حمام، كما بلغ ايضا عدد الحوانيت ثمانين الف واربعمائة وخمسة وخمسين حانوتا. (٣)

ومن أشهر قصور قرطبة، قصر الكامل، والمجدد، والروضة، والزهر، والمعشوق، والمبارك، والرستك، والتاج، والبديع، وقصر السرور، والمنيف، وقصر الناعورة. ومن منتزهات أمراء بني اميه ووزرائهم خارج قرطبة،

---

(١) : ابن الخطيب : اعمال الاعلام، ق ٢، ص ١٠٣

(٢) : محمد على حمودة : تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، ص ٢٤٤-
— السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس، ج ١، ص ٦١

(٣) : المقرى : نفح الطيب، ج ٢، ص ٧٩- ٨٠
— السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع، ج ١، ص ١٨٢ - ١٨٣
-ANWAR G.CHEJNE: MUSLIM SPAIN, ITS HISTORY AND CULTURE MINNESOTA.
PP.361-365

قصر الرصافية ، قصر ابن عبد المؤمن والقصر الفارسي ،وقصر الحاجب ،والسرداق ، ومنية الزبير ، (١) والمنية العامرية التي تعتبر من المنيات المشهورة في قرطبة منذ أواخر القرن الرابع الهجري ، وقد أسسها المنصور بن أبي عامر في سنة ٣٦٩ هـ ، وأحاطها بالرياض والجنان ، واجرى فيها قناة ملتوية بين بساتينها وزرع الأشجار على ضفتيها .(٢)

وقد بلغ عدد المساجد في قرطبة في عهد عبد الرحمن الداخل اربعمائة وواحدا وتسعين مسجدا ، ثم زادت بعد ذلك كثيرا في عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، ثم في عهد المنصور بن أبي عامر فبلغت الفا وستمائة مسجد في قول ، وثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعة وسبعين مسجدا في قول آخر .(٣) وثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعة وثلاثين مسجدا في قول ثالث .(٤) بينما يذكر ابن غالب نقلا عن ابن حيان ان مساجد قرطبة وصلت عند انتهاء كمالها الف وثمانمائة وستة وثلاثين مسجدا ، وأيا ما كان الرقم الصحيح ، فالظاهر ان عددها تجاوز الألف مسجد .(٥)

توسعية المسجد الجامع بقرطبة :-

أورد كل من ابن عذارى والمقرى نصا تاريخيا هاما بالنسبة لتاريخ جامع قرطبة نقلاه عن الرازي (ت ٣٤٤ هـ) الذى اقتبسه بدوره عن

---

(١) : علي محمد حموده : المرجع السابق ،ص ٢٤٤

(٢) : السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، جـ ١ ،ص ٢١٣-٢١٤

(٣) : المقرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ،ص ٧٩

(٤) : المقرى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٧٨

(٥) : السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، جـ ١ ،ص ١٨٢ - ١٨٣
- ANWAR G.CHEJME.OP.cit., PP.364-365.

الفقيه محمد بن عيسى . ويقول النص" لما افتتح المسلمون الاندلس ، أستدلوا بما فعل ابو عبيده بن الجراح وخالد بن الوليد رضي الله عنهما عن رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، من مشاطرة الروم في كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحا ، فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة في كنيستهم العظمى التي كانت بداخلها ، وابتنى المسلمون في ذلك الشطر مسجدا جامعا . وبقى الشطر الثاني بأيدى الروم ، وهدمت عليهم سائر الكنائس . فلما كثر المسلمون بالأندلس ، وعمرت قرطبة ونزلها أمراء العرب بجيوشهم ، ضاق عنهم ذلك المسجد ، وجعلوا يعلقون منه سقائف، فنال الناس من الضيق مشقة عظيمة .فلما دخل عبد الرحمن بن معاويه الاندلس ، وسكن قرطبة ، نظر في امر الجامع وتوسيعه واتقان بنائه ، فأحضر اعاجم قرطبة ، وسألهم بيع ما تبقى بايديهم من الكنيسة المذكورة ، واوسع لهم البذل فيه ، وفاء بالعهد الذى صولحوا عليه واباح لهم بناء كنائسهم التي كانت هدمت عليهم في وقت الفتح بخارج قرطبة ، وخرجوا عن الشطر فأتخذه وادخله في الجامع الأعظم . وكان شروع عبد الرحمن الداخل في هدم الكنيسة وبناء الجامع سنة ١٦٩ هـ ،و تم بناؤه واكتملت بلاطاته ، واشتملت اسواره في سنة ١٧٠ هـ ، فذلك مدة من عام كامل ، فقيل ان النفقه التي انفقها عبد الرحمن الداخل بطول هذه السنه في بناء المسجد الجامع ثمانين الف دينار ، واشترى موضعه (اذ كان كنيسة) بمائة الف دينار."[1]

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٥٨ - ٢٢٩

ــ المقرى : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٩٦ - ٩٧

ومن نص ابن عذارى والمقرى عن نشأة المسجد الجامع بقرطبة تستخلص حقيقتين وهما :-

١ - ان موضع الجامع كانت تشغله كنيسة تعرف بشنت بنجنت اقتسمها المسلمون مع نصارى قرطبة ، واتخذوها مسجدا كانوا يضيفون اليه سقيفة بعد سقيفة كلما ازداد عدد المصلين .

٢ - ان عبد الرحمن الداخل أقام على موضع الكنيسة والمسجد الاول جامعا ، استغرق بناؤه عاما واحدا وفقا لما ذكره ابن عذارى ، وعامين وفقا لما ذكره المقرى ، حيث ان ابن عذارى ذكر ان عبد الرحمن الداخل شرع في بنائه[١] سنة ١٦٩ هـ واتمه في سنة ١٧٠ هـ والمقرى يذكر ان عبد الرحمن الداخل شرع في بنائه سنة ١٦٨ هـ واتمه في سنة ١٧٠ هـ .[٢] ويذكر ان بيت الصلاة في مسجد عبد الرحمن الداخل كان يشتمل على تسع بلاطات .[٣]

ولم يكتمل بناء المسجد في زمن عبد الرحمن الداخل فأكمله من بعده ابنه هشام ، وزاد فيه مئذنة كان ارتفاعها أربعين ذراعا الى موضع الآذان ، وبنى بآخر المسجد سقائف لصلاة النساء ، وامر ببناء الميضاة بشرقي الجامع .[٤]

واصبح الجامع على هيئته تلك الى ان جاء الى حكم الاندلس الأمير عبد الرحمن الأوسط ، فزاد في المسجد الزيادة المنتظمة بالأرجل

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، جـ ١ ، ص ٢٧١

(٢) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٩
— المقرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٩٦ - ٩٧

(٣) : السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ٢٩٢

(٤) : ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠

(الأعمـدة) طولهـا خمسون ذراعا وعرضها مائة وخمسون ذراعا ، وعدد سواريها ثمانون سارية ، وكان الفراغ منها سنة ٢٣٤ هـ ، وكان قد زاد قبلها بلاطين جانبيين فى سنة ٢١٨ هـ استوسع بهما بيت الصلاة القديم بحيث اصبح مجموع بلاطات المسجد احد عشر بلاطا .(١)

ثم امر الأمير محمد بن عبد الرحمن فى سنة ٢٤١ هـ باتقان طرز المسجد ،(٢) وتنميق نقوشه ، وباقامة المقصورة ، وجعل لها ثلاثة ابواب . ثم زاد الامير المنذر بن محمد البيت المعروف ببيت المال فى المسجد الجامع ، فوضع فيه الاموال الموقوفة لغياث المسلمين ، وامر بتجديد السقاية واصلاح السقائف . ثم زاد اخوه الامير عبد الله بن محمد ساباطا معقودا على حنايا اوصله به ما بين القصر والجامع من جهة الغرب ، ثم امر بستارة من اخر هذا الساباط التى ان اوصلها بالمحراب ، وفتح الى المقصورة بابا كان يخرج منه الى الصلاة ، وهو اول من اتخذ ذلك من أمراء بنى امية فى الاندلس .(٣)

ثم زادت توسعة المسجد الجامع فى قرطبة فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، اذ قام بتوسيع فناء المسجد ، وبناء مئذنة ضخمة من الحجر سنة ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م ، وذلك بحذاء الجدار الشمالى للجامع ، وفى تعديل المسجد وبنيان الوجه للبلاطات ، كما قام بتوسعة صحن الجامع من الجهة الشمالية بما يعادل ٢٤ مترا حيث اصبح اتساعه ٥٤ مترا .(٤)

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠
— السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، جـ ١ ، ص ٢٩٢

(٢) : المقصود بكلمة طرز ، الاطار المستطيل البارز الذى يحيط بدائرة العقد أوما يعرف بالتربيعة . (انظر : السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ٣٠٨

(٣) : ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠

(٤) : ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠ - ٢٣١
— السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥

وفي عهد الحكم المستنصر تضاعف عدد سكان قرطبة ، وضاقت المدينة بمن وفد اليها من بربر العدوة المغربية من زناته ، ولم يعد المسجد يتسع لجموعهم الغفيرة ، فأمر الحكم المستنصر في عام ٣٥١ هـ / ٩٦١م بزيادة المسجد من جهة القبلة الى اخر الفضاء مادا بالطول لأحد عشر بلاطا وكان طول الزيادة من الشمال الى الجنوب خمسة وتسعون ذراعا ، وعرضها من الشرق الى الغرب قبل عرض الجامع سواء ، وقطع من هذا ساباط القصر المتخذ لخروج الخليفة الى الصلاة الى جانب المنبر بداخل المقصورة ، وكان الحكم المستنصر قد عهد الى حاجبه جعفر المصحفي مهمة الاشراف على احضار الحجارة من جبال قرطبة ، وبهذه الزيادة كملت محاسن المسجد الجامع واصبح يستوعب جموع المصلين في عهد الحكم المستنصر.(١)

وفي شهر جمادى الثانية من سنة ٣٥٤ هـ اكمل الحكم المستنصر بناء القبة على المحراب ، وكذلك تنزيل الفسيفساء بالمسجد الجامع وواجهة كل من العقدين اللذين يكتنفانه شرقا وغربا ، كما زينت به بطن القبة الوسطى التي تعلو المحراب ، وزين به واجهة المحراب ، وكان ملك الروم قد بعث بالفسيفساء هدية الى الحكم المستنصر ، وتقدر بثلاثمائة وعشرين قنطارا . وفي شهر محرم سنة ٣٥٥ هـ ، امر الحكم بوضع المنبر القديم الى جانب المحراب ، ونصب المقصورة القديمة ، ونصب في قبلة هذه الزيادة مقصورة من الخشب منقوشة من الظاهر والباطن ، مشرفة الذروة ، طولها خمسة وسبعون ذراعا وعرضها اثنان وعشرون ذراعا وعلوها الى الشرفات ثلاثون ذراعا ، وقد فرغ من هذه الزيادة ونصب المقصورة في شهر رجب سنة ٣٥٥ هـ . وفي سنة ٣٥٦ هـ

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤
- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص ٣٠٩

امر الحكم المستنصر بجلب الماء الى سقيات الجامع والميضاتين اللتين ناحية الجانب الشرقي والغربي ، ماء عذبا جلبه من عين بجبل قرطبة ، خرق له الأرض ، واجراه في قناة من حجر متقنة البناء ، محكمة الهندسه ، أودع جوفها انابيب الرصاص لتحفظه من كل دنس . (١)

وقد ازداد عدد سكان قرطبة في عهد المنصور بن ابي عامر ، وخاصة بعد ان استقدم المنصور أعدادا هائلة من رجال قبائل البربر من العدوة المغربية الى قرطبة ، وذلك لانخراطهم في سلك الجند الأندلسي ، واصبح المسجد الجامع في قرطبة لا يستوعب اعداد المصلين . وفي ذلك يقول ابن عذاري " ولما زاد الناس بقرطبة وانجلب اليها قبائل البربر من العدوة وافريقية ، وتناهي حالها في الجلالة ، وضاقت بهم الأرباض وغيرها ، ضاق المسجد عن حمل الناس ، فشرع المنصور في الزيادة بشرقيه حيث يتمكن الزيادة لاتصال الجانب الغربي بقصر الخلافة " . (٢) وذكر المقري نقلا عن ابن بشكوال عن زيادة المنصور ابن ابي عامر في المسجد الجامع بقرطبة بقوله : " ومن أحسن ما عاينه الناس في بنيان هذه الزيادة العامرية ، اعلاج النصارى (الأسرى المسيحيين) مصفدين في الحديد من ارض قشتاله وغيرها ، وهم كانوا يتصرفون في البنيان عوضا عن رجالة المسلمين ، اذلالا للشرك وعزة للاسلام " . (٣)

فشرع المنصور بن ابي عامر في توسعة المسجد الجامع بقرطبة في سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م من الجهة الشرقيه وذلك لتعذر الزيادة فيه من الجهة الغربية بسبب وجود قصر الخليفة المقابل للمسجد الجامع ، وتعذرها من

---

(١) : ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨
— المقري : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٩٢
— السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، جـ ٢ ، ص ٣٤٠ - ٣٤١
(٢) : ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٨٧
(٣) : المقري : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٨٤ (نقلا عن ابن بشكوال) .

جهة القبلة لقرب جدار القبلة من الوادى . اما الجهة الشرقية فقد كانت عامرة بالدور والمستغلات ، فاراد المنصور ان ينتزع ملكية هذه الدور من اصحابها ، ويعوضهم عنها بانصافهم ، فكان اول ما قام به المنصور بن ابى عامر تطييب نفوس ارباب الدور الذين اشتريت منهم لتهدم وتقام على ارضها الزيادة الجديدة . (١) فكان يوءتى بصاحب الدار ، الى المنصور ، فيقول له المنصور : " ان هذا الدار التي لك ياهذا اريد ان ابتاعها لجماعة المسلمين من مالهم ومن فيئهم لأزيدها فى جامعهم وموضع صلاتهم ، فشطط واطلب ما شئت " . فاذا ذكرله اقصى الثمن ، امر ان يضاعف له ، وان يشترى له بعد ذلك دارا عوضا منها . وقيل انه اتى اليه بامرأة لها دار بصحن الجامع فيها نخلة ، فقالت : لا اقبل عوضا الا" دارا بنخلة . فقال المنصور تبتاع لها دار بنخلة ولو ذهب بيت المال ، فاشتريت لها دار بنخله وبولغ فى الثمن . وقد استغرقت زيادة المنصور فى بناء المسجد الجامع عامين ونصف عام ، وكان يعمل فيه بنفسه . وقد انتهى من توسعته سنة ٣٨٠هـ . (٢)

وقد اضطر المنصور بن ابى عامر اثناء توسعته المسجد ان يفتح ثغرات كبيرة فى الجدار الشرقى القديم للجامع فى زمن عبد الرحمن الاوسط ليوصل زيادته ببيت الصلاة القديم ، كما هدم ايضا احدى الميضات الأربعة التي بناها الحكم المستنصر وكانت تقع لصق الجدار ، ثم اضاف المنصور بن ابى عامر الى البلاطات الاحدى عشرة القديمة ثمان بلاطات جديده امتدت بطول بيت الصلاة من الصحن حتى جدار القبلة ، فاصبح بيت الصلاة يضم بعد زيادة المنصور تسعة عشر بلاطا . كما اضطر الى هدم الجدار

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، جـ ١ ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨

(٢) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٨٤ - ٨٥

الشرقي القديم الذى يحصر الحد الشرقي للصحن وذلك ليزيد فى اتساعه ويقيم جدارا شرقيا جديدا للمسجد الجامع كله اوصله بالقسم الزائد من جهة القبلة ، وفتح فى هذا الجدار الشرقي الجديد ابوابا اخرى مماثلة للجدار الغربي وعددها سبعة ، وبقيت فى الدعائم المختلفة من السور الشرقي القديم ببيت الصلاة بقايا ابواب من زيادة الحكم المستنصر ، واصبح عدد ابواب المسجد الجامع بعد توسعة المنصور بن ابى عامر احدى وعشرين بابا ، كانت جميعها ملبسه بالنحاس الأصفر ومخرمة تخريما رائعا . وقد راعى المنصور بن ابى عامر فى زيادته ان يعمها الانسجام والتناسق مع بناء المسجد كله ، فواصل زيادته باقامة صفوف من الدعائم الضخمة امتدادا لصفوف الدعائم المختلفة فى بيت الصلاة القديم من جدار القبلة . (١)

وقصد المنصور فى هذه الزيادة المبالغة فى الاتقان والوثاقة دون الزخرفة ، ولم يقتصر مع هذا عن سائر الزيادات جودة ، ماعدا زيادة الحكم المستنصر . كما اقام المنصور فى صحن المسجد جبا كبيرا ، تعويضا عن الميضات التى تهدمت نتيجة لهذه الزيادة فى التوسعة ، وهو جب مربع الشكل طول الجانب منه ١٤٫٥٠ مترا ، تتوسطه أربع دعائم مصلبة الشكل من الحجارة ، تحمل عقودا نصف دائرية بحيث تقسم الجب الى تسعة اساطين . (٢)

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨
— ليو بولد و توريس بلباس : الابنيه الاسبانيه الاسلاميه مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلاميه بمدريد ، العدد الاول - السنه الاولى ، ص ١٠٢

(٢) : ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٨٧
— السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ٣٤٩

كما قام المنصور بن ابى عامر باضاءة المسجد الجامع بالشمع زيادة فى الرسم ، وكان عدد سوارى الجامع الحامله لسمائه واللاصقة بمبانيه وقبابه ومناره ، ما بين كبيرة وصغيره ، الف واربعمائة وسبع عشرة سارية . وعدد ثريات الجامع ، ما بين كبيره وصغيره مائتين وثمانين ثريسة ، وعدد الكؤوس سبعة آلاف واربعمائة وخمسة وعشرين كأسا ، وزنة الشاكى الرصاص للكؤوس عشرة ارباع أو نحوها ، وزنة ما يحتاج اليه من الكتان للفتائل فى كل شهر رمضان من ثلاثة ارباع القنطار ، وجميع ما يحتاج اليه الجامع من الزيت فى السنه خمسمائة ربع او نحوها . يصرف منه فى رمضان خاصة نحو نصف العدد . ومما كان يختص برمضان العظيم ثلاثة قناطير من الشمع ، وثلاثة ارباع القنطار من الكتان المقطن لاقامة الشمع المذكور ، والكبير من الشمع يوقد بجانب الامام وزنها من خمسين الى ستين رطلا ، يحرق بعضها بطول الشهر ، ويعم الحرق لجميعها ليلة الختمة ، ويوقد من البخور ليلة الختمة اربع أواق من العنبر الاشهب ، وثمانية أواق من العود الرطب . وقد جند المنصور ابن ابى عامر لخدمة المسجد الجامع بقرطبة أئمة ، ومقرئين ، وأمناء ، ومؤذنين ، وسدنه ، وموقدين وغيرهم ما يقرب من مائة وتسعة وخمسين شخصا .(١) وقد احضر المنصور بن ابى عامر اثر عودته من حملته على شنت ياقب ، ابواب كنيسة سنتياجو ، ونواقيسها ، حيث استخدمت تلك الأبواب فى سقف الجزء الذى زاد فى توسعة المسجد الجامع ، كما استعمل النواقيس ثريات للمسجد .(٢)

---

(١) : ابن عذارى : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨

(٢) : احمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٦٧

ويعد مسجد جامع قرطبة من اكبر واعظم المساجد في الاندلس ، ومن اعظم المساجد في الاسلام . ولم يكن يفوقه مسجد في السعة ، سوى المسجد الحرام ، والمسجد النبوى ، والمسجد الاقصى ، وربما جامع ابن طولون في مصر ، اذ كان يسع ثمانين الف مصلى يصلون وراء امام واحد . (١)

بناء قنطرة على نهر الوادي الكبير في قرطبة ، واخرى على نهر شنيل في استجة :-

ومن اعمال المنصور بن ابى عامر ايضا بناء قنطرة على نهر الوادى الكبير بقرطبة ، فقد شرع في بنائها سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨م ، وفرغ منها في منتصف سنة ٣٧٩ هـ . وبلغ ما أنفق عليها مائة واربعين الف دينار ، فعظمت بها المنفعة ، وصارت صدرا من مناقبه الجليلة . وقد كانت قطعة ارض لشيخ من العامة ، ولم يكن للقنطرة عدول عنها ، فأمر المنصور امناءه بشرائها من ذلك الشيخ ، فحضر عندهم ، فساوموه بالقطعة ، وعرفوه وجه الحاجة اليها ، وان المنصور لا يريد الا انصافه فيها ، فأخبرهم صاحب الأرض بقيمتها ، حيث كان يظن ان قيمتها اقل من عشرة دنانير ذهبا ، حيث كانت عنده أقصى أمنية لثمنها ، فوافق الأمناء على شرائها بهذا المبلغ الزهيد ، واشهدوا عليه في البيع ، ثم اخبروا المنصور بقيمة قطعة الأرض، فضحك من جهالة صاحبها ، وأنف من غبنه ، وامر ان يعطى لصاحب الأرض عشرة امثال ما طلبه وتدفع له صحاحا ، فقبض الشيخ مائة دينار ذهبا وفرح وشكر المنصور على حسن تقديره . (٢)

وقام المنصور ايضا ببناء قنطرة اخرى في استجة على نهر

---

(١) : شكيب ارسلان : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٧

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٨٨
— محمد لبيب البتنونى : رحلة الاندلس ، ص ٧

شنيل وسط الجبال ، فسهلت الطرق الوعرة والشعاب الصعبة الى جانب تسهيل السبل لسقي الناس .(١)

انشاء مدينة الزاهرة سنة ٣٦٨ هـ / ٩٧٨م :-

بعد ان تولى المنصور بن ابى عامر مقاليد السلطنة في الاندلس وحجره على الخليفة هشام المؤيد بالله في قصره ، شعر بقوة مركزه في الدولة ، وخاف على نفسه من الناقمين عليه ، خاصة بعد ان زج بالحاجب جعفر المصحفي في ردهات السجن حتى مات فيه ، وايضا بلغ من خوفه على نفسه ، ان اصبح يخشى الدخول الى قصر الخليفة هشام الذى حجره في قصره . فما كان منه الا ان قام بانشاء مدينة جديدة لتكون حاضرة لملكه ، فبنى مدينة ملوكيه جديدة اسماها الزاهرة ذلك في سنة (٣٦٨ هـ / ٩٧٨م) . وقد اختلف في الموقع الذى تحتله مدينة الزاهرة ، لان البحوث الاثرية الحديثة لم تكشف شيئا عن معالمها ، مثلما فعلت بالنسبه لمدينة الزهراء التي بناها الناصر. ويقول البعض ان مدينة الزاهرة كانت تحتل بسيطا يقع جنوب شرقي قرطبة في منحنى نهر الوادى الكبير ، وهي على بعد اربعة أميال وثلثي ميل من قرطبة . ويقول البعض الاخر انها كانت تحتل بقعة على مقربة من شرقي قرطبة ، وعلى الضفة الجنوبية لنهر الوادى الكبير .(٢)

ويقول ابن عذارى : انّ المنصور امر في سنة ٣٦٨ هـ ببناء قصره بالزاهرة والتي سميت هذه المدينة باسم الزاهرة ، وذلك عند ما استفحل امره

---

(١) : احمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٦٣

(٢) : عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٥٣٥- ٥٣٦

-JAN READ:OP.cit.,PP.87-88

-ANWAR G.CHEJNE :OP.cit.,P.367

واقتد جمره ، ظهر استبداده ، وكثر حساده ، وخاف على نفسه في الدخول الى قصر السلطان ، وخشي ان يقع في اشطان . فتوثق لنفسه ، وكشف له ما سترعنه في أمسه من الاعتزاز عليه ، ورفع الاستناد اليه ، وسما الى ما سمت اليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه ويحله باهله وذويه ، ويضم اليه رياسته ، ويتم به تدبيره وسياسته ، ويجمع فيه فتيانه وغلمانه ، فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة الموصوفة بالقصور الباهرة ، واقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الاعظم ، وحشد اليها الصناع والفعلة ، وجلب اليها الآلات الجليلة ، وبالغ في رفع أسوارها ، وثابر على تسوية انجادها واغوارها ، فاتسعت هذه المدينة في المدة القريبة ، وصارت من الانباء الغريبة ، وبني معظمها في عامين" (١).

وانتقل المنصور الى مدينة الزاهرة في سنة ٣٧٠ هـ / ٩٨٠م وقد بني فيها قصرا ملوكيا فخما له ومسجدا كبيرا ، ونقل جهاز دولته اليها لتكون مقرا لحاضرة دولته ، وقام بنقل خزائن الاموال والاسلحة والعتاد الحربي اليها ، وأقطع ما حولها لوزرائه وقادته وأكابر رجال الدولة العامرية ، حيث ابتنوا الدور العظيمة . كما تنافس الناس في النزول فيها وابتناء القصور فيها ، وقامت فيها عدة مشاريع ، حيث انشئت فيها الشوارع والاسواق الفسيحة ، واتصلت أرباضها بارباض قرطبة والزهراء ، واصبحت تنافس المدينة الخليفية قرطبة والزهراء ، في الفخامة والرونق ، واحاطها بسور ضخم لحمايتها . واتخذ المنصور له في مدينته الجديدة الزاهرة حرسا خاصا

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٧٥
- عنان : المرجع السابق ، ص ٥٣٥
- السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة [illegible] في الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩

من الصقالبه والبربر ، واحاط قصره فيهما بالحرس والحاشية يرقبون كل حركه وسكنه في الداخل والخارج ،وعين عليها صاحب الشرطه وندب اليها كل ذى خطه بخطته ، واجلس واليا مسئولا عن شئونها ، وافقرت بذلك مدينة الزهراء الخليفية ، وهجر الوزراء وكبار الأعيان قصر الخليفة في قرطبة ، وذلك بانتقالهم الى الزاهرة حاضرة دولة المنصور بن ابى عامر ، وكتب الى اقطار الاندلس والمغرب بان يحمل الى الزاهرة أموال الجبايات ، وان يقصدها اصحاب المصالح ، وينتابها طلاب الحوائج ،(١)

وعطل المنصور بن ابى عامر بذلك قصر الخلافة بقرطبة وسد بابه ، واشاع ان الخليفة هشام المؤيد بالله فوض اليه النظر في الملك وتفرغ لعبادة ربه ، وحذر الناس من الذهاب الى قصر الخليفة ، وبث ذلك في الرعية .(٢)

وبعد ان استقر المنصور بن ابى عامر في مدينة الزاهرة حاضرة دولته توسعت المدينه مع الايام في تشييد البناء حتى اكتملت أحسن كمال ، وجاءت في ابهاء الجمال نقاوة وبناء وسعة فناء ، واعتدال هوى رق أديمه ، وعقله جو أعتل نسيمه ، ونظرة بستان وبهجة للنفوس فيها افتتان (٣) وفيها يقول الشاعر صاعد اللغوى :

ياأيها الملك المنصور من يمن	والمنتمى نسبا غير الذى انتسبا
بغزوة في قلوب الشرك رائعة	بين المنايا تناغي السمر والقصبا

---

(١) : على محمد حموده : تاريخ الاندلس السياسى والعمراني والاجتماعى ،ص ٢٢٩ - ٢٣٠

(٢) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ،ص ٣٣٢ - ٣٣٣

(٣) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ،ص ٥٨٢ - ٥٨٣

أما ترى العين تجرى فوق مرمرها زهواً فتجرى على احسائها الطربا
اجريتها فطما الزاهى بجريتها كما طموت فسدت العجم والعربا
تخال فيه جنود الماء رافلة مستلئمات تريك الدرع واليلبا
تحفها من فنون الأيك زاهرة قد أورقت فضة اذ أثمرت ذهبا
بديعة الملك ما ينفك ناظرها يتلو على السمع منها آية عجبا
لا يحسن الدهر ان ينشى لها مثلا لو تعنت فيها نفسه طلبا (١)

وذات يوم دخل الشاعر أبو المطرف عمرو بن ابى الحباب على المنصور بن ابى عامر ، وهو فى المنية المعروفه بالعامرية ، وهى من بعض منتزهاته فى قصوره بالزاهرة ،وعلى كل روضه فى هذه المنية ثلاث سوسنات ، اثنتان منها قد تفتحتا ، وواحده لم تفتح . فقال يصف ذلك :

لا يوم كاليوم فى ايامنا الأول فى العامرية ذات الماء والظل
هواؤها فى جميع الدهر معتدل طيبا وان حل فصل غير معتدل
ما ان يبالي الذى يحتل ساحتها بالسعد الا تحل الشمس بالحمل
كأنما غرست ساعة وبدا السوسان قدامها فيها على عجل
ابدت ثلاثا من السوسان قائمة وما تشكت من الاعياء والكسل
فبعض نوارها بالحسن منفتح والبعض منغلق عنهن فى شغل
كأنها راحة ضمت أناملها ممدودة ملئت من جودك الخضل
واختها بسطت منها أناملها ترجو نداك كما عوّدتها فصل (٢)

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٧٧

(٢) : الضبى : بغية الملتمس ، ص ٥٢٩

وما زالت هذه المدينه رائعة والسعود بلبتها متناسقة ، تراوحها الفتوح وتغاديها ، وتجلب اليها منكسوة أعاديها ، لا تزحف منها راية الا الى فتح ، ولا يصد رعنها تدبير الا الى نجح ، الى ان حان يومها العصيب ، وقبض لها من المكروه أوفر نصيب ، فتولت فقيدة ، وخلت من بهجتها كل عقيدة .(١)

ويقول ابن الخطيب فيما يعرفه المنصور على قصره وحاشيته في الزاهرة : وكان الجارى من اللحم على صقالبه ابن ابى عامر وعلى طبقاتهم في الشهر ، وقسبط الميادقه سبعة وعشرين الف رطل ، والجارى على نسائه في قصره على طبقاتهن منه تسعة آلاف رطل ، سوى وظيفة مطبخه الخاصه المقامه كل يوم ، فانه لم يق عليه (٢) . وكان المنصور يزرع كل سنه الف مدى من الشعير الصقيل لدوابه الخاصه به ، وانه اذا قدم من غزوة من غزواته لا يحل عن نفسه حتى يدعو صاحب الخيل فيعلم مامات منها وما عاش ، وصاحب الابنية ليطلعه على مبانيه واسواره وقصوره ودوره .(٣)

ومن تأملات المنصور بن ابى عامر عن ما سوف يقع بمدينة الزاهرة من خراب ما قاله ابن حيان عن ابيه عن احمد بن سعيد بن حزم وزير المنصور ابن ابى عامر الأخص به قال : كنا مع المنصور بن ابى عامر في يوم صقيل الجو ، في الزورق في النهر الذى بين يدى الزاهرة في نفر من وزرائه ، ومنظر يفتن بأمامه وورائه ، ونحن على مؤانسة قد امتد طنبها ، وارتشف بها لعسر المسرة ، وانحشر اليها لهو الدنيا ولعبها ، وهو يستبدع ذلك النشيد ، ويتطلع منها الى المزخرف والمشيد ، ويصوب نظره ويصعده في قصوره المشرقه ، ومصانعه المونقة ، وقد قيدت الالحاظ جمالا ، وجددت في الحياة آمالا . فقال المنصور بن ابى عامر : " دويها لك يازاهرة

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٧٧
— السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٦٠

(٢) : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ١٠٢

(٣) : المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٥٨٤ - ٥٨٥

الحسن ، لقد حسن مرءاك ، وعبق ثراك ، وراق منظرك ، وفاق مخبرك ، وطاب تربك ، وعذب شربك ، فليت شعري من المريد الذي يعدمك ، ويوهن ركنك ويهدمك ، ويخلي ميدانك ، ويضوي قصبك وافنانك ، فبوءسا له ، اذ لا يروقه حسنك ، فكيف عن تغييرك ، الا تسبيه بهجة منظرك ، فكيف عن محو أثرك " .

قال فاستعظمنا ذلك منه ، وانكرنا ما صدر عنه ، فانفرط الكسل منا في استنكار ما جاء به ، وفاه بأمره وسببه ، فقال المنصور " والله كأنكم لا تعلمون ذلك : نعم سيظهر عليها عدونا في أقرب مدة ، فيهدم هذا كله ويعد منه ، وكأني بحجاتها في هذا النهر" فأخذ نابه طريق التسكين والتهدين ، وعجبنا لما ذكره من ذلك النبأ المبين .(١)

وبعد موت المنصور وابنه عبد الملك المظفر ، تحققت تأملات المنصور في خراب مدينة الزاهرة على عهد ابنه عبد الرحمن بن المنصور الملقب بشنجول الذي قام عليه محمد بن هشام من المروانيين وقتله واستولى على قرطبة وهدم وخرب مدينة الزاهرة حاضرة الدولة العامرية ، وخلع الخليفة هشام الموءيد بالله ، ونصب نفسه لخلافة الاندلس . وبذلك انقرضت الدولة العامرية ،(٢) كقول الحارث بن مضاض الجرهمي :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكه سامر

بلى نحن كنا اهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود والعواثر(٣)

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩

(٢) : علي محمد حموده : تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ، ص ٢٣٨

(٣) : ابن بطوطه : تحفة النظار في غرائب الامصار ، جـ ١ ، ص ١٦٣

وخربت مدينة الزاهرة ، ومضت كأمس الداثر ، وخلت منها الدسوت الملوكيه العامرية ، واستولى النهب على ما فيها من العدة والذخائر والأموال والأسلحة ، وتلاشى أمرها فلم يرجو لفسادها صلاح ، وصارت قاعا صفصافا ، وأدبلت بأيام الترح عن أيام الفرح والصفا ، وحكى ان بعض ما نهب منها بيع ببغداد وغيرها من المدن المشرقية .(١)

منشآت المنصور العمرانيه في بقية أنحاء الأندلس :-

ومن منشآت المنصور العمرانية بناء القصور والمنازل في الطريق المؤدى الى الجزيرة الخضراء جنوبا والقريب من حدود العدوة المغربية ، وذلك على غرار ما فعله في الطرق المؤديه الى الثغور الأندلسية شمالا والمحاذية لبلاد النصارى ، وقد عمل المنازل في الطريق الى مدينة الجزيرة الخضراء في جنوب الأندلس ، نظرا لاتخاذه هذه الجزيرة قاعدة عسكرية ليشرف منها على العمليات العسكرية في العدوة المغربية .(٢)

وفي مدينة سالم " الثغر الأوسط " بنى المنصور له قصرا خاصا لأنه اتخذها قاعدة عسكريه يوجه منها الغزوات على بلاد النصارى وقام كذلك بترميم حصونها بعد ان خربت ابان زحف القشتاليين عليها سنة ٣٤٢ هـ . وفي هذه المدينه دفن المنصور بعد موته بعد غزوته الأخيرة على بلاد النصارى .(٣)

---

(١) : المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٥٨٩ - ٥٩٠

(٢) : احمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٥٢
— خليل ابراهيم السمرائى : الثغر الأعلى الأندلسى ، ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١

(٣) : ابراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا ، ص ٣٥١ - ٣٥٢

ولـم تقتصر سياسة المنصور فى التعمير والانشاء على بلاد المسلمين فحسب ، بل شملت ايضا بلاد النصارى التي غزاها ، ولاسيما القريبة منها للحدود الاسلامية . وفى هذا الصدد يقول ابن الكردبوس :" لما حضرت المنصور الوفاة بكى ، فقال له حاجبه كوثر الفتى : مم تبكى يامولاى ؟ لا بكت عيناك . فقال له : مما جنيت على بلاد المسلمين ، فلو قتلونى ومزقونى ما انتصفوا منى . فقال له : وكيف ذلك ؟ وانت أعززت الاسلام وفتحت البلاد ، واذللت الكفر وجعلت النصارى ينقلون التراب من اقصى بلاد الروم الى قرطبة حين بنيت جامعها . فقال له : لما فتحت بلاد الروم ومعاقلهم عمرتها بالأقوات من كل مكان ، وسجنتها بها حتى عادت فى غاية الامكان ، ووصلتها ببلاد المسلمين ، فأتصلت العمارة ، وهاأنذا وليس فى بنى من يخلفنى ، وسيشغلون باللهو والطرب والشرب (١) فيجىء العدو فيجد بلادا عامرة ، وأقواتا حاضرة ، فيتقوى بها على محاصرتها ، فلا يزال يتغلبها شيئا فشيئا ، ويطويها طيا فطيا حتى يملك أكثر هذه الجزيرة ، ولا يترك فيها الا معاقل يسيرة ، فلو الهمنى الله الى تخريب ما تغلبت عليه ، واخلاء ما تملكت ، وجعلت بين بلاد المسلمين وبلاد الروم مسيرة عشرة أيام فيافيا وقفارا ، لا يزالون لو رموا سلوكها حيارى ، فلا يصلون الى بلاد الاسلام الا بعد الجهد والمشقة . فقال له حاجبه كوثر الفتى : انت الى الراحة انشاء الله أقرب ، فتأمر بهذا الذى رأيت . فقال له المنصور ،

---

(١) : هذه الصفات التي ذكرها المنصور بن ابي عامر تنطبق على ابنه عبد الرحمن الملقب (بشنجول) ولا تنطبق على ابنه عبد الملك المظفر الذى خلف اباه المنصور فى تدبير شئون الدولة العامرية ، والذى كانت اعماله وسيرته موضع ثناء المؤرخين وذلك لانتهاجه سياسة ابيه الداخلية والخارجية .

هيهات ، حال الجريض دون القريض (١) ، والله لو استرحت وأمرت بما ذكرت لقال الناس مرض ابن ابي عامر فأورثه مرضه جنونا وهوسا تمكن من دماغه فخرب بلاد المسلمين واجلاهم وافقرها " (٢) .

هذه الروايه تبين ان المنصور بن ابى عامر لم يكن مخربا بقدر ما كان معمرا لبلاد الأعداء المتصله ببلاد المسلمين ، لدرجة انه ندم على سياسته في تعميرها ، وذلك في آخر حياته ، وتمنى لو انه كان قد خرب هذه البلاد وجعلها فاصلا قفرا بين بلاد المسلمين وبلاد الأعداء من النصارى (٣) .

كما اتبع عبد الملك سياسة ابيه المنصور فى ادارة شئون الحكم فى الدولة العامرية ، الآ ان مدة فترة حكمه الوجيزة ، وهى سبع سنوات ، لم تسمح له خلالها باقامة المنشآت العمرانية فى الأندلس ، حيث انه كرس جهوده فى ادارة شئون الدولة ، والقيام بغزوات على الممالك النصرانية ، وفى العمل على استقرار الرخاء فى الاندلس ، حيث اصبح المجتمع الاندلسى فى عهده ينعم بالامن والترف (٤) .

وكذلك اخوه عبد الرحمن بن المنصور الذى تولى حكم الدولة العامرية من بعده ، لم تشهد الاندلس فى عهده منشآت عمرانية ، وذلك لقصر مدة حكمه التى لم تتجاوز الستة الأشهر وايضا لخروجه عن نهج سياسة ابيه واخيه عبد الملك فى تدبير شئون الدولة العامرية ، الأمر الذى أدى الى مقتله (٥) .

---

(١) : الجريض : ويضرب هذا المثل للشىء الذى فات أوانه .
(٢) : احمد العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٦٤ (نقلا عن ابن الكردبوس)
(٣) : رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٧٢ - ١٧٣
(٤) : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٨٤ - ٨٥
— ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٢١٢ - ٢١٣
(٥) : عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٦٣٨ - ٦٣٩
— السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، ص ٢٦٢
— انيس النصولى : الدولة الاموية فى قرطبة ، ص ١٣٣ - ١٣٤

(الخاتمة)

شهد النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي أحداثا سياسية جسيمة ، وترتب على هذه الأحداث نتائج خطيرة لم تقتصر على اسبانيا الاسلامية فحسب وانما عمت آثارها اسبانيا النصرانية ايضا . ذلك انه ولأول مرة وعلى غير المألوف تولى الخلافة الاموية في الاندلس طفل قاصر لما يتجاوز الحادية عشرة من عمره . حيث أسند الخليفة الحكم المستنصر الخلافة لابنه الطفل هشام منطلقا في ذلك من عاطفته الأبوية فحسب. ولقد كان هذا في الواقع أمرا خطيرا ، بل وسابقة خطيرة في الاندلس . وكان من الممكن للباحث ان يستخلص ما ترتب ويترتب على ذلك من نتائج وردود فعل . وكان من اليسير ايضا ان يتكهن الباحث بخطل رأي الحكم المستنصر وافتقاره الى المهارة والحنكة السياسية . ذلك لأن كل الدلائل والمؤشرات كانت تؤكد استحالة الاستقرار السياسي في الاندلس في ظل سلطة مركزية ضعيفة متمثلة في شخصية الطفل هشام ، لأن من أحدى خصوصيات الاندلس ان يكون حاكمها تتوفر فيه كل مقومات رجل الدولة .

وكانت نتيجة تولي الخلافة الطفل هشام هو ما اصاب البلاد من وهن وضعف وظهور مراكز قوى تتصارع على السلطة وتطمح في الالتفاف حول الخليفة الضعيف لتتمكن من تولي

السلطة والنفوذ من خلال دعمها له . وكان ابرز مثل لذلك هو محمد بن ابي عامر المعافري (المنصور) الذى قدر له ان يتصل بالبلاط الاموى في عهد الخليفه الحكم المستنصر . ثم تدرج سريعا سريعا بفضل ما أوتي من ذكاء وحنكة وتشجيع زوجة الحكم المستنصر السيده صبح له في تسلم مراكز رفيعة في الدولة حتى غدا في اعقاب وفاة الحكم المستنصر الرجل الثاني في الدولة بعد الحاجب جعفر المصحفي .

ولقد استطاع محمد بن ابي عامر بعد تولي الخلافة هشام المؤيد بالله ان يستأثر بالسلطه شيئا فشيئا حتى عمل على التخلص من مناوئيه ومنافسيه في البلاط الاموى . وهيأ له الانفراد بالسلطه ان يحجر على الخليفه هشام مبقيا على المظهر الشكلي للخلافة ، بل وغدا الحاكم الفعلي في الاندلس . ودفعه ذلك الى ان يتلقب بالقاب الملك والسلطان ، كتلقبه بالمنصور والملك الكريم .

وكان نتيجة ذلك ما اصاب الخلافة الامويه على يد المنصور وابنائه من بعده من استبداد بالأمر وزوال هيبة الخلافة ومحو رسومها .

ولقد استخلصت من ذلك كله ان الخلافة الاموية سقطت فعليا

منذ اليوم الذى زالت فيه هيبتها على يد المنصور بن ابى عامر ، قبل ان تسقط رسميا فى عام ٤٢٢هـ / ١٠٣١ م .

على اننى قد توصلت فى الوقت نفسه الى حقيقة مفادها انه لو لم يقدّر للاندلس وجود رجل كالمنصور ابن ابى عامر على رأس السلطة وقتذاك لكانت الاندلس قد فقدت وحدتها السياسيه التى عمل الخليفه عبد الرحمن الناصر على اعادة بنائها وتماسكها بعد جهد كبير . ثم عمد هو ومن بعده ابنه عبد الملك المظفر على تقوية وترسيخ هذه الوحدة .

فالمنصور بن ابى عامر كان له الفضل فى الحفاظ على وحدة وكيان الدولة شامخا ، بل واضفى على هذا الكيان قوة ودفعا لما يتمتع به من خصال وصفات فى رجل الاندلس الناجح .

وفيما يتعلق بالعلاقات بين المسلمين والاسبان فى عهد المنصور بن ابى عامر ، فقد استخلصت العديد من النتائج ، من ذلك :

ان طبيعة العلاقات القائمه بين المسلمين ونصارى الشمال الاسبانى قد تغيرمفهومها الذى كانت عليه فى عهد الاماره فالخلافة حتى عهد الحكم المستنصر . اذ يلاحظ ان طبيعة العلاقات التى كانت تتمثل فى الصراع العسكرى بين المسلمين والنصارى لا تتجاوز اهدافا

محدودة ، وهي ردود فعل لهجمات نصرانية في الاغلب الاعم أو حربا يبدأها المسلمون للتخويف والارهاب أو درءا لخطر محتمل او ما يسمى بالحرب الوقائية حديثا . أما في عهد المنصور بن ابي عامر فقد تغير هذا الصراع وتغيرت بالتالي طبيعة العلاقات مع نصارى الشمال الاسباني ، اذ كان المنصور يهدف بالدرجة الاساسية الى تحطيم دول الشمال النصرانية والقضاء على الوجود السياسي لها ، وهو تحول خطير في طبيعة العلاقات بين المسلمين والنصارى ، اذ لم يدر بخلد أمراء ثم خلفاء بني امية مثل هذا الخاطر - لظروف سياسيه - وانما كانوا يحاربون النصارى للدفاع وصد الغزوات .

اما المنصور بن ابي عامر فقد كان البادئ دائما بالحرب، تساعده اوضاع سياسيه مستقرة وروح قوية في الجهاد وبذلك انتقل بالدولة الاسلاميه من حصن الدفاع الى شن الهجوم على الممالك والامارات النصرانية الاسبانيه .

ورغم كثرة غزوات المنصور بن ابي عامر في عمق اراضي الممالك والامارات النصرانية وانتصاراته فيها . الا انني اوضحت انه لم يستطع ازالة هذه الممالك والامارات النصرانيه نظرا لعدة اعتبارات داخليه وخارجية .

فلقد كان الوضع السياسي في الدوله يسير على غير مصلحة الدولة العامرية على المستوى البعيد . لان بني اميه لم يغفروا للمنصور اطلاقا استبداده بالسلطه وازالته لهيبة خلافتهم ، حيث كانوا يتحينون الفرصة لاستعادة مجد خلافتهم ، وحقهم الموروث في الخلافة ، وهو ما تحقق بعد سبع سنوات من وفاة المنصور بن ابي عامر وذلك في عهد ابنه الثاني عبد الرحمن .

اما الوضع الخارجي فلم يتح هو الآخر للمنصور فرصة تحقيق طموحاته ، ذلك ان المنصور كان يدخل آنذاك في نزاع مرير مع الفاطميين لبسط السيادة على المغرب . وقد أثر هذا الوضع على حركة الجهاد ضد الممالك النصرانية في الشمال الاسباني ، حيث اضطره هذا النزاع مع الفاطميين ان يحارب على جبهتين ، الاولى في الشمال الاسباني ، والاخرى في المغرب . وكان من الممكن ان يكون للصراع مع نصارى الشمال شأن آخر لو لم يكن هذا النزاع قائما بين الدوله العامرية والخلافة الفاطمية .

ومما حد من طموحاته تلك ، هو ان الممالك النصرانية استشعرت الخطر الاسلامي المحدق بها ، فأنبرت تقيم تحالفا تجمعه وحدة الكلمة بينها ضد حركة الجهاد المتمثلة في غزوات المنصور ابن ابي عامر ، وان لم يكتب لهذا التحالف أي نصر في مواقع حاسمة .

يلاحظ انه رغم كثرة غزوات المنصور لاراضي ممالك الشمال النصراني وتدميرها وتخريبها انه كان يحرص دائما على تعمير معظم اراضي اعدائه المتصلة ببلاد المسلمين حتى يقال انه ندم على سياسته في تعمير هذه الاماكن . وكان يتمنى لو انه تركها خربة لتكون حدا فاصلا بين المسلمين والنصارى .

وهذا شيء جديد يدل دلالة واضحة على ان المنصور ابن ابي عامر كان ذا عقلية عسكرية فذة يدرك ما سيحيط بالدولة من بعده .

وفيما يتعلق بممالك اسبانيا النصرانية ، فقد لاحظت انها ركنت دائما الى خطب ود المنصور بن ابي عامر وابنه عبد الملك من بعده ، بل واستعانت به في كثير من المواطن في صراعاتها ضد بعضها البعض ، مما يعني انه لم يكن يحكم تصرفاتها الغيرة الدينية والوطنية دائما ، وانما كانت المصالح الشخصية لملوكها وامرائها هي التي تحكم تصرفاتها غالبا .

وفيما يتعلق بالدولة العامرية ، فقد أوفيتها ما تستحقه من البحث والدراسة . وناقشت في كثير من المواطن سلبياتها وأيجابياتها

كما لم يفتني ان أشير الى ان عهد عبد الملك بن المنصور كان امتدادا لعهد ابيه المنصور. وقد حافظ على كيان الدولة التي اقامها أبوه المنصور بالجهد والعرق قوية متماسكة ، ونفذ كل وصايا ابيه وخاصة ما يتعلق منها بالخلافة والخليفة هشام المؤيد بالله .

وقد ناقشت بشكل خاص سياسة عبد الرحمن بن المنصور عندما أكره الخليفة هشاما على ان يوليه العهد من بعده ، وانحيت باللائمة عليه لخروجه عن سياسة ابيه المنصور واخيه عبد الملك الداعية الى الحفاظ على المظهر الشكلي للخلافة .

واستنتجت كما استنتج غيري ان هذا التصرف الخالي من الحنكة والحكمة كان السبب الرئيسي في سقوط الدولة العامرية وزوال وجودها في الاندلس .

اما فيما يتعلق بالنواحي الحضارية فقد تتبعت مسيرتها وخطواتها التطوريه على عهد هذه الدولة ، ولاحظت حرص المنصور ابن ابي عامر ، وكذلك ابنه عبد الملك على ترسم خطوات أمراء وخلفاء بني اميه في تبني حركة التقدم الحضاري في الاندلس بل وفي دفعها في خطى ثابته قوية نحو الارتقاء بأحوال الاندلس في كافة الميادين السياسيه والعسكرية والاقتصادية والاجتماعيه والعلميه . ومن ثم فان عهد

المنصور وعهد ابنه عبد الملك يعتبران امتدادا لعصر الخلافة الزاهر.

واذا كان المنصور بن ابي عامر قد استبد بالسلطة دون الخليفة هشام المؤيد بالله ، الا أنه رعى للخلافة حقها فأبقى للخليفة شارات الخلافة من ذكر اسمه في الخطبه ونقش اسمه في السكة والطرز ، كما أوصى ابنه عبد الملك بالابقاء على الخلافة والمحافظة على ما لها من حقوق . الا أنه في الوقت الذى حفظ فيه للخلافة حقوقها وشاراتها فقد شاركها في شارات الملك ومظاهر السلطان فذكر اسمه في الخطبه مع اسم الخليفة ، ونقش اسمه معه في السكة والطرز وتلقب بلقب الملك الكريم وأصبح هو الذى يعين الوزراء ويقيلهم كما بنى مدينة الزاهرة وجعلها مقرا لدولته ونقل اليها الأموال حتى أصبحت تنافس مدينة الزهراء عاصمة الناصر وابنه الحكم والتى لم يمض على بنائها غير وقت قصير . ولا ننسى ايضا اهتمامه الشديد بالجيش والاسطول من حيث كونه عدته الكبرى في الجهاد ، وقد رأينا كيف قضى المنصور حياته غازيا في الممالك الاسبانية النصرانية وانه كان يحمل معه كفنه في كل غزوة يخرج فيها .

اما اهتمامه بالأدب والشعر ، فقد كان المنصور نفسه أديبا ذواقة للشعر ، بل كان يقرض الشعر في أحايين كثيرة . وبلغ اهتمامه

بالشعر والشعراء انه انشأ ديوانا للشعراء سجلهم فيه على قدر منازلهم وقرر لكل منهم عطاء حسب منزلته في الديوان . وقد أصبحت عاصمته الزاهرة مقصدة العلماء والادباء والشعراء ، وبذلك ضاهى بلاطه بلاط عبد الرحمن الناصر وبلاط ابنه الحكم المستنصر . ومن تتبعنا لما حفل به عهده وعهد ابنه الحكم من تراجم كثيرة للفقهاء والادباء والشعراء : نلمس الى اى مدى تابعت الحركة العلميه مسيرتها في الدولة العامرية بفضل تشجيع المنصور وابنه عبد الملك .

وفي العمران رأيناه يزيد من عمارة جامع قرطبة ، فضلا عن الاهتمام بالمنشآت العمرانية الأخرى وعلى رأسها بناء عاصمته مدينة الزاهرة . وقد بلغت قرطبة في عهده شأوا كبيرا من التقدم الحضارى كما يتضح من وصف المؤرخين لها . وذكر ما تحتويه من منازل للخاصه وللعامه ، وحوانيت ، وحمامات . واما ما تمتعت به الدولة العامريـة من رخاء اقتصادى وازدهار اجتماعى فيتضح من ارتفاع مقدار الجباية في الاندلس على عهد المنصور بن ابى عامر ، ومن ازدهار المجتمع الاندلسي في هذه الفتره .

قائمـــــــة

المصادر والمراجـــــع والدوريـــــات

أ ـ المصـــادر :

ابن الابـــار : (ت ٦٥٨ هـ) :

(١) الحلة السيراء ، جزءان ، حققه وعلق على حواشيه حسين مونـس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣م .

(٢) التكملة لكتاب الصلة ، جزءان ، نشـره وصححـه عزت العطار الحسينى ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الاسلامية ، مطبعة السعادة ، ١٣٧٥ هـ/١٩٥٥م .

(٣) اعتاب الكتاب ، حققه وعلق عليه وقدم له صالح الأشتر ، طبعة أولـى ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١م .

ابن أبى دينـــار : (ت ١١١٠ هـ / ١٦٩٨م) :

(٤) المونس فى أخبار افريقية وتونس ، طبعة أولى ، تونس ١٣٨٦ هـ .

ابن الأثـــير : (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨م) :

(٥) الكامل فى التاريخ ، ٩ أجزاء ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م .

ابن بسـام : (ت ٥٤٢ هـ) :

(٦) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة .
- القسم الأول : المجلد الثانى ، نشر وتحقيق لجنة من جامعة القاهرة ،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،
١٣٦١ هـ / ١٩٤٢م .
- القسم الثانى : المجلد الأول ، تحقيق لطفى عبد البديع ، الهيئة المصرية
العامة للكتاب ، مركز تحقيق التراث ، القاهرة ، ١٩٧٥م.
- القسم الثالث : المجلد الأول ، نشر وتحقيق لجنة من جامعة القاهرة ،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،
١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥م .
- القسم الرابع : المجلد الأول ، قام بنسخه عبد الوهاب عزام ، والناشـر
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهـرة ، سنـة
١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥م .

ابن بشكـوال : (ت ٥٧٨ هـ) :

(٧) الصلة فى تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم وفقهائهم وادبائهم ، تحقيـق
عزت العطار الحسينى ، القاهرة ، مكتب نشر الثقافة الاسلامية ،
١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥م .

(٨) البكـرى : (ت ٤٨٧ هـ) :

المغرب فى ذكر بلاد افريقيه والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك .
تحقيق عبد الرحمن على الحجى - الناشر مكتبة المثنى ببغداد .

ابن بطوطـــه : (ت ٧٧٩ هـ) :

(٩) تحفة النظـار فى غرائب الأمصار ، (المعروف برحلة ابن بطوطـــه) .

ابن حــزم : (ت ٤٥٦ هـ) :

(١٠) طـوق الحمامـة فى الألفة والألاف ، ضبط هوامشه الطاهر احمد مكـى ، طبعة ثانية ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م .

الحميـدى : (٤٨٨ هـ) :

(١١) جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الاندلس ، تحقيق ادارة احياء التراث ، القاهـــرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمـة ، ١٩٦٦م .

الحمـيرى : (ت . آواخـر القرن الثامن الهجرى) :

(١٢) صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار ، نشر وتصحيح وتعليق ليفى بروفنســال ، القاهرة ، مطبعـة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧م .

ابن حوقـــل : (ت . آواخـر القرن الرابع الهجرى) :

(١٣) صورة الأرض ، الطبعة الثانية ، ليـدن ، ١٩٣٨م .

ابن حيـــان :(ت ٤٦٩ هـ) :

(١٤) المقتبس من انباء اهل الاندلس ، تحقيق وتعليق ونشر محمود على مكى ، القاهرة ، منشورات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١م ٠

ابن خاقان : (ت ٥٢٨هـ أو ٥٢٩هـ) :

(١٥) مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس ، مصر ، مطبعة دار السعادة ، ١٣١٥ هـ ٠

ابن الخطيب : (ت ٧٧٦هـ) :

(١٦) اعمال الاعلام / القسم الثاني ، حققه وعلق عليه ليفي بروفنسال ، بيروت دار المكشوف ، طبعة ثانية ، ١٩٥٦م ٠

(١٧) اعمال الاعلام / القسم الثالث ، تحقيق وتعليق ، احمد مختار العبادى ومحمد ابراهيم الكتانى ، الدار البيضاء ، نشر وتوزيع دار الكتاب ، ١٩٦٤م٠

ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ) :

(١٨) المقدمة ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٨م ٠

(١٩) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في اخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، ٧ مجلدات ، بيروت دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٨م ٠

ابن خلكان : (ت ٦٨١ هـ) :

(٢٠) وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان ، جزءان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، مطبعة الغريب .

ابن دحيه : (ت ٦٣٣ هـ) :

(٢١) المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابياري وحامد عبد المجيد ، مراجعة طه حسين ، بيروت ، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .

ابن دراج القسطلي : (ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩م) :

(٢٢) ديوان ابن دراج ، تحقيق احمد مختار العبادي .

ابن زيري : عبد الله بن بلقين (ت ، بعد ٤٨٣ هـ) :

(٢٣) مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماه بكتاب التبيان ، تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٥م .

ابن سعيد : (ت ٦٨٥ هـ) :

(٢٤) المغرب في حلى المغرب . تحقيق شوقي ضيف في جزئين منفصلين القسم الثاني تحت عنوان وشي الطرس في حلى جزيرة الأندلس ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤م .

السلاوى الناصرى : (ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م) :

(٢٥) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق جعفر الناصرى ، ومحمد الناصرى ، ١٠ أجزاء ، الدار البيضاء ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٥٤م .

الضبى : (ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢م) :

(٢٦) بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ، القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٩٦٧م .

الطرطوشى : (ت ٥٢٠ هـ) :

(٢٧) سراج الملوك ، طبعة أولى ، القاهرة ، المطبعة الخيرية ، ١٣٠٦ هـ .

ابن عبد ربه : (ت ٣٢٩ هـ) :

(٢٨) العقد الفريد ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

ابن عذارى : (ت ٦٩٥ هـ) :

(٢٩) البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، ٣ أجزاء ، تحقيق ج . س كولان ، وليفى بروفنسال ، بيروت ، دار الثقافة .

العـذرى : (ت ٤٧٨ هـ) :

(٣٠) نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيز الاهواني ، مدريد ، منشورات المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، ١٩٦٥م .

ابن الفرضي : (ت ٤٠٣ هـ) :

(٣١) تاريخ علماء الاندلس ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م . (عن نشرة كوديرا ، مدريد ١٨٩١م) .

القلقشندى : (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م) :

(٣٢) صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ١٤ جزءا .

ابن الكردبوس : (ت . آواخر القرن السادس الهجرى) :

(٣٣) الاكتفاء في اخبار الخلفاء ، تحقيق احمد مختار العبادى ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الثالث عشر ، ١٩٦٥ - ١٩٦٦م .

مجهـول : (عاش في القرن الثامن الهجرى) :

(٣٤) نبذة تاريخية جامعة في اخبار البربر في القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر ، نشرة ليفي بروفنسال ، الرباط مطبوعات معهد العلوم المغربية ، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م .

المراكشــى : ابو محمد عبد الواحد بن على التميمى (ت ٦٤٧ هـ) :

(٣٥) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريــان ، منشورات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، لجنة تحقيق التراث الاسلامــى ، الكتاب الثالث ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣م .

المسعــودى : (ت ٣٤٦ هـ) :

(٣٦) مروج الذهب ومعادن الجوهــر فى التاريخ ، جزءان ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ .

المقــرى : (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١م) :

(٣٧) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بــن الخطيب ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م .

النباهـــى : (كان حيا سنة ٧٩٣ هـ) :

(٣٨) تاريخ قضاة الأندلس (سماه المرقبة العليا فيمن يستحق القضـاء والفتيــا) ، تحقيق ليفى بروفنسال ، بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٣٧م .

ياقــوت الحموى : (ت ٦٢٦ هـ) :

(٣٩) معجــم البلــدان ، ٨ أجــزاء ، طبعــة بيروت ، سنــــة ١٩٦٠ م .

ب ـ المراجع الحديثه والدوريات :

ابراهيم بيضون :

(١) الدولة العربية فى اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة
(٢) (٩٢ - ٤٢٢هـ / ٧١١ - ١٠٣١ م) . بيروت ، دار النهضة
العربية ، ١٩٧٨ م .

احسان عباس :-

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين ، سلسلة المكتبة
الأندلسيه رقم ٢٣ ، بيروت ، دار الثقافة ، طبعة ثانية ١٩٧٤ .

احمد أمين :

(٣) ظهر الاسلام ، ٩ أجزاء .

احمد مختار العبادى :

(٤) فى تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية مؤسسة الثقافه الجامعية .

(٥) فى التاريخ العباسى والأندلسى ، بيروت دار النهضة
العربية ، ١٩٧٢ م .

أنيس النصولى :

(٦) الدولة الأموية فى قرطبة ، بغداد ، المطبعة العصرية ، ١٩٢٦ م .

جـودت الركابـي :

(٧) في الأدب الأندلسي ، ط ٤ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٥م .

جـواد المرابـط :

(٨) عبر وعبرات من دمشق الأندلس ، بيروت ، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م .

حسـن ابراهيم حسـن :

(٩) تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي ، طبعة سادسة ، القاهرة ، [illegible] ، ١٩٦٢م .

خالـد الصوفـي :

(١٠) تاريخ العرب في اسبانيا - جمهورية بني جهور (٤٢٢ هـ/ ١٠٣١ - ١٠٧٠ م) ، دمشق ، المطبعة التعاونية ، ١٩٥٩م .

خليـل ابراهيم السامرائي :

(١١) الثغر الأعلى الأندلسي (دراسة أحواله السياسيه ٩٥ - ٣١٦هـ / ٧١٤ - ٩٢٨م) ، بغداد ، مطبعة أسعد ، ١٩٧٦م .

رجب محمد عبد الحليم :

(١٢) العلاقات بين الأندلس والممالك النصرانية منذ عصر الامارة حتى القرن الخامس الهجري ، رسالة دكتوراه ، مقدمة لكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٨١م / لم تطبع .

السيد عبد العزيز سالم :

(١٣) تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، طبعة أولى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٢م .

(١٤) قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس جزءان ، بيروت ، دار النهضه العربية ، ١٩٧١م .

(١٥) تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة أسطول الاندلس طبعة أولى ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٩م .

(١٦) المغرب الكبير ، العصر الاسلامى (الجزء الثانى) ، الأسكندرية الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م .

شكيب ارسلان :

(١٧) الحلل السندسية فى الأخبار الاندلسية ، ٣ أجزاء ، بيروت ، دار مكتبة الحياة .

(١٨) الارتسامات اللطاف فى خاطر الحاج الى اقدس مطاف ، الناشر مكتبة المعارف بالطائف ، طبعة ثانية ، ١٣٩٧ هـ ، صححه وعلق عليه عبد الرازق محمد سعيد حسن كمال .

عباس محمود العقاد :

(١٩) اثر العرب فى الحضارة الأوربية ، طبعة ثانية ، القاهرة ، دار المعارف .

علـــى أدهــــــم :

(٢٠) منصور الأندلس ، سلسلــة اعلام الاسلام ، القاهـــرة ، تحت أشــراف لجنـــةترجمـــــــة دائرة المعارف الاسلامية ، دار احياء الكتب العربية .

علي حســـنى الخربطلـــى :

(٢١) الاسلام فى حوض البحر المتوســـط ، بيروت ، دار العلـــم للملايين ، طبعـــة أولـــى ، ١٩٧٠م .

عبد الحميد العبادى :

(٢٢) المجمـــل فى تاريخ الاندلس ، القاهرة ، دار القلم ، طبعة ثانية ، ١٩٦٤م .

علـــى محمد حمـــوده :

(٢٣) تاريخ الاندلس السياســـى والعمرانى والاجتماعـــى ، طبعة أولــــى ، القاهرة ، دار الكتـــاب العربـــى ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧م .

عبد الرحمـــن الحجـــى :

(٢٤) اندلسيـــات ، الطبعـــة الأولـــى ، بيروت ، دار الارشـــاد للطباعـــة والنشـــر والتوزيـــع ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .

عبد العزيز عتيـــق :

(٢٥) الأدب العربـــى فى الاندلس ، الطبعـــة الثانيـــة ، [illegible] [illegible] ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

عبد المنعم ماجد :

(٢٦) العلاقات بين الشرق والغرب ، بيروت ، مكتبة الجامعة العربية ، ١٩٦٦ م .

عثمان الكعاك :

(٢٧) الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، القاهرة ، مطبعة لجنة البيان المصرى ، ١٩٦٥م .

فليب حتى :

(٢٨) تاريخ العرب ، [illegible] طبعة رابعة ، [illegible] [illegible] ١٩٦٥م .

محمد ابراهيم الصيحى :

(٢٩) اثر العرب فى الحضارة الأوربية ، القاهرة ، مكتبة الوعى العربى ، ١٩٦٨م .

محمد عبد الله عنان :

(٣٠) دولة الاسلام فى الاندلس ، الخلافة الأموية والدولة العامرية ، العصر الأول ـ القسم الثانى ، طبعة رابعة ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

(٣١) تراجم اسلاميه شرقيه وأندلسية ، طبعة ثانية ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

(٣٢) تاريخ العرب فى اسبانيا ، طبعة أولى ، ١٩٢٤م . مطبعة السعادة بمصر .

محمد كرد علي :

(٣٣) الاسلام والحضارة العربية ، جزءان ، طبعة ثالثة ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٨م .

محمد لبيب البتنوني :

(٣٤) رحلة الاندلس ، طبعة ثانية ، مطابع مصر .

مصطفى الشكعة :

(٣٥) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، طبعة ثالثة ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٣م .

ليفي بروفنسال:

(٣٦) حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، منشورات دار الحياة ، بيروت ، مطبعة النجوى .

لين بول :

(٣٧) قصة العرب في اسبانيا ، ترجمة على الجارم ، طبعة تاسعة ، دار المعارف بمصر .

٣٨ - * ANWAR G.CHEJNE:MUSLIM SPAIN.ITS HISTORY AND CULTURE, MINNESOTA 1974...

٣٩ - *DOZY:A HISTORY OF THE MOSLEMS IN SPAIN,LONDON 1972.

٤٠ - *JAN READ:THE MOORS IN SPAIN AND PORTUGAL,LONDON 1974.

٤١ - *LAVOIX,H:CATALOGUE DES MONNAIES MUSULMANES DE LA BIBLIOTHEQUE.

٤٢ - *LEVI-PROVENCAL:L'ESPAGNE MUSLIMANE,T.111,PARIS.

٤٣ - *MILLES,G.G.:THE COINAGE OF THE UMAYYADS OF SPAIN,NEW-YOHK,1950.....

الدوريـــــات :-

أحمد مختار العبادي

٤٤ - سياسة الفاطميين فى المغرب والأندلس ، مجلة معهد الدراسات الأسلامية بمدريـــد ، المجلد الخامس ، العدد ، ١ ، ٢ ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م .

شـــوقى ضيـــف :-

٤٥ - نقط العروس فى تواريخ الخلفاء لابن حزم ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول (جامعـــة القاهـــرة) ، المجلد الثالث عشر ، الجزء الثانى ، ديسمبر ١٩٥٤م .

- عبد الحميد العبـــادى :

٤٦ - صور وبحوث من التاريخ الاسلامى ، مجلة الثقافة بالقاهرة ، العدد ٢٦١ ، ١٩٤٣م .

ليوبولد توريس بلبـــاس :

٤٧ - الابنية الأسبانية الاسلامية ، مجلة المعهـــد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريـــد ، العدد الأول ، المجلد الأول ، السنه الأولى ، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣م .

محمـــود يوســـــف :

٤٨ - المنصور بن ابى عامر ، مجلة تطوان بالمغرب ، العدد الثالث ، ١٩٥٥ م .

فهـــــرســـــت